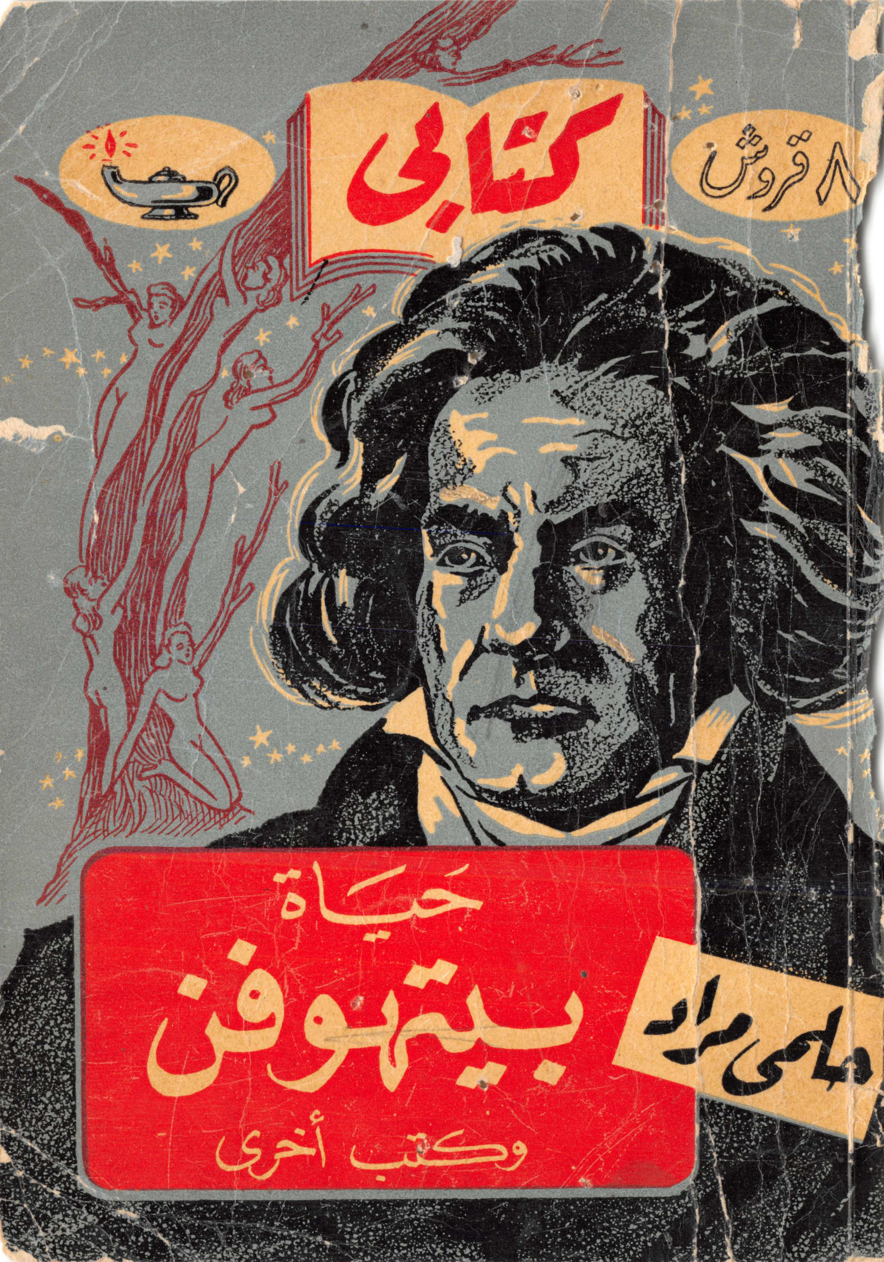

كتابى
٨ قروش
حياة
بيتهوفن
وكتب أخرى
حلمى مراد

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر اول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الحادى والعشرون (السنة الثانية) : نوفمبر ١٩٥٣

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة

تليفون ٦٥٦٠٨

عزيزى القارىء ..

كتابى يفتتح داره الجديدة

◆ فى الوقت الذى يصل فيه هذا العدد الى يديك ، ارجو ان تكون العدة قد اكتملت لافتتاح ادارة «كتابى» الجديدة ، بعمارة الجندول بشارع فؤاد الاول . وقد راعيت فى اختيارها فى هذه المنطقة التى هى ملتقى سكان القاهرة من جميع الاحياء والطبقات ، ان تكون فى متناولك .. تزورنى فيها مشكورا ، على الرحب والسعة ، كلما كان لديك عندى مطلب او اقتراح ، كى نتبادل الحديث فى شؤون (كتابى) او (كتابك) المفضل الذى أحببته ، والذى يستمد من حبك هذا قوة على مواصلة النهوض برسالته . .برغم كل ما يكتنفها من متاعب وعقبات

مراسل لكتابى فى باريس !

◆ وبهذه المناسبة ، وتنفيذا لوعدى لك بمضاعفة مجهودى كلما زدتنى اقبالا ، رأيت ان يكون لكتابى — لاول مرة فى تاريخ الصحافة الادبية والشهرية — مراسل أدبى فى باريس ، يتابع عن كثب احدث ما تخرجه المطابع الاوروبية من كتب ، واحدث ما يمثل من مسرحيات كبرى على مسرح «الكوميدى فرانسيز» ذى الشهرة العالمية .. ويكون على اتصال بالدوائر والصالونات الادبية فى باريس وجاراتها من العواصم الاوروبية ، كيما يوافيك بكل ما يهمك من أنباء الحركة الفكرية العالمية . واليك فى هذا العدد الرسالة الاولى لمراسلك الادبى — وعنوانها «آلهة ، ومقابر ، وعلماء !» — وهى تلخص لك كتابا عن مصر العريقة الخالدة تتحدث عنه المحافل الادبية فى اوربا باسرها فى هذه الايام !

مطبوعات كتابى

◆ والان ، تعال نتحدث فى شأن «مطبوعات كتابى» ، او الملاحق الخاصة التى رأيت اصدارها فى المناسبات ، محتوية فى كل منها على ترجمة كتاب طويل كامل من امهات الكتب العالمية ، القصصية وغير القصصية ، فى كل موضوع ،

لاشهر المؤلفين .. وان قلمى ليعجز عن ايفائك حقك من الشكر على الاستقبال الرائع المنقطع النظير الذى استقبلت به الكتاب الاول من هذه المطبوعات : «قصة مدينتين» .. ثم على هذا السيل من الرسائل الكريمة التى حدثتنى فيها بآرائك فى هذه السلسلة الجديدة واقتراحاتك بشأنها .. ولئن ضاق المجال فى هذه الكلمة القصيرة عن التعليق والرد على هذه المئات من الرسائل، فحسبى هنا ان أوجز ردى عليها جميعا فى عبارة واحدة : هى اننى اعدك بان التزم فى هذه المطبوعات المبدأ الذى التقى فيه رأيك ورأيى ، وهو ان لا تتقيد كتبها بعدد محدد من الصفحات ، وبالتالى بسعر ثابت موحد ، او حتى موعد ثابت .. كى يأخذ كل كتاب منها مجاله الكامل من حيث عدد الصفحات ، وفقا لاصله الافرنجى الكامل الذى وضعه عليه مؤلفه ، تجنبا للاختصار المحتوم الذى يلجىء اليه التقيد بتلك القيود الجائرة التى جرت عليها سائر المجموعات العربية السابقة ..

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

كتابى

اعداد نفدت

كتابى الاول :	« خطايا الحب »	وكتب اخرى	مارس ١٩٥٢	
كتابى الثانى :	« قلب عذراء »	«	«	ابريل «
كتابى الثالث :	« الهاربة من الجنة »	«	«	مايو «
كتابى الرابع :	« حواء الجديدة »	«	«	يونية «
كتابى السادس :	« جريمة حب »	«	«	اغسطس «

أعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى الخامس «**أحدب نوتردام**» ، والسابع «**عشيقة نابليون**» ، والثامن «**مذكرات كيوبيد**» ، والتاسع «**صنم تحطم**» ، والعاشر «**حديقة الله**» ، والحادى عشر «**عندما تحقد المرأة**» ، والثانى عشر «**لعبة الحب والموت**» ، والثالث عشر «**توبة خاطئة**» ، والرابع عشر «**ايها الربيع ترفق**» ، والخامس عشر «**الشيطان على الارض**» ، والسادس عشر «**ليدى هاملتون**» ،والسابع عشر «**الارملة المرحة**»، والثامن عشر «**حياة جورج صاند**» ، والتاسع عشر «**حياة سارة برنار**» ، والعشرون «**رباعيات عمر الخيام**»

◆ وتطلب من صاحب كتابى ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، و١٦ ، ٢٠ (الممتازة) ، وثمن كل منها بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

الاشـــــتراكات

◆ وتشمل ضمنا الاعداد الممتازة ايضا ــ وترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة

◆ قيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٠٠ قرش ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٥٥ قرشا ــ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ) ترسل القيمة بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد فى كل بلد MONEY ORDER وتحتسب القيمة بما يوازى ١١٠ قروش (عن سنة) و٦٠ قرشا (عن نصف سنة) ــ أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات في بيروت وفي بغداد (بشارع السنك ، بغداد)

قصة ممصرة : للمحرر

نحن البشر !



- ١ -

◆ **كان يتولى الدفاع عن المتهم محام شاب ، استهل مرافعته قائلا :**

« يا حضرات المستشارين ..

« ان وقائع القضية التى أمامكم واضحة لا سبيل الى انكارها .. فموكلى ـ هذا الموظف الشريف ، الوديع ، الخجول ـ قد قتل رئيسه فى لحظة غضب تبدو ، لاول وهلة ، غير مفهومة ! .. لكنى ـ بعد كريم اذنكم ـ سأخوض فى الدوافع النفسية للجريمة ، بغير أن أضيع وقتكم فى محاولة تبرير فعلة الجانى .. وسترون انكم ، بعد ذلك ، سوف تستطيعون أن تصدروا حكمكم الصائب بغير تردد !

« ينتمى (شكرى عبد الرحمن) الى أسرة من متوسطى الحال ، الشرفاء .. الذين ربوه على مبادئهم فجعلوا منه رجلا بسيط النفس ، مؤمنا بالناس ، يحترمهم لانه يحسبهم جميعا على شاكلته !

« وكانت هذه جريمته : الثقة بالبشر !.. وهو شىء لا نكاد نعرفه نحن أهل هذا الزمان .. شىء لم يبق منه غير اسمه ، أما قوته وسطوته فقد اختفيا منذ بعيد .. لم تعد غير بضع عائلات ريفية متواضعة ، ومحدودة ، تحتفظ بهذا التقليد الصارم .. هذا الشعار العتيق .. هذه الديانة أو « الايمان » الذى يتخذ صورة شبه مقدسة ، لا تعرف الالتواء .. ولا الشك .. ولا ابتسامة الرياء أو المجاملة !

« والانسان لا يستطيع أن يكون شريفا ـ بكل ما تحمل الكلمة من معنى ـ ويظل على احترامه وتوقيره للناس !.. فالرجل الذى يحترم الناس لا بد أن يكون مغمض العينين ، يؤمن ولا

يرى ·· أما نحن الذين نفتح أعيننا على الدنيا ، ونعيش هنا فى حرم العدالة ، فى « مطهر » المجتمع ، حيث تسعى كل الرذائل سافرة على الارض ، وتكشف القناع عن وجهها ·· نحن الذين نؤتمن على الفضيحة والعار ، وندافع عن جميع صـور ضعف البشر وحقارتهم ، ويلوذ بنا ـ وان كان لا يلقى تشجيعا منا ـ كل محتال أثيم ، أميرا كان أم أفاقا ·· رجلا أم امرأة ·· نحن الذين نستقبل بالتسامح والترحيب ، والاريحية الباسمة ، جميع المذنبين وندافع عنهم أمامكم ·· أقول أما نحن ، فاذا كنا نخلص لمهنتنا حقا ، ونزن عطفنا على المتهمين حسب ضخامة جرائمهم ، فلن تنطوى قلوبنا يوما على الاحترام لمخلوق !·· ذلك لاننا نرى ونلمس الكثير من مفاسد هذا العالم، ونعلم الكثير عن الاساليب الوضيعة التى بها يباع الشرف ويشترى ، ويرتهن ويستبدل ، مقابل حفنة من مال ، أو لقب من الالقاب ، أو مصلحة ذاتية ·· بل وأحيانا مقابل قبلة من امرأة !

« فمهمتنا وواجبنا يقتضيانا أن لا نجهل شيئا ، وأن نرتاب فى كل انسان ، لان كل انسان جدير بالريبة والشكوك ·· لذلك تكون دهشتنا بالغة حين نجد أنفسنا وجها لوجه مع رجل كالقاتل الماثل أمامكم ، يملك نعمة ـ أو نقمة ـ الايمان بالبشر، الى الدرجة التى ستجعله يستشهد من أجلها !

« اننا ـ يا حضرات المستشارين ـ ونحن نملك بدورنا مسحة من الشرف ، والوقار ، والكبرياء الذاتى ، والميل الى الانسان « النظيف » ، والاشمئزاز من الرجل الوضيع ·· لا نملك ، فى أعماق قلوبنا ونفوسنا ، تلك الثقة العمياء ـ الفطرية ـ التى تنطوى عليها نفس هذا الرجل !

« والآن دعونى أقص عليكم سيرة حياة المتهم :

« نشأ (شكرى) فى كنف أب ضيق الافق ، علمه وهو طفل

أن يقسم تصرفات البشر وأفعالهم الى قسمين منفصلين : الطيب، والردىء ٠٠ أو الحسن ، والسىء !٠٠ وعـوده أن يميز بين القسمين بصرامة وتزمت ، كما يميز بين النهار والليل، والابيض والاسود ٠٠ فلا يقبل حلا وسطا !٠٠ كانت تنقص الاب مرونة التفكير التى يتميز بها ذوو العقول السامية الممتازة ، الذين يرون من عليائهم منابع الثقة ، ويتبينون الضرورات الاجتماعية التى تنشأ من تلك التفرقة ٠٠

« وشب الفتى متدينا ، مؤمنا ، متحمسا ، ومحدود الافق مثل أبيه !٠٠ حتى بلغ الثانية والعشرين ، فتزوج من ابنة عم له نشأت مثل نشأته ، نقية السريرة ، بسيطة النفس مثله٠٠ وكان محظوظا الى حد بعيد فى أن يحظى بتلك الزوجة الفاضلة ، ذات القلب المخلص، التى هى من أندر المخلوقات فى دنيانا، وأجدرها بالاحترام والثقة ٠٠ وكان شكرى قد ألف فى الماضى أن يولى أمه ذلك التوقير والاجلال اللذين تنعم بهما الامهات فى العائلات المحافظـة ، وذلك الاحترام العميق الذى يكاد يبلغ درجـة التقديس ٠ وقد مد رواق احترامه وتوقيره الى زوجته بدورها ، وان تناقص نصيبها منهما تدريجا بحكم ازدياد الالفة الطبيعية بين الزوجين ٠٠

« وهكذا عاش صاحبنا يجهل كل شىء عن الغش والخداع ، وينعم بسعادة صافية وسلام بيتى نادر المثال ، الامر الذى جعله أشبه بمخلوق من دنيا غير هذه الدنيا التى نعرفها ، يعيش فى وئام مع الجميع ٠٠ لا يخدع أحدا ، ولا يخامره قط أى شك فى أن أحدا يمكن أن يخدعه !

« وكان شكرى يعمل صرافاً فى الشركة التى يديرها « صفوت بك » ٠٠ ونحن نعلم من شهادة جميع الشهود فى القضية ــ ومن بينهم حرم صفوت بك ، وشريكه الاستاذ أبو المجد ، فضلا عن كبار موظفى الشركة جميعا ــ أن شكرى كان موظفا نموذجيا ،

مستقيما ، مطيعا ، لطيفا ، دقيقا ، يحترم رؤساءه ، وكان هؤلاء يعاملونه وفقا لمسلكه المثالى المحمود ..

« وكما كان مسلكه فى العمل ، كان مسلكه فى بيته نموذجيا بدوره ، وكان شديد التعلق بزوجته .. فلما أصيبت بحمى وماتت فى خلال أيام ، انتابه حزن مفرط عميق ، لكنه ذلك الحزن الهادىء المستسلم الذى يصدر من قلب اعتاد صاحبه التحكم فى نزواته ومطالبه .. فلم يبد مبلغ عمق الجرح الذى أصابه الا من شحوب وجهه ، والتغير الذى طرأ على نظرات عينيه ..

« ولكن بمرور الايام ـ يا حضرات المستشارين ـ حدث شىء طبيعى للغاية ، لا يستغرب أن يحدث من هذا الرجل الذى عاش زوجا عشر سنوات ، ألف فيها أن يحس بوجود امرأة الى جانبه على الدوام ، ينعم بعنايتها الفائقة ، ونبرات صوتها وهى تلقاه عند عودته ، وتحيتها الناعسة فى المساء ، وتحيتها الباسمة الندية فى الصباح ، وحفيف ثوبها وهى تخطر ، وتخرج ، وتدخل .. وتدليلها له وهما يتناولان الطعام .. ثم عناقها الذى يجمع الى عناق المرأة العاشقة عناق الام أيضا ، الذى يجعل الحياة ناعمة رضية .. **وبالاختصار ألف وجودها الممتع الذى يخفف من ملل الحياة وبطء عقارب الزمن ، ويكفل له تلك المداعبات والتوافه الصغيرة التى تصبح مع مرور الاعوام ، وبحكم العادة ، أقوى وألزم له من ضروريات حياته الجوهرية !**

« وهكذا ضاق بعد وفاتها بوحدته ، فصار يحتال على ذكرياته كى يقضى بعض ساعات المساء الطويلة فى مشرب قريب من بيته ، يتناول فيه كأسا من النبيذ أو شطيرة من الشطائر ، ويجلس فى ركنه القصى صامتا يرقب بغير اكتراث كرات « البلياردو » وهى تجرى وتصطدم ، تحت سحابة من حلقات الدخان المنعقدة فى جو المكان .. ويسمع ـ دون وعى ـ أحاديث



اللاعبين ، وملاحظاتهم ، ومناقشات الآخرين وجدلهم المحتدم بشأن السياسة والاحزاب .. وأصوات الضحك التى تنبعث فجأة من أحد الاركان اعجابا بنكتة طريفة قالها أحدهم .. حتى يتعب من الضجيج، ويدركه السأم ، فيمضى الى بيته لينام ..

« ولكن فى أعماق قلبه وجسمه كان الشوق الملح الى قلب المرأة وجسمها .. لم ينم !.. وهكذا وجد شكرى نفسه ، ليلة بعد ليلة ، يقترب بمقعده فى المقهى من « الصرافة » الحسناء التى تجلس الى خزينة المحل ، تجتذبه اليها قوة لا تقاوم ، واحساس جارف بأنها .. امرأة !

« وفى البداية صارا يثرثران معا فى المناسبات .. ثم اعتاد شكرى أن يحتكر المقعد المجاور لها مباشرة ، فيقضى الامسية كلها فى مجاذبتها الحديث ، ومخالستها النظرات .. وكانت هى ــ بحكم عملها ــ تجيد الابتسام والتحيات ، وتصطنع الرقة ، وتتلطف مع عملاء المشرب المزمنين ، وهو منهم .. لكن سذاجته صورت له أنها تخصه وحده بحدبها ورعايتها ، فازداد ــ يوما بعد يوم ــ تعلقه بتلك المرأة ، التى لم يكن يعرف عنها شيئا غير ما تظهره له ، والتى ما أحبها الا لانها الانثى الوحيدة التى وضعتها الاقدار فى طريقه منذ وفاة زوجته ..

« وأدركت الماكرة أنها بازاء « ساذج » كبير ، فوجهت همها الى اقتناص أقصى ما تستطيع اقتناصه منه ، واستغلال غفلته

الى أبعد الحدود ٠٠ فهداها شيطانها الى محاولة اغرائه بأن ٠٠ يتزوجها !

« وقد نالت غرضها ، بغير عناء كبير ، ووصلت الى هدفها من أقرب طريق !

- ٢ -

◆ « **فهل** أنا فى حاجــة الى أن أوضح لكم ـ يا حضرات المستشارين ـ أن مسلك تلك الفتاة الخلقى كان معيبا ، حافلا بالشوائب ٠٠ وان زواجها من الرجل الذى نصبت له شباكها بمهارة لم يسدل ستارا على تصرفاتها الفاضحة ، بل ضاعف من جرأتها واستهتارها ٠٠؟

« **وهل أنا فى حاجة الى اصطناع الفصاحة كي أصف لكم كيف صارت الزوجــة الجديدة تجد لذة خاصة فى ممارسة رياضتها المفضلة ، وهي خداع زوجها الشريف الساذج ، مع جميع موظفى الشركة التى يعمل فيهـا ٠٠ مستعينة على ذلك بفطنة انوثتها الفطرية ، وسعة حيلتها ؟**

« أقول : مع « جميع » موظفى الشركة ٠٠ ولدى الخطابات الخاصة التى تثبت ما أقول !

« وسرعان ما فاحت رائحة الفضيحة التى تزكم الانوف ، وكان أنف الزوج ـ كالعادة ـ هو الوحيد الذى ظل سليما من الزكام ٠٠!!

« وأخيرا ـ ولحكمة لا تخفى على حضراتكم ـ سعت التعسة سعيها الحثيث كى توقع فى حبائلها صيدا دسما ثمينا ، هو « سمير » ابن السيد صفوت مدير الشركة ، الذى كان ما يزال يتعثر فى عامه التاسع عشر !٠٠ وطبيعى أنها وجدت الطريق الى قلب الفتى وجسمه وعقله ، معبدا ٠٠ ممهدا ٠٠ مفروشـا بالرمل الاحمر الذى فى لون الدم٠٠ فوصلت الى غايتها بسهولة، دون أن تلهث !

« عندئذ ، وعندئذ فقط ٠٠ وجد صفوت بك نفسه مضطرا الى أن يفتح عينيه ـ اللتين طالما أغمضهما عن مخازى زوجـة مرؤوسه ، حرصا على شعوره ـ فقد ساءه وأغضبه أن يقع وحيده العزيز بين يدى ـ أسـتغفر الله بل بين ذراعى ـ تلك المرأة الخطرة !

« لكن الاب المشفق على مستقبل ابنه أخطأ فى طريقة معالجة الموقف ، وكانت فى ذلك الطامة الكبرى ٠٠ فلقد استدعى اليه الزوج المخدوع على الفور ، وكان بينهما حـديث حرج ، بالغ الحرج ، أعفى نفسى من تصويره للمحكمة الموقرة ، اكتفاء بما ورد بشأنه على لسان صفوت بك وهو يحتضر ٠٠ وهو ما أنا بسبيل تلاوته على حضراتكم ، منقولا من المحضر الرسمى للنيابة العـامة :

« **قال المجنى عليه :** « علمت أن ابنى قد أعطى تلك المرأة فى ليلة الحادث أربعين جنيها ، فضاعف ذلك من ثورتى وغضبى ٠٠ وطبعا لم يداخلنى أدنى شك فى جهل زوجها « شكرى » بكل ما يتصل بمسلكها من البداية الى النهاية ، لكن الجهل ـ أو العمى ـ كثيرا ما يكون أخطر وأشد ضررا من الخطأ الايجابى المتعمد ٠٠ لذلك استدعيت شكرى فى الحال ، وأخبرته اننى مضطر للاستغناء عن خدماته !

« لكنه ظل واقفا أمامى بلا حراك ، وقد ألجم الذعر لسانه ٠ ثم تكلم أخيرا فطالبنى ـ فى شىء من الحدة ـ بايضاح السبب الذى ألجأنى الى فصله من العمل ٠٠ فأبيت أن أعطيه أى ايضاح ، واكتفيت بالقول ان لدى من الدوافع « الشخصية » ما يحتم على ذلك ٠ وعندئذ حسب هو اننى قد أكون عاقبته على أمر بدر منه ، فزاد شحوب وجهه ، وتوسل الى راجيا ومناشدا أن أصارحه بجلية الامر ٠٠ وحين رأى اصرارى على الصمت بدأ يخرج عن طوره ، فراح يصيح فى قوة وعنف ٠٠ لكن صياحه لم يقنعنى باطلاعه على السبب ، حتى بدأ يسبنى ويهيننى ٠٠ وبلغ انفعاله



حدا خشيت معه عاقبة هياجه ، فوجدتنى ـ على أثر كلمة جارحة بدرت منه ـ ألقى فى وجهه بالحقيقة كاملة !

« وعندئذ خمدت ثورته فجأة ، ولبث لحظات يحدق فى بعينين زائغتين .. ثم رأيته يتناول بغتة من فوق مكتبى « المجز » الطويل الذى استخدمه فى رسم « هوامش دوسيهاتى » ، ويلقى بنفسه على بكل قوته ، رافعا ذراعيه بالآلة الحادة .. ثم شعرت بشىء يخترق رقبتى فوق الصدر مباشرة ، وان لم أحس أى ألم فى البداية ! » (انتهت أقوال المجنى عليه)

*

« .. ذلكم ـ يا حضرات المستشارين ـ هو تصوير الجريمة كما وقعت .. بكل بساطة !.. فأى دفاع عن المتهم فى جعبتى أبلغ من هذا التبرير الوارد على لسان المجنى عليه نفسه ؟.. ان جريمة موكلى الحقيقية هى أنه قد وثق فى زوجته الثانية ثقة عمياء ، لانه وثق فى زوجته الاولى ثقة فى محلها !

« .. وهذه جريمة لا يعاقب عليها القانون ..! »

*

وبعد أن خلت المحكمة للمداولة أصدرت حكمها .. ببراءة المتهم !


TESLA
راديو تسلا
الراديو الصغير ذو المزايا الكثيرة
موديل تالسمان ٣٠٧ موديل ١٩٥٤
٤ لمبات
موجة متوسطة
موجتان قصيرتان
مكبر صوت قوى
مزود بايريال داخلى
تيارين ١١٠/٢٢٠ فولت
داخل علبه بلاستك الوان مختلفة
الثمن ١٧و٥٠٠ جنيها
الوكيل والموزع الوحيد
عزيز بولس
مصر الاسكندرية



«كانت البحيرة قد انتشر فوقها ضباب أبيض منخفض، بدت خلاله هامات الاشجار التى على الضفة الاخرى وكأنها غابة عائمة فوق السحاب .. وكان السكون شاملا رهيبا ، لا تعكره خفقة من اغصان الشجر او نغمة من تغريد الطير .. بل ان الضفادع ذاتها كانت قد كفت وقتئذ عن النقيق !

«وفجأة توقفت (لورا) فى مكانها مفزوعة وهمست لاختها وهى تجذبها من ذراعها ، وقد تولتها رجفة شديدة :

ـ ماريان ! الا ترين شيئا ؟ أنظرى !

«كان هناك شبح يتسلل فى بطء بمحاذاة شاطىء البحيرة ، ميمما شطر مخزن الزوارق ، وقد احاطت به هالة من الضباب .. فسألت لورا شقيقتها هامسة :

ـ هل تظنينه رجلا أم امرأة ؟

ـ يخيل الى انه امرأة !

ـ ماريان ! انى خائفة .. !

اقرأ القصة كاملة فى الكتاب الثانى من « مطبوعات كتابى » الذى يصدر قريبا :

ذات الثوب الابيض

الرواية العالمية الخالدة التى ستقرأها فى ليلة واحدة !

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : «كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » للعالم النفسانى ماكدونالد لاديل ، ثم «طريق السعادة الزوجية» لفردريك برينك ، و «مركب النقص» تاليف و. ماكبرايد، و «حواء الجديدة» - مرشد المرأة العصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده - للدكتور كورتنى بيل، ثم « كيف تقهر الخجل » تأليف س. تيار ، و «كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة » لجون كنيدى ..

ثم قدمت لك فى الاعداد التسعة التالية ، من فنون الحياة التى شرحها المفكر العالمى «اندريه موروا»: فن الحب، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم انتقلت بك منذ العدد (١٦) من صحبة اندريه موروا المتعة الى صحبة مفكر عالمى آخر هوالفيلسوف الانجليزى المعاصر « برتراند رسل » فى كتابه المشهور « غزو السعادة »

وفى العدد الماضى قدمت لك الكتاب الخالد «التحليل النفسى» لمؤسس علم النفس «سيجموند فرويد» .. واليوم اقدم لك فيما يلى هذا الكتاب الشائق الذى يشرح لك سبل النجاح فى الحياة بطريقة «عملية» فى متناولك ..

الفصل الاول

السلاح السحرى !

◆ **هناك** قوة دافعة ، قوة مسيطرة ـ أو سمها علما من العلوم ـ لم يوفق الى فهمه على مر القرون سوى القليلين ، فاستغلوه بنجاح باهر فى الوصول الى ما يبغون فى الحياة ٠٠ وهذا جل ما يصبو اليه كل انسان ٠ وليست الوسيلة اليه سرا محوطا بالطلاسم ، بل ان فى وسع كل شخص ـ صادق مع نفسه ، مخلص لها ـ أن يبلغ أمانيه مهما سمت وارتفعت ٠٠ ومفتاح الطريق الى ذلك سهل ، بسيط ٠٠ فجربه !

وانى لادرك أن بين من يقرأون كلامى هذا من سوف يرموننى بالحماقة أو الدجل ، ولهؤلاء أحب أن أذكر أننى قضيت سنين عديدة فى عمل وجهاد شاق ، كما مكثت أمدا طويلا صحفيا صعب المراس ، لا أطمئن الى شىء ٠٠ وخلال ذلك قرأت آلاف الكتب عن علم النفس الحديث، وعلم ماوراء الطبيعة، واللاهوت، والسحرالقديم، ومذاهبالتصوف، والعلوم الدينية، والتوحيد، والفكر الجديد ، وغير ذلك مما أسميه « حشو الذهن » ، فضلا عن تعاليم عظماء أقطاب الماضى وفلسفتهم ٠٠

ولقد وجدت الكثير منها لغوا ، ووجدت منها ما هو غريب محير ، كما كان منها كثير من العلوم العميقة ٠٠ **وما لبثت أن اكتشفت تدريجيا ذلك الخيط الذهبى الذى يتخلل جميع التعاليم ، والذى يمكن تسميته ب « الايمان » ، فأصبح سحر الايمان محورا تدور حوله أفكارى دائبة ، اذ أن علم الفكر والتفكير ولد مع الانسان من بدء الخليقة ٠٠**

وأنا اذ أعرض عليكم هذا العلم الميسور التطبيق ، أدرك انه

عولج من قبل من نواح عديدة ، لا سيما النواحى الدينية ٠٠ ولكننى أعرف كذلك أن كثيرا من الناس ينفرون من أى شيء يتسم بطابع الدين ، أو ما وراء الطبيعة ٠٠ ومن ثم رأيت أن أعرضه بلهجة رجال الاعمال :

مشيتك تعكس شخصيتك

◆ **تأمل** ما حولك ، وأنت تقرأ هذه السطور : ان الفكر هو أول من ابتكر الاثاث ، وأبدع شكل زجاج النافذة ، والستائر ٠٠ وكذلك الامر بالنسبة للسيارات ، والطائرات الكبيرة ، وآلة الحياكة ، بل والدبوس الصغير ، وملايين الاشياء الاخرى ٠٠ كلها نبعت من مورد واحد ٠٠ من تلك القوة العجيبة ٠٠ الفكر !

ثم ان مشيتك ، والطريقة التى تشد بها قوامك ، ولهجتك فى الكلام ، وذوقك فى اللباس ٠٠ كلها تعكس طريقة تفكيرك ٠ فاسترخاء القوام ينم عن استرخاء التفكير ، والقوام المشدود ، المنتصب ، يوحى بقوة داخلية وثقة ٠٠ فمظهرك الخارجى يعكس حقيقتك التى فى أطواء نفسك ٠٠ اذ ما أنت الا نتـــاج فكرك وتفكيرك ٠

وهكذا الفكر ، مورد كل ثروة ، وكل نجاح ، وكل كسب مادى ، وكل كشف عظيم أو اختراع كبير ، وكل عمل مجيد ٠٠ فأفكار الانسان اما أن ترفعه ، واما أن تخفضه وتحطمه ٠٠

ولقد مرت بى فترة من الوقت كنت أضحك فيها ممن يتحدثون عما للفكر من قوة مغناطيسية جذابة ، تؤثر على الناس والاشياء ، ولو على أبعاد شاسعة ٠٠ ولكننى اليوم لم أعد أضحك ٠٠

فليبحث كل امرىء عن الكنز الدفين فى أعماقه ٠٠ فان لديه لقوة دافقة ، ومورد لا ينضب ٠٠

حدد لنفسك ما تبغى ٠٠

◆ **وأول** ما ينبغى تحديده ، هو أن تعين بالدقة بغيتك ٠٠ ولنبدأ بالفكرة العامة ٠٠ انك تبغى النجاح ، ولكن هذا ليس

بالشيء المحدد ، بل لا بد أن فى ذهنك صورة أكثر تحديدا •• فاذا اتخذنا الثروة مقياسا للنجاح ، فهل تستطيع أن تحدد القدر الذى ترجوه بالارقام ؟•• ولو قسنا النجاح بالاعمال التى يمكن احرازها فى ميدان آخر ، فهل تستطيع أن ترى بالتفصيل ما تستطيع تحقيقه منها ؟•• ان جوابك يستطيع أن يقرر حياتك بأسرها من الآن فصاعدا •• اذ أن معظم الناس يشعرون بالرغبة في أن يكونوا ناجحين ، ولكن كل شيء – فيما عدا هذا الشعور – يظل غير واضح ••

ومن ثم يجب أن تبدأ برغبة محددة ، وبالانتباه الى ذبذبة أفكارك ••

ونستطيع أن ندرك كنه الذبذبات اذا عرفنا ان جهازنا العصبى لا يتأثر الا عن طريق هذه الذبذبات•• وبمعنى آخر ان حواسنا الخمس المعروفة : البصر، والسمع، والحس، والذوق، والشم ، لا تعمل الا بالذبذبات الصادرة عن الاشياء التى خارج كياننا •• فنحن لا نسمع الا عن طريق ذبذبات الصوت ، ولا نبصر خضرة أوراق الشجر ، الا حين تلتقط العين ذبذبات اللون – الخ •• وهكذا نحن لا ننجح الا حين نلتقط ذبذبات الفكر •• كما سترى

الرغبة واستجابة الفكر هما مفتاحا النجاح

نخلص من هذا الى أن قوة الفكر تكمن فى الرغبة والذبذبة•• فهما مفتاحا النجاح ، والسبيل الى ترويضهما بسيط : سحر الايمان •• وهو قوة ذات سلطان تكمن فى نفوسنا (أو بالاحرى فى عقلنا الباطن) وتعمل باستمرار ودأب – مستقلة عن العقل الواعى – على تشكيل أفكارنا ، ومشاعرنا ، وحركاتنا ••

ويسمى البعض هذا الجزء من كيناننا العقلى الذى يكمن فيه الايمان ب «النفس»، ويسميه آخرون بالذات السامية، أو الوعى الاعلى ، أو العقل اللاواعى ، وأسماء أخرى عديدة •• ومهما كان

اسمه فهو ليس بالعضو المادى الذى يتخذ كيانا مجسدا فى الجسم ، ومع ذلك فان من المعترف به انه روح الحياة ، وأن حدود سلطانه لم تعرف بعد ٠٠ فهو أبدا لا ينام ، وهو دائما يخف لمعونتنا فى أوقات الضيق والكرب ، وينذر بالخطر المحيق ، ويساعدنا على عمل ما يبدو مستحيلا ، ويرشدنا بأشكال وطرق عديدة ، فاذا أحسن استغلاله أتى بما نسميه المعجزات !

ذكر نفسك دائما بالرغبة التى ترجوها

◆ **ولكن** ٠٠ كيف نتصل مباشرة بهذه القوة العجيبة ؟ من أفعل الطرق فى هذا الصدد ، تكوين صورة ذهنية تركز فيها اعتقادك ويقينك بدرجة تجعل كل جارحة فيك تؤمن بهذه الصورة ٠٠ أى ـ كما يقول الادباء ـ تؤمن بفكرتك أو غايتك « قلبا وقالبا » !

والآن ، احضر أربع بطاقات من الحجم العادى ، واخل بها الى نفسك فسائلها عن الرغبة التى تشتهيها فوق كل رغبة ، فاذا عرفتها ، ووثقت من أنها أعز رغباتك وأهمها ، فسجلها على احدى البطاقات بكلمة أو اثنتين ٠٠ « عمل » ٠٠ أو « عمل أفضل » ٠٠ أو « مزيد من المال » ٠٠ الخ ـ ثم اكتب الكلمة نفسها على كل من البطاقات الاخرى ، ثم احتفظ باحداها فى حافظة نقودك ـ أو حقيبة يدك ، بالنسبة للمرأة ـ وثبت الثانية الى جوار فراشك ، والثالثة الى المرآة التى تتخذ عندها زينتك ، والرابعة الى مكتبك ٠٠ وذلك لترى بعقلك أمنيتك ـ أى تذكرها ـ فى كل ساعة من ساعات النهار ٠٠

اتبع الافكار التى تواتيك قبيل النوم !

◆ **واللحظات** السابقة للنوم ـ فى الليل ـ أو التالية لليقظة ـ فى الصباح ـ من أهم اللحظات اطلاقا لتركيز الافكار بقوة شديدة ٠٠ وان كان لاينبغى أن تقصر تفكيرك فى أمنيتك على هاتين الفترتين ، فكلما تمثلتها كنت أسرع سعيا لتحقيقها ٠٠ وقد لاتستطيع فى البداية أن تتصور النتائج التى تترتب

على ذلك ، فلا تشغل نفسك بها ، بل دعها للعقل دون الواعى اذ أن له أساليبه الخاصة فى خلق الاتصـــالات وفتح الابواب والمسالك ، فلا تلبث أن تتلقى المعونة من أبعـــد الموارد عن بالك ، وأن تستقبل الآراء فى أوقات أبعد ماتكون عن أن تتوقعها فيها ٠٠ فقد تتملكك فجأة فكرة زيارة شخص لم تسمع عنه من أمد طويل ، بل لم تره قط من قبل ٠٠ أو قد يخطر لك أن تكتب خطابا ، أو تقوم باتصال تليفونى ٠٠ **فاتبع الفكرة كيفما كانت ونفذها ٠٠ واحتفظ دائما بقلم وورق الى جوار سريرك لتسجل ما يعن لك بالليل من أفكار حتى لاتنساها مع الصباح ٠٠ وكم من موفقين فى الحياة يحرصون على هذه السنة !** ٠٠ تذكر أصحاب الاعمال الناجحين الذين يحتفظون فى مكاتبهم بصور أو تماثيل لعظماء التاريخ ، أو بلوحات خطية لشعاراتهم وأقوالهم المأثورة ٠٠ انك ـ باتباع ما ذكرت ـ تستغل نفس القـــوى الحافزة الشاحذة ، ولكن بطريقة أكثر تركزا وانعقادا على الهدف ٠٠

وغنى عن الذكر أنك يجب أن لا تنبىء أحدا بشىء عن معنى الكلمات التى سجلتها على البطاقات ، أو عن الرغبة التى تسعى لتحقيقها ، فانك ـ حين تتعمق فى فهم هذا العلم ـ لن تلبث أن تتبين أن ذبذبات الفكر قد تنقلب ـ سواء عن وعى أو بطريقـة لا شعورية ـ الى عرقلة تعترض طريقك ، بسبب الحسد ، أو أى سبب آخر ٠ ثم انك بحديثـك عما تعتزم عمله ، تبعثر قواك وتشتتها ، وتفقد اتصالك الوثيق بعقلك دون الواعى ٠٠

الايحاء عن طريق التكرار ٠٠

◆ **والتكرار** عامل جوهرى فى اقناع العقل بالفكرة المطلوب تحقيقها ٠٠ فالعقل جهاز حساس ، مستعد للاستقبال الى أقصى درجة ، فمن الميسور اقناعه بما تعرضه عليه من اقتراحات ـ سواء كانت خاطئة ، أو سلبية ، أو ايجابية ـ وهو لايلبث حين تثبت فيه هذه الاقتراحات أن ينشط بكل مواهبه وقواه لتحقيقها ٠٠

وكلما كانت الكلمات التى تكرر مبسطة ، كانت النتيجة أفضل .. فاذا كنت شقيا - مثلا - فاستخدم عبارة «أنا سعيد» ، وكررها لنفسك ٢٠ أو ٣٠ مرة .. أو « أنا قوى » ، أو « أنا ودود » ، أو « كل شيء على مايرام » .. كل هذه تأكيدات بسيطة تستطيع أن تستخدمها لتحسين اتجاهاتك الفكرية ، على شريطة أن تواصل توكيدها بالتكرار حتى تصل للنتائج المنشودة

والشخص الذى يرسم صورة واضحة لافكاره على الدوام ، عن طريق التكرار ، يستطيع أن يحقق مبتغاه فى أقصر وقت وبأقل جهد بدنى ، دون أن يتكلف أكثر من استمرار متابعة فكرته دون انقطاع ..

فاذا كنت تسعى وراء عمل أفضل من عملك ، أو وراء علاوة أو ترقية ، فلا تكتف باستخدام البطاقات ، بل امض فى تكرار رغبتك لنفسك ، اذ أن التكرار يدفع الفكرة الى أعماق نفسك - أو عقلك دون الواعى - كما تدفع الدقات المتتالية مسمارا فى لوح خشبى !

واذا شئت ايضاحا أكثر ، فان المعروف أن الفراغ الواحد لايمكن أن يتسع لجسمين فى وقت معا .. وعقلك مثل هذا الفراغ ، لايمكن أن يظل مليئا بأفكار سلبية أو هواجس ، اذا كان فى وسعك أن تملأه بأفكار ايجابية ، قوية ، حافزة ..

تصور عقلك كحجرة ليس لها سوى باب واحد ، تملك وحدك مفتاحه الاوحد ، فأنت اذن الذى تقرر من يحق له الدخول ومن لا يحق له .. وهكذا يستجيب عقلك الباطن - أو غير الواعى - للذبذبات الفكرية التى تكون أقوى من سواها لديك .. فاذا أنت سمحت للهواجس والمخاوف بدخول عقلك ، اضطرت الافكار الايجابية الانتاجية للانسحاب ، فتفقد حالتك الايجابية .. أى تفقد تحفزك للعمل .. والعكس بالعكس

نحن نحصل على ما نفكر فيه ٠٠

◆ **ومرة أخرى** أقول ان التكرار ذو أهمية حيوية ٠٠ فاذا شئت بيتا ــ مثلا ــ فاعمد بمجرد أن تلمح هــذه الرغبة لاول مرة فى تفكيرك ، الى توكيدها ٠٠ مستخدما لهذا الغــرض أية صورة من صور التوكيد ، كأن تكرر فى تصميم : « سأحصــل على هذا البيت ٠٠ سأقتنى هذا البيت » ٠٠ ولسوف تنتهى الى أن يكون ذاك البيت لك يوما !

وهكذا نحن نحصل عادة على مانرجو ونتوقع ونتجه اليــه بأفكارنا ، اذ أن التفكير مقدما فيما نرجو كفيل بأن يسـيطر على كل مانفعــل ٠٠ وفى ذلك يقــول رجل واســع الثراء ــ يبــدو كأنه فى الستين فقط وان كان قد بلغ الثــامنة والسبعين ! ــ انه لا يزال يأمر عقله غير الواعى ــ أى نفسه بمعنى أبسط ــ بالانهماك فى العمل من أجله ٠٠ « **اننى أتحدث الى نفسى كما أتحدث الى أى فرد ، وقط لم أخش أن تعصى لى أمرا ٠٠ فاذا اضطربت معدتي ، أمرتها بأن ترجع الى حالتهـا الطبيعية، واذا شئت أن أستيقظ فى الخامسة صباحا دون حاجة الى جرس المنبه أمرت عقلى الباطن بايقاظى ٠٠ ولم أخفق فى شىء من ذلك أبدا الى اليوم ٠٠ وفى رأيىى أن العقل الباطن يسيطر على أعمارنا ، فلقد آمن الناس منذ قرون بأن الانسان يشيخ فى سن الستين ، ومن ثم فالذين يسلمون بهذه القــاعدة لا يتمالكون سوى أن يشيخوا اذا بلغوا تلك السن ، لان العقل الباطن يؤمن بهذه الفكرة ٠٠ أما أنا فأرفضها !** »

وهكذا تستطيع أن تطيل عمرك اذا حررت عقلك الباطن من فكرة التداعى والانهيار ٠٠

قيمة التكرار فى تحقيق الامانى

◆ **ومن** جديد أقول ان التكرار هو النغمة الرئيسية فى كل ما تقدم ٠٠ انه كشهيق القاطرة وزفيرها وهى تجر القطار عبر

القارات ٠٠ وكالفرقعات المتوالية التى تولد القوة فى محرك السيارة٠٠ أو كانصباب الماء المتوالى على أذرعة مروحة«التوربين» التى تولد الكهرباء٠٠ أو طرقات القادوم اذ تدفع المسمار الى المكان المختار له ٠٠ أجل ، انه تكرار فكرة فى العقل الواعى لتؤثر على عقلك الباطن والعقول الباطنة للغير ٠٠

وفى تاريخ دمار قرطاجنة ـ التى كانت موئل أعظم قوة بحرية فى الماضى ـ مثال لقيمة التكرار ، اذ كان السياسى الرومانى الكبير « كاتو » قد اقتنع بأن لا حياة لروما وقرطاجنة قائمة ، فكان يختتم خطبه فى مجلس الشيوخ بقوله : « لا بد من دمار قرطاجة » ٠٠ وظل يردد هذه العبـــارة حتى راح الرومانيون يرددونها وراءه ، حتى فى نومهم ٠٠

ودمرت قرطاجنة !

حذار من التأثر بأفكار الغير

◆ **وكثير** من الناس يصـــابون بالقنوط اذ يدعون تأثير الافكار السلبية لدى غيرهم يمتد اليهم ٠٠ وهذه نقطة ضعف عند كثير من الباعة ومروجى السلع ، اذ يسرفون فى التأثر بما يقوله العملاء من أسباب لانصرافهم عن الشراء ٠٠ ولا شك أن تكرار الافكار السلبية كفيل اذا ما استمر طويلا أن يثبط أقوى العزائم ، ما لم يقابل بالاستغراق فى تأمل الافكار الايجابية وانعاشها ٠٠

ونحن جميعا ضحايا الافكار الموعزة التى تصل فى كثير من الحالات الى الايحاء ٠٠ فنحن نسلك طريقا معينة فى الحياة لمجرد اننا ظللنا نسلكها سنين عديدة ٠٠ ونحن نرتدى طرازا معينـــا من الثياب ، ونتشبث بعادات بعينها ، لمجرد اننـــا استدرجنا ـ خلال الافكار الايعازية التى تنصب علينا من كل جانب دون نهاية ـ الى الايمان بأن هذا ما ينبغى أن نفعل !

وقد لاحظت أن أولئك الذين يمارسون علم الايمان عن وعى،

وأولئك الذين يستغلونه دون أن يفطنوا اليه ، ذوو نشاط وقوى هائلة ، فهم لا يقتصرون على شحذ تصوراتهم والتشبث بعقائدهم ، بل يقرنون ذلك بالعمل ، فيأتون جلائل الاعمال ٠٠ ويتطرق بى هذا الى قول مأثور من أهم القواعد فيما نحن بصدده ٠٠ ذلك هو أن « الايمان بدون عمل ايمان ميت عقيم ! »

ولقد كان الرئيس روزفلت يؤمن بقوة الايمان والعقيدة ٠ ويؤثر عنه أن طبيبا كان قد سأله عن العلاج الذى اتبعه حين أصيب بشلل الاطفال، فكتب اليه يقول : « ان التدليك والتعرض لاشعة الشمس والتمرينات الخفيفة ، أمور مهمة فى العلاج ، ولكن الاهم من كل علاج هو ايمان المريض بأنه لن يلبث أن يبرأ» ٠٠ وهذا مثال رائع لما يأتيه الايمان من أعمال سحرية

الفصل الثانى

◆ **ما من شك** فى أن الحاجة الى المال هى أقسى مشكلة تصادف معظم الناس ٠ ويستطيع تفكيرك اذا اتجه اليها أن يقودك الى طرق ووسائل لكسب المزيد ٠٠ ولقد تعرفت أثناء عملى فى المصارف على كثير من الاغنياء ، فتبينت أن كلا منهم قد أوتى « وعيا ماليا » ، فهو يعرف كيف يفكر فى الحصول على المال تفكيرا صائبا وينفذ أفكاره ٠٠

وفن الحصول على بغيتك واحد مهما كانت الرغبة ، ويتمثل فى تحديد الرغبة والمضى فى تطمين النفس الى أنك ستنالها ٠٠ وليس معنى هذا أن تقبع جامدا ، ترقب وتنتظر ، بل امض دائما الى العمل محتفظا بهدفك فى فكرك ٠٠ ففى حالة الرغبة فى المال مثلا ، اشرع فى الاقتصاد والتوفير ، اذ أن كل درهم تدخره من دخلك يكون بمثابة خطوة تقربك من الثراء الذى تنشده ٠٠ وكلما ازداد ادخارك كان توفر الثروة أسرع ٠٠ على

أنك ـ الى جانب هذا ـ ستجد الامر مثيرا ، ومحفزا ، اذ لن تلبث فرص الاستثمار المربح أن تطرق بابك من حيث لا تحتسب ولا تدرى ، وعندئذ لا تندفع وراء كل مشروع ، بل يجب أن تسعى الى خير المشورة قبل أن تبذل مليما واحدا ٠٠

وأذكر فى هذا الصدد امرأة وابنتها جمعتا فى خمس وعشرين سنة أكثر من مائتى ألف جنيه أصبحت اليوم تستثمر فى بيوت ومبان تؤجر ٠٠ وكان منشأ هذه الثروة بسيطا : فان زوج المرأة مات عقب الحرب العالمية الاولى بقليل ٠ وكان على المرأة أن تفكر فى كسب قوتها وقوت ابنتها ، ولكنها لم تكن قد اكتسبت خبرة ما ، اللهم الا تدبير بيتها وطهى الطعام لاسرتها ٠٠ وذات صباح ، ومضت الفكرة فى ذهنها ! كان زوجها قد خلفها وابنتها فى بيت كبير واسع ، فخطر لها أن تؤجر بعض غرفه للنزلاء ٠ وسرعان ما واتاها النجاح سريعا ، فلم ينقض عامان حتى باعت البيت بربح كبير ، وابتاعت آخر أكبر منه ، على مقربة من منتدى ذائع الصيت ، واستطاعت بما كانت تجيد طهوه من طعام أن تجتذب رواد النادى ٠٠ **ومع أنها استخدمت عددا كبيرا من الخدم ، الا أنها لم تكن تأنف من أن تؤدى أية مهمة ـ مهما كانت وضيعة ـ فى أويقات ضغط العملاء ٠٠** ولم يلبث أحد رجال الاعمال من نزلاء دارها أن اقترح عليها افتتاح قاعة للشاى ، وتعهد بأن يدبر لها المال الكافى لنفقات المشروع ٠٠ وسرعان ما أصبحت قاعة الشاى المكان المفضل لدى رجال الاعمال ، اذ كانت المرأة تستقبل الضيوف بنفسها ـ فى سويعات الازدحام ـ بينما تجلس ابنتها الى الخزانة ٠٠ فاذا خف الضغط ، مضت الى المطبخ تساعد عمالها وترشدهم ٠٠ وهكذا أثرت هذه المرأة بفضل ما أوتيت من « وعى مالى » !

ثق بالفكرة يسهل عليك الحصول على المال

◆ **والواقع** أن الشخص الذى يؤتى فكرة عملية قلما يعييه الحصول على المال للانفاق على تحقيقها ٠٠ ولكنه يجب أن يكون

مؤمنا بها ، واثقا منها ، قبل أن يسعى لاقناع الغير باقراضه المال لها ٠٠ فالجأ دائما الى علم الايمان اذا وجدت ممولا يعينك على تنفيذ مشروعك ٠ واعلم أن الثروات الكبرى لا تجمع فى يوم وليلة ٠٠ فان شئت أن تجمع لنفسك ثروة ، فانصرف بعقلك وقواك الى العمل ، تجدها تسعى اليك ٠٠ كل ما عليك هو أن تستغل سحر الايمان !٠٠ ذلك لان كل شيء مرده فى الاصل الى فكرة تتملك عقل انسان ٠٠ والشخص الذى يبيع سلعة ، انما يبيع فى الواقع فكرة ٠٠ فاذا كانت السلعة آلة ، فأساس بيعها هو ما يمكن أن تؤديه من عمل ٠٠ واذا كان غذاء ، توقف بيعه على مدى قيمته الغذائية وطعمه ٠٠ وهكذا ٠

وهناك مثل قديم يقول : « اذا لم تسر وراء أفكارك سرت وراء أفكار من يتبع أفكار نفسه » ٠٠ وهذا المثل يبين الفارق بين الزعيم ومن يتبعه ٠٠ ومن ثم فان الذى لا يفكر ، أو لا يستغل ما أودع من مواهب فى الابتكار والابداع ، يجد نفسه مسوقا دائما الى تلقى الاوامر ممن يفكرون ويستغلون مواهبهم ٠٠ وما دمت لا تفكر ، فلا بد من أن تعمل ٠٠ وفى هذه الحال يكون جزاؤك أقل ٠٠

لهذا ينبغى أن تحدد نوع العمل الذى تريد وأن ترسم له صورة واضحة فى ذهنك ، ثم استخدم البطاقات التى حدثتك عنها فى الفصل السابق ، وتأكد من أن الامور التى تقدم عليها ، هى نفس تلك التى تضمنتها الصورة التى فى ذهنك ، وعندئذ لن تلبث أن تجدها تؤتى ثمارها ، لان كل فكرة تثبت فى ذهن صاحبها وتلح عليه ، لا بد من أن تخرج الى حيز الوجود المادى ان عاجلا أو آجلا ٠٠

وأنت لا بد قد قمت برحلة فى احدى عطلاتك ، فهل حاولت أن تحلل العملية الذهنية التى انطوت عليها الرحلة ؟٠٠ ان المرء منا يبدأ بالتفكير في الرحيل ، ثم يحدد المكان الذي يسافر اليه ،

ولا يلبث أن يصور لنفسه معالمه ومناظره ، فلا تلبث أن تستحيل الفكرة الى مشروع مدروس ، لانك رأيت نفسك تنفذه ٠٠ قبل التنفيذ الفعلى ٠٠ فطبق الطريقة نفسها على كل شيء ترغب فيه ٠٠

يفيق من الخمر بقوة الايحاء الذاتى !

◆ **ولقد** شرحت من قبل طريقة البطاقات ٠٠ وهناك طريقة أخرى أسميها « خطة المرآة » ٠٠ وأحب قبل أن أشرحها أن أروى كيف تبينت جدواها :

دعيت منذ سنوات الى العشاء على مائدة رجل أعمال غنى مقتدر ٠ وكان قد دعا معى نفرا من أصحاب الصحف ، وكبار رجال المال والصحافة ، ليشرح لهم تجديدا توصل اليه فى الصناعة ٠٠

وأديرت كؤوس الخمر بغير حساب ، فلم يمض طويل وقت حتى لعبت بالرؤوس ، ورأس صاحب الدعوة بالذات ٠٠ وقبل أن يقدم الطعام لمحته يتسلل مترنحا الى غرفة نومه ، فتسللت وراءه ، ووقفت عند الباب أرقبه ٠٠ فاذا به يتشبث بحافة مائدة الزينة بكلتا يديه، وهو يتمتم بكلمات خلتها هذيانا، ثم لم ألبث أن تبينت أنه كان يقول: « **ويحك يا جون ٠٠ لقد سعوا لكى تثمل ، ولكنك ستخيب ظنهم ٠٠ انك منتبه ٠٠ لست سكرانا ٠٠ فى أتم اليقظة ٠٠ يجب أن تفيق وتتنبه !** » ٠٠ وكان يكرر هذه الكلمات وهو يحدق فى عينيه المنعكستين على صفحة المرآة ٠٠ ولاحظت تغيرا يطرأ على الرجل ٠٠ أخذ جسده ينتصب ، وعضلات وجهه تنبسط ، ومخايل السكر تتلاشى ٠٠ وسرعان ما عاد الرجل فتصدر المائدة من جديد ، وقد استرد حواسه واتزانه! ٠٠ ولم تستغرق العملية سوى خمس دقائق ، وهى سرعة قياسية فى هذا الباب لم أر مثيلا لها طوال حياتى كصحفى أتيح له أن يرى فى دوائر البوليس سكارى كثيرين !

وقد أرشدت آلاف الناس فى السنوات العديدة الاخيرة الى « خطة المرآة » ، فأسفرت عن نتائج بينها ما يدعو للدهشة

والاعجاب ٠٠ وكان بين من أشرت عليهم عددا من النساء، كانت كل منهن تبدأ قصتها بنوبة من البكاء ، فكنت أعمد أولا الى ايقافهن أمام مرآة كبيرة وأسألهن أن يتفرسن فى صورهن المنعكسة على صفحتها ، ثم يتأملن أعينهن فيها ، ويروين لى ما يطالعهن فيها ٠٠ ثم يقررن ما اذا كن طفلات باكيات ، أو مجاهدات يصممن على علاج أنفسهن بأنفسهن ٠٠ وتبينت أن المرأة لا يمكن أن تبكى وهى تتأمل صورتها فى المرآة ، اما لان كرامتها وخجلها يستيقظان ، واما لانها تأبى أن تظهر بمظهر الطفلة المتخاذية ٠٠ واذا كان هذا مسلك النساء ، فكم بالاحرى يكون خجل الرجال مثلا من البكاء !

اذا أقنعت نفسك أقنعت سواك !

◆ **ولقد** استخدم كثير من الخطباء والوعاظ والممثلين ورجال السياسة « خطة المرآة » سنين طويلة ، فهى من أقوى الاساليب لايقاظ قوى العقل الباطن ٠٠ فأنت اذ تستخدم المرآة أثناء تجربة خطاب توشك أن تلقيه ، تصور لنفسك مقدما ما ستكون عليه عند القاء الخطاب ٠٠ فتستعرض صوتك ، وكلماتك ، ومنظرك ٠٠ ومن ثم تضاعف الذبذبات العقلية التى ستنفذ بها قوة كلماتك ومعانيها الى نفوس من يستمعون اليك والى عقولهم الباطنة

ولعلك سمعت القول المأثور : « اذا استطعت اقناع نفسك ، أمكنك اقناع سواك » ٠٠ وهذا حق ، فكل حركة شعبية كبيرة فى التاريخ ـ سواء قامت على أسس دينية أو عسكرية ـ انما انبعثت من شخص واحد ، منحه ايمانه المتقد بقضيته قوة على أن يكتسب تأييد الآلاف ٠٠ فان للحماس « عدوى » تنتقل الى الغير كما تنتقل عدوى الامراض !

و « خطة المرآة » أسلوب سهل ، فعال ، يمكن المرء من أن يعزز ايمانه في مقدرته ، فيضاعف بذلك قوة حماسه ٠٠ وهي

وسيلة هائلة يمكن بها استغلال ما للعقل غير الواعى من قوة عارمة فى التأثير على أولئك الذين نعاملهم ٠٠ وسواء أدركنا أو لم ندرك ، فالواقع أن كلا منا « يبيع » شيئا من شخصيته ، أو خدماته ، أو آرائه ٠٠ اذ أن كل العلاقات البشرية تقوم على بيع شيء مما ذكرت ، فاذا انصرف الواحد منا الى محاولة اقناع الغير بطريقته فى التفكير ، فانما ينهمك فى عملية من عمليات البيـــع !

كيف تؤدى التمرين أمام المرآة ٠٠

◆ **والآن** ، قف أمام مرآة كبيرة ، طويلة ، تمكنك من أن ترى كل جسمك ٠٠ الى الوسط على الاقل ٠ واعتدل فى وقفتك، وقرب أحد كعبيك من الآخر ، وأبرز صدرك ، ولا تدع بطنك بارزا، وارفع رأسك، ثم تنفس ثلاث أو أربع مرات بشدة، حتى يتملكك شعور بالقوة ، والارادة ٠٠

ثم حدق فى أعماق عينيك ــ على صفحة المرآة ــ وقل لنفسك أنك ولا بد ستنال ما تبغى ٠٠ واذكر الشيء الذى تبغيه باسمه، وبصوت عال ، وتأمل شفتيك وهما تتحركان بلفظه ، أثنـــاء سماعك اللفظ ٠٠

ولسوف تدهش للنتائج التى تجنيها اذا كررت هذا التمرين مرتين على الاقل فى اليوم ٠٠ مرة فى الصباح وأخرى فى المساء ٠٠ وتستطيع أن تضاعف مفعول هذه الطريقة ، اذا أنت كتبت بالصابون على صفحة المرآة عبارات أو كلمات تنم عن رغبات سبق أن فكرت فيها ، ورسمت لها صورة فى ذهنك تقربها الى الحقيقـة ٠٠ فلا تنقضى أيام قلائل حتى تكون قد أنميت فى نفسك الشعور بالثقة الى درجة لا تتصورها !

ولا تكف وأنت أمام المرآة عن أن تكرر لنفسك أن لا شيء فى الدنيا يستطيع أن يثنيك عن غايتك ، فكلما استوعب عقلك غير الواعى هذه الفكرة ، كلما أسرعت رغبتك فى التحول الى صورة قوية فعالة ٠٠

فى استطاعتك اصلاح مواطن ضعفك

◆ **ولقد** قيل الكثير عن قوة العينين ، فهما نافذتا النفس، وهما تكشفان عما يجول بالخاطر ، وهما تفصحان عن صاحبهما بأكثر مما يتصور ، وتمكنان الغير من أن يسبروا غوره ، ويعرفوا كنهه ٠٠ ومهما كان الامر ، فانك لن تلبث بعد تكرار التدريب أمام المرآة أن تتبين **أن للعينين قوة لم تكن تدرك من قبل أن من الممكن توليدها فى نفسك ٠٠ قوة « ساحرة » أو « محركة » ، كما يعبر بعض الكتاب ٠٠ ولن تلبث أن تكتسب نظراتك تركزا ينم عن تركز أفكارك ، ويوحى للناس بذلك ٠٠ واذا عرفت أن مركزك فى الحياة يعتمد على ماتوحى به نظراتك، استطعت أن تدرك قيمة شحذ قوى عينيك حتى توحى للغير بالثقة !**

ويمكن الافادة من « خطة المرآة » فى نواح أخرى كثيرة ، فاذا كنت غير ممشوق القوام ، أو كنت متراخيا فى مشيتك ، فانك ستجد أن التدريب أمام المرآة يفعل العجب ٠٠ ومن ثم تستطيع بمعونة المرآة أن تشكل نفسك الى النوع الذى تريد الناس أن يروك عليه ٠٠ واذا كان بعض البارزين من رجال العالم ونسائه قد استخدموا خطة المرآة فى « انشاء » أنفسهم وزيادة تأثيرهم على الناس، فمن المؤكد أنك ــ بدورك ــ تستطيع أن تستخدمها فيما تتطلب وتنشد ٠٠ وانما ينبغى أن تكون قد أعددت خطة للعمل ، وأن تكون على معرفة بما تبغى ، وقد حددته تحديدا دقيقا ٠٠ ولو انك وفقت فى تعيين هدفك حقا ، لجاز لك أن تعتبر نفسك سعيدا ، لان هذه هى الخطوة الاولى التى تفضى بك الى النجاح ٠٠ وطالما تشبثت بالصورة العقلية التى رسمتها لفكرتك ، وشرعت فى العمل لتحقيقها ، فلن يقف بك شىء عن النجاح ٠٠ اذ أن العقل غير الواعى لا يتخلى قط عن تنفيذ أمر يصدر اليه واضحا ، محددا ، مؤكدا ، سواء عن

طريق البطاقات ٠٠ أو عن طريق المرآة ــ وهما أقوى وسيلتين فعالتين فى اصدار الاوامر للعقل الباطن

وآخر نصيحة أسديها اليك فى هذا المجال : حذار من أن يكون للغرور مكان فى هذا البرنامج ، فلا تستخدم المرآة مثلا فى التدرب على اتخاذ مظهر التعالى والغطرسة ٠٠!

الفصل الثالث

العقل الباطن يفكر لك أثناء نومك !

◆ **ذكرت** لك من قبل أن التكرار عنصر أساسى فى « سحر الايمان » ، وتطبيقا لذلك أعود الى بيان ما للعقل غير الواعى من أهمية بالغة :

لكل منا عقلان : أولهما العقل الواعى الذى يعمل فى المخ ، والثانى العقل غير الواعى أو العقل الباطن ٠٠ فالاول هو الذى تحس منه كلما أجهدت تفكيرك بأثر فى رأسك ، وقد يؤدى أحيانا الى صداع فى الرأس ، وكلل فى العينين ، وانتفاض فى أعلا الصدغين ٠٠

وكل فكرة تدور فى رأسك قد تكون من وحى شىء رأيته ، أو سمعته ، أو قرأته ٠٠ وقد تكون استئنافا لتفكير خطر لك من وقت طويل مضى ٠٠ والمهم فى الموضوع أنك تستطيع أن تصل هذه الفكرة بشىء موجود فى وعيك ٠٠ وقد يكون تفكيرك أحيانا متجها الى حل مشكلة عويصة ، فلا تلبث اذا أعياك الوصول الى حل أن « تطرحها عن ذهنك » ٠٠ وهى حال كثيرا ما تلجأ اليها فى الليالى التى تلح فيها على مخك فكرة ما فتذود النوم عن جفنيك ٠٠

والذى يحدث أنك ما تكاد «تصرف» الفكرة عن بالك ، حتى تبادر هى الى الغوص فى أعماقك ، فيخف توتر عقلك الواعى ،

ولا تلبث أن تنام ٠٠ فاذا استيقظت فى الصباح التالى ، عاد عقلك الواعى الى التفكير فى المشكلة ٠٠ وقد يحدث أن تفاجأ بصورة ذهنية تنبعث بغتة فتصور لك المشكلة وقد حلت تماما ٠٠ فأين ذهبت الفكرة حين غاصت ، وأية قوة فى أعماقك توصلت الى حل المشكلة ؟

الجواب هو : العقل غير الواعى ، أو العقل الباطن ٠٠ فالعقل الواعى مكانه فى رأسك ، فوق خط الوعى ٠٠ أما العقل غير الواعى ففى جسدك ، تحت ذلك الخط ٠ وبين العقلين اتصال: فالاول هو منبع الفكر ، والثانى هو منبع القوى المحركة ٠٠ منبع النشاط الذى يأتيه المرء ٠٠

٠٠ ولكنه لا يفكر لمن لا يؤمنون به

◆ **على** أن الفيلسوف الفرنسى « جوفروى » يقول : « ان العقل الباطن لا يتجشم عناء العمل لاولئك الذين لا يؤمنون به » ٠٠ ومن ثم ، فمن الضرورى أن لا تقتصر على أن تحس وتتصور نفسك ناجحا ، بل يجب أن تذهب الى أبعد من ذلك ، فترى عن يقين أنك أحرزت النجاح فعلا ٠٠ وعليك أن تنتظر الخطوة النهائية بالصبر ، بينما يعمل عقلك الباطن في جمع عناصر المشكلة ، ثم يحاول بطرقه الخاصة أن يحلها لك ٠٠ ولذلك لا ينبغى أن يصدر عنك أى تردد ، أو أى تحفظ ذهنى ، بل يجب أن تتلقى الرسالة التى يوحى اليك بها عقلك الباطن كقضية مسلم بها ، فتعمل طبقا لها فورا ، وبهذا فقط تستطيع أن تحمل عقلك الباطن على أن يخدمك ويواصل الاستجابة اليك كلما دعوته ٠٠

ولكن ، عليك أن ترسم أولا صورة ذهنية لرغبتك ، كما أوضحت فى طريقتى البطاقات والمرآة ٠٠ فمن المهم ـ الى درجة بعيدة ـ أن تتذكر أن العقل الباطن وان نشط للعمل تحت تأثير الاوامر أو الاقتراحات التى يتلقاها من العقل الواعى ،

أو التي تنبعث عن مصادر خارجية تبلغ اليه عن طريق العقل الواعي ، الا انه يؤتي نتائج أسرع لو ان العقل الواعى أرفق رسالته بصورة ذهنية للهدف المنشود ٠٠

ولنضرب لهذا مثلا : هب انك أردت بناء بيت جديد ، فنشط خيالك للعمل ٠٠ ففى البداية ، لا تكون لديك سوى فكرة مبهمة عن نوع البيت الذى تشاء ٠٠ فاذا ما بحثت الامر مع أسرتك ، أو ناقشت البنائين ، أو تأملت صور البيوت الجديدة ، أخذت صورة البيت الذى تشتهيه تزداد وضوحا ، حتى ترى البيت ماثلا فى ذهنك بكل دقائقه ٠

وبعد ذلك ، يبدأ العقل الباطن فى العمل لينيلك هذا البيت، متخذا أى الطرق ٠٠ فأنت قد تبنى البيت باشرافك ، أو تبتاعه جاهزا من صنع سواك ٠٠ فطريقة مجيئه لا تهم فى هذه الحالة

ولقد عرفت صائد أسماك كبير ، يستعين بطريقة التصور أو الرؤية الذهنية ، فيجلس فى قارب مع اثنين أو ثلاثة ٠٠ وبينما يجذب الخيط بالسمكة تلو السمكة ، تجد زملاءه يلقون « سناراتهم » فى نفس البقعة التى يلقى فيها شصه، مستخدمين عين الطعم الذى يستعمل، دون أن يفوزوا بطائل ٠٠ وقد سألته يوما عن السر فى ذلك ، فأجاب ضاحكا : « **اننى ألجأ الى السحر ٠٠ فأهبط فى ذهنى الى حيث تكون الاسماك فى قاع البحر ، واسألها أن تلتهم الطعم ٠ أى اننى أتصورها ـ بتعبير آخر ـ وهى تشتبك بالشص ٠٠** »

طبق النظرية ذاتهـــا فى المطبخ ، تجد أن أى شخصين يستطيعان أن يصنعا نفس النوع من الفطائر ، اذ يستخدم كل منهما عين المواد والنسب ويتبع التعليمات المعينة التى يتبعها الآخر تماما ، وبالحرف الواحد ٠٠ ومع ذلك يفشل أحدهما ، فى حين ينتج الآخر أشهى فطيرة !٠٠ لماذا ؟٠٠ لان الاول يبدأ فى العمل وهو يرتجف فرقا ، اذ سبق أن أخفق فى عمـــل الفطائر ، فهو مشفق من نتيجة هذه المرة ٠٠ ولانه لم يرسم

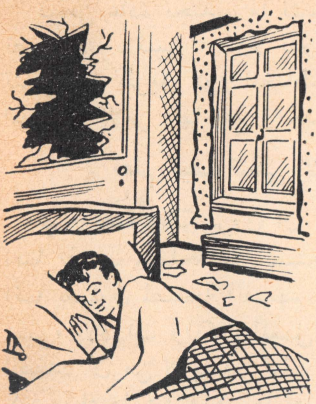


فى ذهنه صورة كاملة للفطيرة الشهية اللذيذة ، ومن ثم فهو متكدر ، منفعل ، ينقل قلقه هذا الى الفطيرة دون أن يشعر ٠٠ أما الشخص الآخر ، فيقدم وهو ملء بالثقة من أن فطيرته ستكون من أشهى الفطائر ، فلا تلبث الصورة التى رسمها لها فى ذهنه ، ولا يلبث ايمانه ، أن يجعلا الفطيرة شهية بالفعل !

واذا كنت يا سيدتى طاهية غير ماهرة ، ولكنك تميلين الى الطهى ـ وهذا شرط لازم ـ فلتوحى لنفسك بفكرة انك تستطيعين اعداد أشهى أنواع الطعام ، وستجدين أنك كذلك فعلا ، لان فى أعماقك قوى ستهب لمعونتك اذا أنت آمنت بها وناديتها لتساعدك ٠٠

الخيال يؤدى الى أروع النتائج

◆ **ونفس** القاعدة يمكن تطبيقها على أى عمل ، فتؤتى ثمارها ٠٠ والمهم فى الامر أن ترى دائما ما تريد ماثلا فى ذهنك ، وأن تؤمن به ٠ فالخيال ، أو رسم الصور الذهنية ، قمين بأن يؤدى الى أعجب النتائج ٠ وما الخوف الا عامل خيالى فى أصله ٠٠ فأنت قد تتسلم برقية على غير توقع ، فيساورك قبل أن تفضها الخوف من أن تكون مشتملة على أنباء سيئة ٠٠ واذا بقلبك يغوص بين جنبيك فى الحال ٠٠ وقد تكون البرقية منطوية على أنباء طيبة ، ولكنك تهتز تحت وطأة الخوف ، ولا يخلصك من هذه الحال العصبية سوى الاطلاع على الانباء الطيبة ٠٠



وتحضرنى فى هذه المناسبة قصة رجلين تشاطرا الغرفة الوحيدة التى كانت خالية فى أحد الفنادق ٠٠ وكانت هذه الغرفة مخزنا يحوله أصحاب الفندق عند الحاجة الى غرفة للنوم ٠٠ فلما كان المساء، وأوى الرجلان الى سريرهما ، شكا أحدهما من احتباس الهواء ، ونهض فى الظلام الى ما ظنه نافذة ، فحاول فتحها ، ولكنها استعصت عليه ، فلم يتردد فى أن يتناول حذاء حطم به أحد ألواحها الزجاجية ٠٠ واذ ذاك نام الرجلان مرتاحين طيلة الليل ، حتى اذا طلع الفجر ، تبين الرجلان أن النافذة كانت سليمة ، وأن ما تحطم لم يكن سوى زجاج باب يفضى الى دورة المياه !

ولقد أثبت العلم بوسائل وطرق لا حصر لها ، مدى ما يفعله الخيال والتصور بالانسان ٠٠ ومن هذه التجارب قرع جرس فى اللحظة التى يقدم فيها الطعام الى عدد من الكلاب، حتى أصبح الرنين والطعام مرتبطين فى أذهان الكلاب لطول التكرار ٠٠ وقد لاحظ العلماء بعد ذلك ، ان مجرد الرنين أصبح كفيلا بأن يجرى لعاب الكلاب وأن يثير العصارات الهاضمة فى أمعائها ٠ ولو أنك جلست فى مطعم وراقبت طعاما شهيا أمام أحد جيرانك، فانك لا تلبث أن تشعر بالجوع ، وبريقك يتحلب !٠٠ وتقشير البصل يستدر الدموع عادة ٠٠ بل ان مجرد رؤية شخص يقشر بصلا على مسافة من بعض الافراد ، كفيل بأن يستدر دموعهم ، ولو لم يشموا رائحة البصل !٠٠ ولو أنك رأيت شخصا يمتص رحيق ليمونة ، لشعرت فى فمك بغضاضة طعم الليمون !٠٠ الخ

فنحن عادة نجتذب ما نثبت عليه أفكارنا ، أو نركز عليه تصوراتنا دائبين ٠٠ ولا يدرى أحد الى الآن ما اذا كانت النتائج تتأتى عن طريق قوى مغناطيسية ، أو طاقة كهربائية ، ولكن المهم فى الامر انها تقع وتحدث ، ما فى ذلك أدنى شك !

تعلم كيف تتلقى الاوامر ، تتقن اصدارها !

◆ **ويعتقد** الكثيرون ان ما يبذلون من جهد فى أعمالهم ، انما يذهب لمصلحة من يستخدمونهم ، فلا يخطر لهم قط أنهم انما يعملون لمصلحة أنفسهم ، وان كل ما يفعله المخدوم هو أنه يهيىء الادوات والمكان للعمل ٠٠ ومن الاقوال المأثورة فى هذا الصدد أن من لا يتعلم كيف يتلقى الاوامر ، لا يمكن أن يتعلم كيف يلقيها ٠٠ ولكن ما أقل أولئك الذين يدركون ـ وهم يعملون يوما بعد يوم ـ ان فى مقدورهم أن يحتلوا يوما مقاعد رؤسائهم ويصدروا الاوامر الى سواهم ٠٠ والامر فى هذا يتوقف على الافكار التى تنبعث منك ٠٠

ولنطبق نظريتنا على ميدان الصداقة ٠٠ يقول ايمرسون : « ان الوسيلة الوحيدة لكى تفوز بصديق ، هى أن تكون صديقا » ٠٠ ذلك لانك لا تستطيع أن تفعل الخير ما لم تكن قد تلقيت بدورك خيرا ٠٠ وأذكر فى هذا الصدد مديرا عملت تحت امرته ، وقدر له أن يكرهنى لاننى انتقدت بعض نظم شركته ٠٠ فكان من الطبيعى أن يكون الاثر الذى أحدثته كراهيته ، اننى بدورى كرهته ٠٠

ثم جاء يوم عرفت فيه أن كراهيته هذه انما نشأت لانه سمع كلاما قلته عنه ، لا عن شركته ، فقلت لنفسى : « انه ليس شريرا ٠٠ لقد أخطأت واستثرت نفوره ، ولا بد من أن أعبر له ـ بقوى ذهنى ـ عن أسفى فى أول مرة أجد نفسى على مقربة منه » ٠٠ وحانت هذه الفرصة اذ التقيت به ذات مساء فى ناد كنا من

أعضائه ·· وكان من المحتمل أن يتحاشانى ، لولا أننا وجدنا نفسينا وجها لوجه·· فابتدرته بقولى : « كيف أنت يا تشارلى؟» ·· واستجاب فى الحال لمسلكى الودى ، وأحس من نبرات صوتى أننى أعرض عليه صداقتى ·· ونحن الى اليوم صديقان حميمان !

أعداؤك وأصدقاؤك من صنع نفسك !

◆ **لهذا** يجب أن نتذكر أن بعض أعدائنا قد يكونون من صنع تصرفاتنا·· فان الاصدقاء والاعداء ليسوا سوى انعكاسات لافكارنا ·· وأى شخص لا ينظر الى أى منا كصديق أو كعدو ، الا تبعا للصورة التى نوحى بها اليه ··

فالقوة التى فى أعماقك ، وأعنى بها النفس ، أو العقل غير الواعى ، تستطيع أن تكون الشخص الذى يراه فيك العالم الخارجى · ولكى تقتنع بأثر مظهرك ، جرب هذه التجربة : سر فى مكان به مبنى فى طور التشييد ، فاذا كنت بادى الاناقة والثراء والعظمة ، فستجد العمال الذين يصادفونك يتنحون عن طريقك ·· والعكس بالعكس !

وعندما تكون مرتاح النفس ، راضيا ، فخورا ، عقب أدائك مهمة جليلة، فانك تشعر فى أعماقك بنفحة من القوة والسلطان، تجعل الناس يخلون الطريق أمامك ، بل انها قد توحى اليهم بأن يساعدوك فيما أنت بسبيله ··

معاشرة السلبيين تفقدك روحك الايجابية !

فالمسلك العقلى الصحيح ، وتسديد نظرك الى هدفك، واحاطة نفسك بالجو اللازم ، نتيجة تصرف خيالك وعمله ، أو نتيجة بسط مغناطيسية شخصيتك ·· كل هذه عوامل تفعل العجائب ·· فليس من حد لقوة ذبذبة الفكر ، بدليل أن الشخص المرهف الاعصاب اذا وضع فى مركز ذى نفوذ أو سلطان ، نفث فى كل شخص يعمل معه حالته العصبية ·· وقد تمتد هذه الحالة

الانفعالية أحيانا فتشمل مؤسسة بأسرها ، فليست أية مؤسسة سوى ظل ممتد للشخص الذى يرأسها !

ولو ان شخصا ذا شخصية سلبية قوية وضع على رأس مؤسسة ، لبث ذبذباته السلبية الى سواه ممن فى المؤسسة ، مما يؤدى الى أخطر الاضرار ٠٠ تماما كما تفعل التفاحة المعطوبة فى بقية ما فى الصندوق من تفاح !٠٠ وشبيه بذلك المرأة الباكية فى جنازة ، لا تلبث أن تبكى من معها فى الغرفة ٠٠ وشخص ضاحك واحد يستطيع أن يبعث الضحك فى نفوس الآخرين ٠٠ ولو ان فردا تثاءب وسط جمع ، لسرت عدوى التثاؤب فى أفراد هذا الجمع ٠٠ الخ

وهكذا ، نحن لا نفطن دائما الى مدى تأثير ذبذباتنا العاطفية والانفعالية على سوانا ٠٠ ولا مدى تأثرنا بغيرنا ٠٠ فاذا شئت أن تبقى ايجابيا فتجنب صحبة أى فرد أوتى شخصية سلبية أو متشائمة ٠

الفصل الرابع

الايحاء أمر معترف به ٠٠

◆ **اعترف** كثير من كبار قادة الفكر والعلماء بأن قوة نقل الافكار أو الايحاء ، أو ما يسمى ب « توارد الخواطر » ، شىء جائز وممكن ٠٠ بل انهم ذهبوا الى أبعد من هذا فقالوا ان معظم الناس ـ وأنت وأنا منهم ـ يستطيعون أن يستخدموا هذه الموهبة اذا ما أدركوا طريقة استخدامها ٠٠ ولقد حدث أثناء اعداد هذه الفصول ، أن الحاجة كانت تدعو فى بعض أحيان الى اجراء تعديل فيها أو تنقيح أو اضافة ٠٠ وفى كل مرة ، كنت والناشر ندهش اذ نتبين أن الافكار كانت تخطر لكلينا فى وقت واحد تقريبا ، وانها كانت لا تتشابه فى الموضوع فحسب ، بل وفى أدق التفصيلات ٠٠ حتى الاسماء ٠٠ مع ان كلا منا كان يبعد عن صاحبه بمئات الاميال !

الايحاء على مسافات بعيدة

ولقد نشرت مجلة معروفة ـ فى سنة ١٩٤٤ ـ قصة تجربة أجراها بعض العلماء فى « شيكاغو » على الحشرات المعروفة باسم « العثة » ، اذ وضعوا أنثى منها فى غرفة ، وأطلقوا ذكرا منها فى بقعة تبعد عن الغرفة بأربعة أميال ، فلم تنقض ساعات حتى كان الذكر يرفرف بجناحيه خارج نافذة الحجرة التى بها الانثى ٠٠ وقد عقب المحرر على هذه القصة بأنه يعتقد أن الافكار تستطيع أن تطير وتحلق ، بنفس القوة التى استطاعت بها أنثى « العثة » أن توحى الى الذكر بمكان وجودها ، برغم الحواجز والعوائق !

وهناك تجربة سهلة : ضع بعض فتات الخبز فى شرفة لا يكون فيها أى أثر لطائر ، ولسوف تجد أنك لا تكاد تبرح الشرفة حتى تتوافد الطيور تباعا لتحط على الفتات !٠٠ ولو أنك وضعت أى شىء آخر غير الطعام ، لما وفد طائر واحد ٠٠ فما الذى يجتذب الطيور الى الشرفة ، وما الذى ينبئها بأن ثمة طعاما لها ؟٠٠ هذا ما لا يعرف العلم له جوابا !

أنت تتأثر بالافكار الصامتة لدى الغير !

◆ **ولقد** آمنت منذ عهد بعيد بأن البشر يستخدمون فى كل يوم من أيام حياتهم أنواعا عديدة من توارد الخواطر والتراسل الفكرى ، أكثر مما يتصور معظم الناس ٠ وأعتقد أن كثيرا من الزعماء ، والقادة ، والخطباء ، والوعاظ ، ورؤساء الاعمال ، يستغلون ـ عن شعور أو عن غير انتباه ـ هذه القوة بدرجات متفاوتة ٠٠

ان المرء قد يلتقى بغريب عنه ، وقبل أن يتبادل معه أية كلمة يشعر بميل نحوه أو بنفور منه !٠٠ فأى سبب لذلك اللهم الا أن يكون نوعا من أنواع تبادل الافكار التى تجول فى خاطريهما ؟

وانى لاتمثل ـ اذ أكتب هذه السطور ـ صورة ذهنية لمحام

شهير كنت أتردد على مكتبه ، وأجلس معه عندما يملى خطابات تختص بمسألة كانت تهمنى ٠٠ وكنت ألاحظ انه حين يشرع فى الاملاء ، كان ينهض فيذرع أرض الحجرة ، وهو مستغرق فيما يملى ٠٠ وسألته مرة عن السبب فى ذلك ، وعن السر فى أن خطاباته كانت تفى دائما بالاغراض المقصودة منها ، فكان جوابه : « اننى قبل كل شيء أحسن التفكير وأنا واقف عنى وأنا جالس ٠٠ ثم اننى ـ قبل الاملاء وأثنائه ـ أتمثل أمامى الشخص الذى أعد له الخطاب ، فاذا كنت لا أعرفه ، أحاول أن أرسم له صورة فى ذهنى ٠٠ وفى الحالين أوجه له فكرى وكلماتى وكأنه موجود فعلا أمامى ، بدمه ولحمه ٠٠ فأوحى له فى ذهنى بما أريده أن يفعله »

تمرين لتعزيز توارد الخواطر

◆ **وانى** لادرك أنه قد يصعب على الكثيرين أن يصدقوا أنهم حين يبتاعون شيئا ، أو يأتون عملا ، انما يتأثرون بالافكار الصامتة لدى غيرهم ٠٠ ولكنها ـ مع ذلك ـ حقيقة لا شك فيها ، وهذه القوة الخفية التى نسميها توارد الخواطر ، موجودة فعلا ، وتستطيع بقليل من المران أن تتأكد من أنها قوة نشيطة ، طاغية ٠٠

واليك تجربة بسيطة يمكن أن يجريها ثلاثة أشخاص :

اقطع خمس قصاصات ملونة من ورق احدى المجلات ، طول كل منها حوالى ٧٫٥ من السنتيمترات ، وعرضها حوالى ١٫٢٥ ، ويستحسن أن تكون الالوان زاهية ، ومتباينة ٠٠ وليمسك بها أحد الاشخاص الثلاثة بين ابهام وسبابة يده اليمنى ، على شكل مروحة ، أو كما يمسك أوراق « الكوتشينة » أثناء اللعب ٠٠ ثم ليمس أحد الشخصين الآخرين احدى الاوراق الملونة ، دون أن يراه الشخص الثالث ٠ وعلى ماسك الاوراق أن يركز فكره فى الحال على الورقة التى رأى زميله يلمسها ، وأن يحاول

ـ بذهنه ـ نقل الامر للشخص الثالث ، الذى يستدعى ليعين الورقة التى لمست ٠٠

على أنه يجب أن يوضح لذلك الشخص الثالث أن حكمه يجب أن يصدر فى الحال ، ومن تلقاء نفسه دون تأثر بأحد ، وانه اما أن يخلى ذهنه من كل فكرة ، أو أن يشغله بفكرة بعيدة كل البعد عن التجربة ٠ أى أنه يجب أن لا يخمن ويحاول الاستنتاج ، أو أن يشحذ ذهنه للتفكير ، بل يجب أن يصدع لاول توجيه من ذهنه ٠٠

ولسوف يدهشك عدد المرات التى يوفق فيهـــا الى تعيين الورقة التى لمسها زميله !

وهكذا يستطيع كل من كانوا على شىء من التفاهم الوثيق ـ كالزوج والزوجة ـ أن يوطدوا التراسل الذهنى بينهم بشىء من المران ٠٠ كأن يقوم الزوج بدور ماسك القصاصات ، والزوجة بدور الشخص الثالث فى التجربة السابقة ، في حالة وجـــود شخص آخر معهما يختار اللون ٠٠ ولقد رأيت هـــذه التجربة تجرى أمامى عشرين أو ثلاثين مرة ، وفى كل مرة كان الشخص الثالث يصيب فى تعيين اللون المختار ، دون أن يخطىء !

الايمان ٠٠ والحظ !

◆ **وهنا** أيضا يلعب الايمان دورا هاما ٠ اذ لا ينبغى لماسك القصاصات أن يكون قديرا على أن يركز ذهنه فى دأب وثبات فحسب ، بل يجب أيضا أن يكون ذا ايمان قوى بأنه يستطيع أن ينقل صورة اللون الى ذهن الشخص الثالث ٠

وأحب عند هذا الحد أن أحـــذر من اجراء أية تجربة من التجارب التى أوردتها بحضور أحد من المستخفين المتهكمين ، لان أفكاره السلبية قد تعرقل انسياب أفكارك الطليقة أو تربكها ، لا سيما اذا كان جريئا في تهكمه الى حد التهجم ٠٠ وتذكر دائما أن الايمان قوة فعالة ، قد تكون بانية مشـــيدة ، وقد تكون هدامة مدمرة ، والامر فى ذلك يتوقف على الغاية التى تستغل من أجلها ٠٠

نصل الآن الى الصلة بين الحوادث وبين ما يسمونه بالحظ ٠٠ وأمامنا فى هذا الصدد ميدان واسع بدأ يكشف للانسان الحديث عن أسراره وغوامضه ٠٠ فالعامل الذى ندعوه بعامل الحظ ليس فى الواقع سوى تأثير ناشىء عن ذبذبة فكرية قوية، لا عن مجرد الصدفة ٠٠ فهو نتيجة عقل حازم متشبث بما يريد ٠٠ أى أنه مزيج من الرؤية التصورية ، والفكر المركز، والرغبة، والايمان ٠٠ فتأمل هذا ، لانه السر الرئيسى لعلمنا ، وللسيطرة على الحظ !

من السهل أن يفقد الانسان ايمانه

◆ **فى الصفحات** السابقة حاولت أن أرشدك بأبسط اسلوب الى القوة التى يمكن أن تتأتى عن الايمان ، وكيف يمكن أن تنميها ، وأخذت بيدك لاصعد بك السلم فى استغلالها الى أى مدى شئت ٠٠ بقى أن أذكر لك أن من السهل جدا أن يفقد المرء ايمانه فى نفسه وفى غايته وفى كل شىء ٠٠ وكم من آلاف ارتقوا الى قمم المجد ، ثم تعثروا وهووا من حالق ٠ وكم غيرهم كانوا ينشدون الصحة ، فبدا عليهم وكأنهم نالوا الشفاء بمعجزة ، ثم لم يلبثوا بعد سنوات – بل بعد شهور – أن انتكسوا وعادوا القهقرى الى أمراضهم ٠٠

ذلك لان فى الحياة عوامل وتأثيرات كثيرة موهنة ٠٠ ومع انها كلها افتراضية بطبيعتها ، الا أننا فى لحظات الغفلة ندعها تتسلل الى عقولنا الباطنة ، فاذا بها تقضى فى الحال على كل ما عملته القوى المنشئة المشيدة فى أعماقنا ٠ لذلك ، فما دمت قد جعلت الشمس قبلتك ، فلا تتحول عنها ، وعندئذ لا تجرؤ ظلال الشك على الاستلقاء فى طريقك ٠٠

وقد يبدو من الصعب على الشخص العادى أن يؤمن بأن كل شىء مرده الى نفسه ، وانه كامن فى نفسه ٠٠ والواقع ان كل شىء كامن فى نفوسنا فعلا وحقا ، ولا يخلع ثوب الحقيقة على العالم الخارج عن كياننا سوى الصور التى نرسمها له فى

أذهاننا .. فالسعادة أمر مرده الينا ، وليس للبيئة ولا للوسط ولا لاحداث حياتنا اليومية أثر على سعادتنا اطلاقا الا بالقدر الذى نسمح به للصور التى فى أذهاننا عن العالم الذى يحوطنا بأن تلج فى وعينا .. أى ان السعادة حالة ذهنيــــة فى يدنا السلطة للسيطرة عليها ، وهذه السلطة موكولة الى تفكيرنا .

وقد قال (ايمرسون): « ان التفكير هو أشق مهمة فى العالم! ». وهذا حق اذا راعينا أن معظمنا ضحايا للتفكير الجماعى، وللاقبال على أفكار الغير وايحاءاتهم .

وكم فى التاريخ من قصص عن أفراد أقوياء العقول والاذهان، تشبثوا بمعتقداتهم ، وأوتوا القوة على الهـام غيرهم من بنى البشر ، واستطاعوا رغم المعارضة القوية أن يخلقوا من لا شىء أعمالا جساما ، وامبراطوريات شاسعة ، وعوالم جديدة !

وما كانت قوة الفكر وقفا على هؤلاء ولا احتكارا لهم ، بل انها موجودة فيك وفى كل امرىء ، رجلا كان أو امرأة ، وكل ما عليك هو أن تستغلها .. ولتذكر دائما أن ما يستطيع الانسان أن يتصوره في ذهنه ، يمكن تحقيقه وتحويله الى حقيقة مادية .. فالصحة والثروة والسعادة لا بد أن تتيسر اذا أمكن رسم الصــــور الذهنية الصحيحة لها والاحتفـــاظ بها ماثلة أمام العينين ..

« اعرف نفسك » واعرف قوتك .. اقرأ هذه الفصول مثنى وثلاثا ورباعا حتى تصبح جزءا من حياتك اليومية .. واستخدم طريقتى البطاقات والمرآة فى اخلاص ويقين ، وسـوف تحصل على نتائج فوق كل ما يخطر لك ببال ..

كل ما عليك هو أن تؤمن بأن فى الايمان سحر حقيقى مبدع .. وستجد السحر فعلا طوع بنانك ، لان الايمان لا بد أن يولد القوة التى تمكنك من النجاح فى كل شىء تضطلع به . وعزز ايمانك بعزيمة قوية ، تصبح قويا لا سبيل الى هزيمتك !

كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية من كتابى ، من روائع الكتب القديمة ، هذه الكتب على التوالى :

«ديكاميرون» : بوكاشيو
«دون كيشوت» : سرفانتس
«الالياذة» : هوميروس
«اميل» : جان جاك روسو
«حى بن يقظان» : ابن طفيل
«روبنسن كروزو» : دانييل ديفو
«غرام الاخوين» : (كاتب فرعونى مجهول)
«يوتوبيا» : توماس مور
«الجمهورية» : افلاطون
«الكوميديا الآلهية» : دانتى
«الاوديسة» : هوميروس
«العالم كما يسير» : فولتير
« غرام مشبوب » : لين يوتانج
« رباعيات عمر الخيام »

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه القصة الساخرة لاديب فرنسا الخالد «فولتير» ، وسترى انها تفوق قصته السابقة «العالم كما يسير» التى قرأتها فى كتابى السابع عشر

وفى الاعداد القادمة تقرا معى فى هذا الباب باذن الله الكتب العالمية التالية :

العقد الاجتماعى : جان جاك روسو
البخلاء : الجاحظ .. الخ



عفاف!

(كوزى سانكتا)

لكاتب فرنسا الخالد : ڤولتير

١ - العراف

◆ **هناك** قول مأثور يقول : « يجب أن تتجنب الشر مهما هان ، والضرر مهما قل ، حتى وان نتج عنهما خير عميم ٠٠ ونفع عظيم ! » ٠٠ غير أن هذا القول لا يقوم على أساس فى الحياة سليم ٠٠ وقد كان القديس « أوغسطينوس » من أنصار هذا الرأى الاخير ! ولا شك أنك عندما تفرغ من قراءة قصة هذه المغامرة الصغيرة ، سيتبين لك بوضوح كيف أن القديس « أوغسطينوس » كان على صواب فى عدم ايمانه بهذه النصيحة المأثورة !

وقد وقعت حوادث هذه المغامرة فى منطقة نفوذ القديس « أوغسطينوس » سالف الذكر ، وفى المقاطعة التى عهد بادارتها الى القديس « سبتيموس اسنداريوس » كما ورد فى الكتاب التاريخى المشهور الذى صدر بعنوان « مدينة الله »

*

◆ **وتتلخص** وقائع القصة فى أنه كان ببلدة « هيبون » رجل مسن من رجال الدين ، يحظى بثقة جميع فتيات المدينة ، فقد كن يلجأن اليه كلما ضاقت صدورهن ليفضين اليه بما يثقلها من هموم ومتاعب ٠ وكان ذلك الشيخ يقرأ لهن الغيب ، ويتنبأ لهن بالمستقبل ، زاعما أن السماء تلهمه الاسرار وتميط أمام ناظريه اللثام عن المستقبل المجهول !٠٠ والحق أن ادعاءاته كان فيها شىء كثير من الصواب ، فقد طالما صدقت نبوءاته، وتحققت تكهناته !

وذات يوم جاءوا اليه بفتاة تدعى « كوزى سانكتا » ، وكانت أجمل فتيات المدينة ، عرف أبواها بالتزمت فربياها على سنن التقوى والاستقامة فى أدق معانيهما ٠٠ وهكذا نشأت « كوزى

سانكتا » مثالا للعفاف والطهر والفضيلة ، تأخذ نفسها بالتزام حدودها بشدة وصرامة بالغتين ٠٠ حتى انها برغم كثرة ما كان لها من معجبين ، فان واحدا منهم لم يستطع مرة واحدة وهو يخلو بها أن يجعلها تغفل عن نفسها ٠٠ أو تغفو ولو اغفاءة قصيرة !

٢ - بداية المتاعب

◆ **وكان** من سوء طالع « كوزى سانكتا » أن أراد أبواها أن يزوجاها من رجل طاعن فى السن يدعى « كابيتو » ، كان يشغل منصبا هاما فى مدينة هيبون ٠٠ وعبثا عارضت المسكينة ٠٠ وعبثا قاومت ٠٠ فقد تقرر أن يتم زواجها من ذلك الكهل البغيض برغم أنفها !

وكان « كابيتو » هذا - فوق كبر سنه - رجلا قميئا ، سمجا ، ثقيل المزاح ، شديد الغيرة ٠٠ فكان من العسير على عشاق خطيبته والمعجبين بها من الشبان أن يحظوا بصداقته ٠ وعليه فقد كانت مهمة هؤلاء شاقة ، والعقبات التى تعترض سبيلهم كأداء !

أما الخطيبة الشابة فالحق انها لم تدخر وسعا لترويض نفسها على حب كابيتو - فانه سيصبح زوجها آخر الامر ! - فكانت دائمة الالحاح على نفسها بالخضوع والتسليم بما قسمه لها الله ٠٠ غير أن المجهودات الجبارة التى بذلتها فى هذا المضمار لم تكلل مع الاسف بالنجاح !

وضاقت الدنيا فى وجه « كوزى سانكتا » ، فرأت أن تذهب الى عراف المدينة سالف الذكر ليجلو لها غوامض أيامها المستقبلة، ولينبئها بما يخبئه لها القدر : هل سيقدر لها أن تسعد فى زواجها ، أم أن الايام لا تدخر لها فى ثناياها غير الشقاء والدموع ؟

صمت العراف برهة ثم أجابها فى لهجة الواثق مما يقول :

« يا بنيتى ! ان تمسكك بأهداب الفضيلة سيجر عليك الكثير من الويلات والمتاعب ! ولكن ذكرك مع ذلك سيطبق الآفاق ، وصيتك سيرتفع الى السماكين ·· وستذكرك الاجيال القادمة بالتطويب والتبجيل ، لانك لن تخونى زوجك ـ ثلاث مرات متتاليات ـ الا اضطرارا ·· لا اختيارا !

ذعرت « كوزى سانكتا » عند سماعها هذه النبوءة ، وارتعدت فرائصها ، فلم تتمالك نفسها وأجهشت بالبكاء !·· وعندما طلبت الى العراف أن يزيدها ايضاحا لم يزد على أن قال :

ـ ان الثلاث مرات التى ستخونين فيها زوجك يا بنيتى ، لن تكون مع رجل واحد ·· وانما مع ثلاثة رجال !

صرخت الفتاة فى وجه العراف ، وراحت تقـذفه بأعنف عبارات السباب ·· ثم خرجت من عنده ذاهلة تتعثر · ولكنها أقسمت بينها وبين ربها أن ذلك المجد الذى حدثها عنه العراف، وذلك الصيت والتبجيل ، لن يغرياها ·· فسوف تظل محتفظة بشرفها ، أمينة على عرضها ·· وستحتقر فى سبيل ذلك جميع عروض الدنيا ·· ولو كلفها هذا الاصرار دمها وحياتها !

الا أن ما سطر على الجبين يجب أن يكون !·· وقد أطبق القدر بكفيه الحديديتين على « كوزى سانكتا » ، وقادها راغمة صاغرة الى مصيرها المحتوم !

ولكن كيف كان ذلك ؟

*

◆ **تزوجت** « كوزى » من « كابيتو » الشيخ بعد زيارتها السالفة للعراف بوقت وجيز ·· وتم الزواج فى حفل رائع بهيج لم تتوقف العروس أثناءه عن الرقص ، ولا سيما مع نفر من الشبان الذين تميزوا بالجمال والرشاقة ـ الامر الذى بدا للزوج الغيور منظرا قبيحا يبعث على الاشمئزاز ! ـ وكان يبدو عليها المرح بالرغم مما كان يترامى الى سمعها أثناء الحفل من

العبارات الممجوجة التى لا يتورع المدعوون الى الافراح عادة عن الغمز بها أمام كل عذراء بريئة فى ليلة زفافها !٠٠ العبارات التى تدور حول الزواج ومستلزماته ٠٠ وليلة الزفاف وما يجرى فيها بين الزوجين !

وانقضت تلك السهرة ٠٠ ومرت الايام ٠٠ فبدأت « كوزى سانكتا » تبدى ميلا ظاهرا الى شاب من المعجبين بها يدعى « ريبالدوس » ، كان لا يتعب من ملاحقتها فى كل مكان وابداء اعجابه وشغفه بها ٠٠ وكان الفتى جميلا ، لبقا ، رشيقا ٠٠ لكنه كان جريئا ـ الى حد القحة فى بعض الاحيان ! ـ مكروها من أهل مدينة « هيبون » لسوء سمعته ، اذ طالما اندس بين الاسر فأغرى النساء وأوقعهن فى شراك غرامه ، تارة بدافع الاعجاب الاهوج الرخيص العابر ، وبدافع الغرور تارات !

لكنه فى هذه المرة أحب « كوزى » عن اعجاب حقيقى وغرام دافق لم يألفهما مع سابقاتها من نساء المدينة !٠٠ وكلما زادته المرأة الشابة تمنعا واباء ، زادت نيران حبه اشتعالا ، واضطرمت مشاعره انفعالا !

وأخيرا رأى « ريبالدوس » أن يدخل البيوت من أبوابها ، فبدأ يتقرب الى الزوج ـ بالاطراء حينا ٠٠ وبتعمد الخسارة معه فى اللعب أحيانا ! ـ آملا من وراء ذلك أن يظفر بثقته ، فيهون عليه من مهمته !٠٠ أما « كوزى » فكانت تزداد اعجابا بهذا الشاب الخليع يوما بعد يوم ـ بل لقد زاد اعجابها به الى حد لم تكن هى نفسها تتوقعه ـ غير أنها لم تكن تشك فى طهارة حبها له ٠٠ فتولى الزوج بالنيابة عنها مهمة هذا الشك !

ذلك أن أحابيل « ريبالدوس » لم تخف على فطنة الزوج ٠٠ فأخذ يتسقط أتفه الاسباب كى يتذرع بها لقطع علاقته به !٠٠ وأخيرا تم له ما أراد ، فانتهز الفرصة وحذره من التردد على منزله لاى سبب من الاسباب !

غضبت « كوزى سانكتا » لما حدث ٠٠ ولكنها كظمت غيظها – لانها لم تكن لتجرؤ على البوح به ! – أما « ريبالدوس » فان قرار طرده من منزل « كابيتو » كان مدعاة لتفاقم حبه «لكوزى»، فراح يحوم حول منزلها كالذئب الجائع ٠٠ ويتلصص عليها ٠٠ ويراقبها فى غدوها ورواحها ، عساه يظفر بلحظة يلقاها فيها ولو لقاء خاطفا !٠٠ ولما أعيته الحيل لجأ الى التنكر فى شتى الازياء ، لعله بهـــذا يضلل الزوج ويخدع الرقباء الذين بثهم « كابيتو » حول المنزل !٠٠ وهكذا تنكر مرة فى زى بائـــع أدوات للزينة ٠٠ وأخرى فى زى بائع لعب !٠٠ **ولكن حيله على كثرتها خابت جميعا ، فقد كانت الرقابة المبثوثة حول المنزل محكمة الاطراف ، يقظة ٠٠ ولم يكن من الميسور اختراق الستار الحديدى المقام حول المنزل فى شدة واحكام ! وكان من أسباب فشل « ريبـــالدوس » أن « كوزى » لم تكن طرفا فى حيله وأحابيله ، فلم تكن تشاركه فيها أو تعاونه على اتخاذ الاحتياطات الكفيلة بتضليل الزوج ٠٠ وانما كانت تحاول كبت مشاعرها نحو « ريبالدوس » جهد طاقتها ٠ وكانت فى عين نفسها طاهرة الذيل لم يمسسها ضر ٠٠ وهكذا تجاهلت كل ما يدور ، داخل المنزل وخارجه ، رغم علمها بكل شىء !**

أما زوجها فبدأ يسيىء بها الظن ، ويعدها المذنبـــة الاولى والمسؤولة الوحيدة عما يجرى من أمور !٠٠ واستبد به الغضب، واعتبر ما يجرى من محاولات بشأن استمالة زوجته ماســـا بكرامته، خادشا لكبريائه٠٠ فأخذ يقسو فى معاملتها، ويسومها ألوانا من الاستبداد والتعذيب!٠٠ واذا بالزوجة البريئة التعسة تجد نفسها فى أقبح موقف يمكن أن تقف فيه زوجة : فهى من ناحية تتهم بالخيانة ظلما من جانب زوج لم تخنـــه !٠٠ ومن ناحية أخرى تحس بأن حبها للحبيب المبعد يقطع نياط قلبها ! ٠٠ وهى فى وسط كل هذه التيارات المتعارضة الجارفة تحاول

أن تكبت شعورها ، وتقهر عواطفها التى تفيض جياشة بين ضلوعها ٠٠ حتى لتكاد المسكينة تخر صريعة تحت عبء هذه الاثقال !

ورأت « كوزى » أن كل مصائبها انما تجىء من الحاح عاشقها فى تعقبها ، ومحاولته لقاءها ! فلو أن هذا الشاب الجامح ارعوى ، ورجع عن غيه ، وثاب الى رشده ٠٠ فقد يعود زوجها الى سكونه وهدوئه ، ويكف عن اضهاده لها وشكوكه فيها ! وان الزمن لكفيل بعد ذلك بأن يضمد جراح قلبها ويشفيها من حب لم تشبه شائبة من دنس ٠٠ حب لن يكتب له أن يعيش ، لانه ولد عقيما ٠٠ ولان أحدا لم يتعهد نباته برى ولا سقيا !

٣ - الخطاب

أمام هذه الفكرة رأت « كوزى » أن تكتب الى ذلك الشاب الارعن الخطاب التالى :

« اذا كان للفضيلة عندك قدر ٠٠ واذا كنت من أصحاب الضمائر الحية ٠٠ فاننى أتوسل اليك أن تكف عن تعقبى وملاحقتى ، لان حبك لى يعرضنى لاخطار هائلة ، ويثير فى زوجى الشكوك التى تجعله يسىء معاملتى الى أبعد حد ، ويحول حياتى الى جحيم مقيم ! لقد أقسمت أن أكون لزوجى - ولزوجى وحده - مدى الحياة ٠٠ فأشفق على بحق السماء ! واننى لاستحلفك بهذا الحب نفسه ، الذى يسبب شقاءك وشقائى ، أن تصغى الى وتجيبنى الى توسلاتى ٠٠ ولتثق بأن حبك لى لن يسعدك قط فى يوم من الايام ! »

لم يكن يخطر ببال « كوزى سانكتا » أن خطابا ينطوى على مثل هذه العبارات الرقيقة ، اللينة ، المستعطفة ، ينتج نتيجة عكسية ٠٠ ويأتى بنقيض الاثر الذى كانت تتوقعه منه وترجوه! ٠٠ فان الشاب الولهان ، والعاشق المدنف ، ما كاد يقرأ عباراته

حتى جن جنونه ٠٠ وكاد يختبل عقله ٠٠ فكأن هذا الخطاب ثعبان عضه بناب مسموم ! وعليه فقد صمم على لقاء المرأة التى يحبها ٠٠ ولو كلفه الامر حياته ودمه !

ولم يكن من الصعب على « كابيتو » أن يلم بحركات « ريبالدوس » وسكناته جميعا ــ فقد كان جواسيسه مفتوحى الاعين ، مرهفى الآذان ! ــ فعلم أن «ريبالدوس» ينوى أن يتنكر فى هذه المرة فى زى أحد رجال الدين ، الذين يزورون الاسر فى المنازل لجمع تبرعات للجمعيات الخيرية واعانات للمعوزين والفقراء ٠٠ وبهذا يستطيع لقاء « كوزى » دون أن يستثير فضول الرقباء !

الا أن الحيلة لم تجز على « كابيتو » ٠٠ فرصد له بعض أعوانه الاشداء ! **وهكذا لم يكد رجل الدين المزعوم يدلف الى داخل المنزل ويستقر على أحد المقاعد فيه ، حتى فوجىء بأعوان الزوج ينهالون عليه بالضرب ــ الضرب المبرح القاتل ! ــ فأخذ المسكين يولول ويستغيث ، ولا من راحم أو مغيث !٠٠ وأخيرا، بعد أن كادوا يقطعون أوصاله ، أطلقوا سراحه وقد شج رأسه وتهشمت ضلوعه ٠٠ فمات بعد ذلك بخمسة عشر يوما !**

*

◆ **كان** موت « ريبالدوس » صدمة عنيفة هزت قلوب جميع نساء المدينة ٠٠ أما « كوزى سانكتا » فقد كانت أشدهن حزنا ولوعة : سواء لان اغتيال ذلك الشاب المنكود كان بسببها ٠٠ أو لانها كانت تحبه وتعجب به ــ وان لم يجاوز هذا الحب والاعجاب نطاقا ضيقا محدودا ٠٠!

وأما الزوج « كابيتو » فقد صدمه موت الشاب صدمة عنيفة، لانه لم يكن يتوقع أو يريد أن يدفع بالامور الى هذه النهاية المفجعة ٠٠ وها هو يجد نفسه الآن فى مأزق مخيف بازاء القانون ٠٠ وزاد من حرج موقفه أن « ريبالدوس » كان من أقرباء حاكم المنطقة الرومانى المدعو « اسندينوس » الذى كان فظا

غليظ القلب ، والذى ما كاد يعلم بنبأ موت « ريبالدوس » حتى زأر وثار كالليث الهصور وصمم على أن يقتص من القتلة وينتقم منهم شر انتقام !

ولما كانت علاقة الحاكم العام الرومانى « اسندينوس » بسائر حكام مدينة « هيبون » سيئة ٠٠ ولما كان « كابيتو » من كبار موظفى تلك المدينة ، وكان هو المحرض على القتل ، فقد رأى « اسندينوس » فى ذلك الحادث فرصة سانحة للتنكيل بخصومه ومنهم « كابيتو » الذى كان مكروها من الجميع بصفة خاصة !

وهكذا وجدت « كوزى سانكتا » نفسها أمام حقيقة مروعة بشعة : فقد قتل عاشقها ٠٠ وها هو حبل المشنقة يلتف رويدا رويدا حول عنق زوجها ٠ كل ذلك من أجل اصرارها على الاستمساك بأهداب الفضيلة والعفة واحجامها عن خيانة زوجها! ٠٠ لقد قال لها العراف : « ان استمساكك بأهداب الفضيلة وتشبثك بالطهر والعفاف سيجران عليك ويلات كثيرة يا بنيتى!» ٠٠ وها هو النصف الاول من نبوءته يتحقق ، وانها لترتجف الآن رعبا مخافة أن تتحقق النبوءة كلها !

ولكنها بعد روية وتفكير استسلمت للقدر ، فقد رأت أن لا منجاة منه ولا افلات ٠٠ آه من هذا القدر القاسى الذى لا يرحم! لقد أبى الا السير بها الى نهاية الطريق ٠٠ وما سطر على الجبين يجب أن يكون

ولكن كيف كان ذلك ؟

٤ ـ الخيانة الاولى !

◆ **كان** الحاكم العام « اسندينوس » هذا ـ فوق فظاظته وغلظته ـ مستهترا ماجنا خليعا ، ساطيا على الأعراض ٠٠ وكان أهل المدينة جميعا يكرهونه ، ويرهبونه ، ويخشون بأسه ،

فكان له من نساء المدينة ضحايا يخطئهن الحساب ! فلقد طالما أجبنه الى نزواته الحقيرة ورغباته المستهترة الخليعة ، خوفا منه وهربا من غلظته وقسوته !٠٠ فلما جاءه نبأ موت قريبه « ريبالدوس » سارع الى استدعاء « كوزى سانكتا » ، التى جاءته على عجل وهى غارقة فى بحر من الدموع ٠٠ وبرغم أن دموعها كان خليقا بها أن تلين قلبه المتحجر ، الا أن الطاغية رأى فى تلك الدموع فتنة وسحرا وجمالا ٠٠ فلما مثلت المرأة بين يديه دار بينهما الحوار الآتى :

ـ ان زوجك سيشنق يا سيدتى ! وقد أصبح مصيره الآن بين يديك : ان شئت نجا ٠٠ وان شئت هلك !

ـ اننى مستعدة لان أقدم حياتى ثمنا لحياته !

ـ ليس المطلوب منك هو هذا يا سيدتى !

ـ اذن ماذا تريدنى أن أصنع يا سيدى ؟!

ـ أريد ليلة واحدة من لياليك !٠٠ ليلة واحدة فقط !

ـ اننى كما قلت يا سيدى مستعدة لان أسفك دمى لانقذ حياة زوجى ٠٠ أما ليالى فهى ليست ملكا لى ٠ انها ملك له ! ولئن كانت حياتى تهون على فى سبيل الابقاء على حياته ٠٠ ولكن شرفى لن يدنس وعرضى لن يهون !

ـ وما رأيك أيتها الفاتنة اذا وافق زوجك على ما أطلب !؟

ـ انه السيد المتصرف فيما يملك ٠٠ الا أننى أعرف زوجى تمام المعرفة ، فهو رجل عنيد ، شديد الاستمساك بشرفه ، شديد الاعتداد بكرامته ٠٠ وانه لايسر عليه أن يرى حبل المشنقة يلتف حول عنقه من أن يرى انسانا يدنو منى أو يمسنى بطرف ابهامه !

فأجابها الطاغية وقد بدأ يستبد به الغضب :

ـ سنرى ذلك فى الحال !

وأمر « اسنديوس » باستدعاء الزوج المتهم ٠٠ فما أن مثل بين يديه حتى طلب اليه أن يختار أحد أمرين لا ثالث لهما : أن يشنق ، أو يجيبه الى رغبته فيمنحه تلك الليلة التى يطلب أن يقضيها مع زوجته !

لم يجد الزوج مناصا من الاذعان والتسليم ٠٠ فمنح الحاكم ما يشتهى مفضلا ذلك على حبل المشنقة !٠٠ وأى بدع فى ذلك؟ ان أى زوج ، أى انسان فى مكانه كان يفعل ما فعله « كابيتو » !

أما « كوزى سانكتا » فانها بدافع الوفاء والحب والحنان ، وبما جبلت عليه من حب الخير والاحسان ، تمكنت من انقاذ حياة زوجها ، وفك حبل المشنقة الذى كاد يطبق على عنقه ويخمد أنفاسه !

وكانت الخيانة الاولى !

٥ - الخيانة الثانية

◆ فى ذلك اليوم الاغبر عادت « كوزى سانكتا » الى منزلها لترى ابنها مريضا مرضا شديدا ٠٠ فاستدعت لعيادته جميع أطباء مدينة (هيبون) ٠٠ ولكن واحدا منهم لم يستطع تشخيص المرض أو علاجه !

واستبد القلق بالام ٠٠ ماذا تصنع ؟! وأخيرا علمت أن هناك طبيبا مشهورا يقيم فى مدينة (أكيلا) التى تبعد بضعة أميال عن مدينة (هيبون) ٠٠ ولما كان محظورا على أى طبيب أن يزاول مهنته خارج المدينة التى يقيم فيها فقد اضطرت «كوزى» الى حمل طفلها المريض والذهاب به الى مدينة أكيلا لعرضه على ذلك الطبيب المشهور ٠٠

واستصحبت المرأة معها فى رحلتها الشاقة شقيقها الذى كانت تحبه حبا جما ٠٠ وفيما هما يقطعان المسافة بين المدينتين بالطفل المريض ، اذا بعصابة من الاشرار وقطاع الطرق تنقض



عليهم ، فتوثق شقيق «كوزى» محاولة الفتك به !٠٠ فأخذت المسكينة تتوسل لشيخ العصابة أن يرحمها ويرحم شقيقها وطفلها المريض ٠٠ واذ ذاك دنا منها قاطع الطريق بوجهه الكالح المرهوب وجعل يتأملها ، فراعه جمالها ، وسحرته فتنتها ٠٠ فقال لها :

ـ اذا كنت تتوقين الى رؤية أخيك حيا ، حرا طليقا ، فاستجيبى الى رغبتى ٠٠ واروى ظمأى ٠٠ ان الامر يا فتاتى ليس من الجسامة بحيث تتصورين ٠ انها لحظات قصيرة ، أسعد فيها بأجمل امرأة فى الوجود ٠٠ وسيكون ثمنها حياة أخيك ٠٠ وحياتك ٠٠ وحياة ابنك الوحيد المريض !

ان الامر يستوجب الحسم السريع ٠٠ والخطر مرهوب ، ومحدق من كل جانب ٠٠ فماذا تصنع المسكينة ؟!

فكرت « كوزى » فى الامر : لقد ارتضت لنفسها أن تجيب الحاكم الطاغية « اسندينوس » الى مثل هذه الرغبة لتنقذ حياة زوجها الذى لا تحبه !٠٠ فهل تبخل بتضحية أخرى مماثلة لتنقذ حياة أخيها الذى تحبه ؟ ان المنطق هنا أعرج ، مقوس الظهر ٠٠ لا يستقيم !٠٠ ثم هناك حياة ابنها المريض فى كف القدر ، وهى تريد الاسراع به الى الطبيب الذى ترى فى عرضه عليه الشعاع الوحيد الباقى لها لانقاذ حياته !؟

ان ما سطر على الجبين يجب أن يكون !

وكانت الخيانة الثانية !

٦ - الخيانة الثالثة

◆ **أسرعت** « كوزى » الخطى ، يصحبها شقيقها ، وبين أيديهما الطفل المريض ٠٠ الى بلدة (أكيلا) لاستشارة طبيبها المشهور ٠٠ وها هى الآن فى عيادة ذلك الطبيب ٠ انه طبيب بارع ممتاز ٠٠ واسع الخبرة ٠٠ ثم هو فوق ذلك رجل «اجتماعى» لا يؤمن بالمبادىء الرجعية البالية التى تحتم على الطبيب أن يكون عفيفا فى مزاولة مهنته ، أمينا على أسرار الناس وأعراضهم ! فهذه فى نظره تعاليم رثة لا تلائم المجتمع الحديث ولا تساير ركب الحضارة الجديدة ! وهل أدل على ذلك من أن صاحبنا كان الطبيب الوحيد الذى تستدعيه نساء المدينة فى غير حالات المرض ـ وهن فى أتم صحة وعافية !

فحص الطبيب الطفل ٠٠ وتمكن بذكائه اللماح ، وبصيرته النافذة ، واختباراته الطويلة ، من تشخيص الداء والاهتداء الى الدواء !٠٠ فما أسعد الام الوالهة المسكينة ! ان وحيدها سينجو من الموت وسترد اليه عافيته !٠٠



وأخذت المرأة تشكر الطبيب العلامة والدموع تنهمر فرحا من عينيها ٠٠ وقدمت اليه مبلغا كبيرا من المال، فهذه هى الطريقة الوحيدة التى تستطيع أن تعبر بها عن شعورها نحوه، وعرفانها بجميله ٠٠

لكن الطبيب الكبير، والنطاسى البارع ، رد اليها مالها ٠٠ وقال لها وهو يحدجها بنظراته الدنسة :

ـ اننى يا سيدتى لا أتقاضى أتعابى بهذه العملة ! بل لو شئت فاننى مستعد لان أدفع لك كل ما أملك من مال ، فى نظير أن تشفينى أنا بدورى مما أعانى من آلام ! ان عينيك قد صوبتا الى قلبى كسهم مسنون .. وان قلبى لينزف .. فارحمينى فاننى أحق بالرحمة من المرضى جميعا ! وارثى لحالى فليس بين المعذبين فى الارض من هو أولى منى بالرثاء ، وردى الى عافيتى .. أرد اليك حياة ابنك !

ما أقسى القدر وما أهوله ! فهذا الطبيب المدنف الولهان ، العنيد ، الحقير .. لماذا يكون الوحيد الذى استطاع معرفة مرض ابنها والاهتداء الى علاجه ؟ انه يلح ويصمم .. ويعد ويتوعد .. وفى الوسط طفل مريض ، تتأرجح حياته فى الميزان ، وترى أمه الموت يدنو مسرعا اليه !.. ولكن القدر قد راضها على التضحيات .. ومجابهة الصعاب .. والتسليم بالمسطور على الجبين !.. ان الثمن فادح .. ولكن أفدح منه أن ينتزع ابنها من بين ذراعيها الى الابد ، وهى بعد قادرة على الابقاء عليه وانقاذ حياته !

ليت زوجها كان بجوارها الآن ! فلعلها كانت تستشيره فى الامر !.. انها قد كانت زوجة مثالية فى الوفاء والتضحية .. وكانت أختا مثالية فى الوفاء والتضحية .. فكيف تضن بالوفاء وتبخل بالتضحية على ابنها الوحيد ؟.. انها الآن تدفع الثمن فادحا لتكون أما مثالية كذلك فى الوفاء والتضحية ، والحنان !

وكانت الخيانة الثالثة !

٧ ـ خلود .. وتخليد !

◆ **وعادت** كوزى سانكتا بابنها سليما معافى الى مدينة (هيبون) ، يصحبهما أخوها الذى كان طوال الطريق لا يتعب من ترديد عبارات الشكر وعرفان الجميل لاخته التى أنقذت حياته من عصابة الاشرار ..

لقد تمسكت هذه المرأة بأهداب الفضيلة فجر عليها ذلك قتل عاشقها ٠٠ والحكم على زوجها بالشنق !٠٠ فلما واجهت حقائق الحياة ، واستسلمت للامر الواقع ، وخضعت للاقدار ، أمكنها أن تنقذ حياة زوجها ٠٠ وحياة أخيها ٠٠ وحياة ابنها !

فلا غرابة اذا أجمعت الآراء بعد موتها على تخليد ذكراها ، لانها خالدة في الجنة بفضل ما قدمت من جلائل الاعمال !٠٠ ولانها كانت فى الحب والوفاء والتضحية أروع نموذج ومثال!

وعليه فقد أقام لها أهل مدينة (هيبون) ـ يتقدمهم كل ذى رأى ومكانة ـ تمثالا عظيما ٠٠ كيما تذكرها الاجيال القادمة بما هى أهل له من التبجيل والتمجيد ، وبما يليق بامرأة بلغت فى تضحيتها من أجل أسرتها ، وتفانيها فى حبها ، الى الحد الذى لم تتردد معه فى أن تخلع على أفراد تلك الاسرة ، حياءها ٠٠ وحياتها ٠٠ وليس أعز من الحياء والحياة شىء ينفق !

وأقيم التمثال ، وقد نقشت على قاعدته العبارة الآتية :

« ضرر صغير فى مقابل نفع كبير ! »

إقرأ معى



كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى اعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

- **آراء جريئة فى الحياة للفيلسوف الانجليزى المعاصر ((جود))**
- **آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو**
- **كيف نجحوا فى الحياة : لديل كارنيجى**
- **الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك**
- **مراهق : البرتو مورافيا**

واليوم اقدم لك فيما يلى هذا الكتاب الشائق الذى تقرأه باريس فى هذه الايام ، وهو من تأليف الصحفى الالمانى ((سيرام)) ، ويتحدث فيه حديثا ممتعا عن اهم الكشوف الاثرية فى تاريخ مصر الحديث ، وما اكتنفها من ملابسات تجلو صورا رائعة من مجد مصر الخالد ـ الغابر ، والعائد باذن الله ! ـ وهذه هى اول رسالة يوافيك بها مراسل ((كتابى)) الجديد فى باريس

وفى الاعداد القادمة أزمع ان اقدم لك فى هذا الباب الكتب الشائقة التالية، وغيرها :

كازانوفا : وليم بوليثو

جرائم نسائية : ج. أليز

العظماء الاربعة عشر : فرانسو موریاك .. الخ .. الخ



مجد مصر الخالد يبعث حيا !

آلهة .. ومقابر .. وعلماء !

الكتاب الذى تقرأه پاريس هذا الشهر ..

للكاتب الألمانى " س . و . سيرام "



هذا الكتاب ..

(لمراسل « كتابى » فى باريس)

◆ يجتذب بصر المصرى السائر فى شوارع باريس كتاب يطل من واجهات المكتبات العديدة التى تصادفه ، يحمل صورة عريضة لرأس ابى الهول ، والى جانبها هذا العنوان الطريف : ((آلهة ومقابر وعلماء !)) .. ويقبل الجمهور الفرنسى على قراءة هذا الكتاب بشغف ، برغم ارتفاع ثمنه ، فهو من طراز تلك الكتب الناجحة التى يطلبها مريد الثقافة ، وقد جمع بين طلاوة القصة ، ودقة العلم ، وتعمق التاريخ ! .. على ان واضع هذا الكتاب ليس قصاصا ولا عالما ولا مؤرخا ، وانما هو صحفى برع فى فن ((الريبورتاج)) ، ولعلـه لذلك استطاع ان ينجو بحديثه فى التاريخ القديم وعلم الاثار من رهق الاثقال والاملال اللذين لا يكادان يفارقان كتب المختصين فى الموضوع .. فالاسلوب الحى السريع المركز ، والسرد الممتع لوقائع الحفائر ومغامرات الكاشفين ، وجلاء تلك الناحية الانسانية القريبة من نفوسنا والكامنة وراء كل كشف أثرى ، تنسيك انك فى معرض علم جاف ، بل تدفعك الى التهام الصفحات بتلهف قلما تثيره فيك رواية بوليسية محكمة ! وقد استقى الكاتب مادته الغزيرة عن الحضارات الغابرة من أولئك الذين نقبوا عنها : فى اليونان ، وفى مصر ، وفى العراق ، وفى المكسيك .. فتتبعهم فى رحلاتهم وفصل وقائع ما جرى لهم بين الثرى والاطلال من توفيق المصادفة او ضلال العقل طوال هذه الملحمة الرائعة المتصلة ، ملحمة الانسان الحديث خرج للبحث عن ماضيه البعيد وحياته المندثرة ، ساعيا الى تبديد ظلام الجهل بمصباح المعرفة .. وهكذا ينتقل بنا الكتاب من طرواده الى طيبة ، الى نينوى ، الى امريكا الوسطى ، وبين أيدينا من الصور والرسوم ما يوضح لنا المكان والزمان ويبسط ما بلغته الابحاث من نتائج ، باسلوب يلائم الباحث المتعمق والقارىء العابـر على السواء .. ففى الرجوع الاصول والاعتماد على الوثائق منهج علمى محقق يرضى الخاصة ، وفى العرض الشائق والقالب القصصى اغراء يستهوى العامة

فهذا الكتاب يقدم لنا فى الواقع نوعا من الادب آخذا فى الانتشار ، هو أدب الرحلات والكشوف ، الذى استأثر دون ادب الفلاسفة والمنشئين بحظوة القراء فى الايام الاخيرة ، وهى ظاهرة جديرة بالتسجيل . فمنذ عام قدمت المطابع للجمهور كتابين هامين ، احدهما آخر ما كتب «جان بول سارتر» زعيم المذهب الوجودى ، وثانيهما قصة «جان سانتوى» لعلم من اعلام الادب الفرنسى المعاصر هو «مارسل بروست» ، والقصة لم يسبق نشرها اثناء حياته .. وكان الناشرون يتوقعون للكتابين رواجا عظيما ، غير ان الجمهور انصرف عنهما الى سواهما ، لاسباب سنحاول ايضاحها فيما يلى :

انصراف القراء عن كتابين لسارتر وبروست !

فكتاب سارتر وعنوانه «القديس جينيه» SAINT GENET يقدم للقراء بالتحليل والتعليق والرواية سيرة كاتب فرنسى يدعى جان جينيه ، وما هو الا متشرد افاق منحل الخلق ، مأواه الارصفة والسجون والمقاهى الخبيثة. ويطنب سارتر فى وصف شذوذه الجنسى وعلاقاته بالذكور ، متوهما ان فى ذلك المجون تصوفا وعمقا !.. فى حين زهد الجمهور فى الادب الاباحى بعد ان عرف منذ نشبت الحرب الاخيرة بدع المجون فى مختلف اوضاعها ، وغاص فيها سرا وجهرا ، واستوعبها الى درجة التشبع ، بحيث لم تعد به حاجة الى قراءة نيف وخمسمائة صفحة فى موضوع اصبح مبتذلا شائعا لا يهزه ولا يغريه ! أفليس غريبا ان يفلس الادب الماجن فى عصرنا هذا المضطرب ؟ لقد استنفد المجون قواه ، وقضى على نفسه ، فكان الداء وكان الدواء ..

واما قصة «جان سانتوى» JEAN SANTEUIL فهى مما انشأ بروست فى شبابه، اى انها اقل نضجاواحكاما منروايته الذائعةالصيت«فى البحث عنالوقت الضائع» ، التى كانت بمجلداتها الستة عشر كل ما نملك من ادبه حتى العام الماضى . لذلك لم يهتم بظهور القصة الجديدة «القديمة» الا المختصون فى دراسة الادب من أساتذة وطلاب ، لاسيما وهى تحمل جميع خصائص اسلوب بروست ، أى الجملة الطويلة النفس المتشبعة الاجزاء الجرارة الاذيال ، التى قد تستغرق فى تلمس التفاصيل والاحاطة بمشاعر النفس الدقيقة صفحة كاملة او اكثر ! فليس غريبا ايضا ان يتجنب هذه المشقة جمهور

عودته الحرب سرعة الحركة ونشوة المغامرة ومصارعة العقبات فى كل لحظة .. فاصبح يجد ما يريد فى مطالعة كتاب يروى له مثلا رحلة النرويجى «تورهيردال» ورفاقه على ظهر مركبهم الشراعى الخفيف فوق امواه المحيط الهادى مائة يوم ويوما حتى يصلوا الى جزيرة يقطنها بشر بدائيون .. ويجد ما يريد فى مطالعة كتب الكاشف الجغرافى الفرنسى «بول اميل فكتور» عن جزيرة جرينلاند ـ تلك القارة التى يكسوها الجليد ويعيش فى بردها جنس الاسكيمو العجيب الاطوار .. او يجد ما يريد فى كتب الفتى موريس هرزوج الذى استطاع على راس البعثة الفرنسية الى جبال الهملايا ان يتسلق قمة الانابورنا !.. ومن ناحية اخرى فان أشرطة السينما التى تقدم صورة حية لهذه البعثات قد زادت ولا شك حماسة الجمهور المتوثب الى الانطلاق واعمال البطولة .. اجل ، فلقد اضحى المكتشفون فى عصرنا ابطالا شعبيين ..

المـــؤلف ..

◆ وصاحب «آلهة ومقابر وعلماء» صحفى المانى يدعى س.و. سيرام C. W. CERAM ، يدير حاليا احدى دور النشر الالمانية الكبيرة . وكان من الشباب الذين حولتهم الحرب الى جنود ، فحارب فى الجبهة الشرقية عام ١٩٣٩ ، ثم فى ايطاليا . وبدأ كلفه بعلم الاثار بعد ان جرح فى القتال واسر فى ايطاليا سنة ١٩٤٤ ، فاتيح له ان يقرأ على فراش المرض بمستشفى عسكرى انجليزى عدة كتب عن الاثار والحفائر . ومنذ ذلك الحين اشتد شغفه بهذا العلم ، وظل اربع سنوات يدرس كتبه الجافة حتى توصل الى استعادة المراحل التى مر بها كشف العالم القديم ، وأوجه النضال التى مر بها باعثو الحضارات الدفينـــة ..

ولئن ضاق المقام هنا عن استعراض الكتاب الطويل بأكمله ، فلن يضيق عن الالمام بالجزء الخاص بمصر ، ولعله اهم الاجزاء ـ فالمؤلف ينصح القارىء بأن يبدأ بمطالعته قبل غيره من الابواب ! ـ ولا يخلو سياق الفصول الغزيرة عن الآلهة والمقابر والعلماء على ضفاف النيل من خلل الاضطراب والاستطراد. ولكننا اذا عالجناها بالتقديم والتأخير والايجاز استطعنا ان نستخلص من هذا الجزء الذى يعنونه المؤلف «كتاب الاهرام» ثلاث قصص ممتعة :

- ١ -

أبو العلم : «شامبليون»

◆ **تتصل** نشـأة علم الآثار المصرية باسمين معروفين : نابليون ، الذى يردد الجميع عبارته المأثورة فى خطاب جنوده : « ان أربعين قرنا تطل عليكم من قمم هذه الاهرام ! » ، ثم (فيفان دينون) ، الفنـان الاعرج الظريف الذى تقلب بين السـعد فى بلاط الملك لويس الخامس عشر وبين البؤس والحرمان أثناء الثورة الفرنسية ، حتى ضمه نابليون الى فرقة العلماء الذين استصحبهم الى مصر ، وألحق هذا الرجل - وكان يناهز الخمسين من عمره - بجيش ديزيه الذى مضى يطارد فى الصعيد مراد بك . فكان على صهوة جواده يتقدم الكتيبة يوما ويتخلف عنها أياما ، يعنيه قبل كل شىء ما يرى من مشاهد الطبيعة وعادات الشعب ! وكان منذ الفجر يغادر خيمتـه مستطلعا ، معجبا ، مسجلا ما يعرض له فى دفتر لم يكن يتركه قط .. مصورا بالرسوم كل ما يراه ، حتى أثناء سير الجنود وأثناء تناول الطعام !.. وكان يروقه بصفة خاصة أن ينقل صور الاطلال الفرعونية ، وما تحمل من نقوش ، دون أن يفهم من أمرها شيئا . **وانه ليرسم دون كلل ، في (سقارة) وفى (دندرة) وفي الاقصر . ولولا رسمه التخطيطى لهيكل أمينوس الثالث الذى كان قائما اذ ذاك في جزيرة (أنس الوجـود) تحوطه الاعمدة - والذى هدم سنة ١٨٢٢ - لجهل التاريخ ذلك الاثر النفيس !**

.. ثم رحل نابليون عن مصر ، وتبعته حملته الفرنسية .. ورغم استيلاء الانجليز على مجموعة التحف والوثائق المصرية عند جلاء تلك الحملة ، بقيت لدى العلماء الفرنسيين مادة خليقة بأن تستغرق جهودهم في البحث عدة أعوام .. وهكذا نشر

« فيفان دينون » المذكور سنة ١٨٠٢ كتابه « رحلة فى مصر العليا والسفلى » ، ثم نشرت الحكومة الفرنسية « وصف مصر » فى أربعة وعشرين مجلدا ظهرت على التوالى من سنة ١٨٠٩ الى سنة ١٨١٣ ، حاملة خلاصة دراسة مصر من جميع وجوهها . وكانت الآثار الفرعونية تحتل مكانا عظيما فى هذا الكتاب الضخم ، الذى يعتبر أول تعريف جدى بمصر القديمة بعد انقضاء خمسة آلاف سنة على تأسيس دولتها وحضارتها !

وكان من علماء الحملة الفرنسية فى مصر شخص يدعى « فورييه » ، وهو الذى كتب مقدمة « وصف مصر » ، فلما عاد الى فرنسا عين محافظا لمدينة (جرينوبل) ، وهناك اكتشف موهبة الفتى « شامبليون » .. ويزعم مترجمو حياة « جان فرانسوا شامبليون » ، المولود سنة ١٧٩٠ فى بلدة (فيجاك) ، أنه استطاع فى الخامسة من عمره حل رموز لغة قومه — الفرنسية — أى أنه تعلم القراءة فى هذه السن الباكرة من تلقاء نفسه بمقارنة نص حفظه عن ظهر قلب بالاحرف المطبوعة على صفحة الكتاب !.. ولكن أولئك يسرفون على أنفسهم وعلى شامبليون . كفاهم أن يذكروا أن أباه كان صاحب مكتبة ، وان أخاه الاكبر كان من المشتغلين بالفلسفة والآثار القديمة ، وأنه استقدمه الى (جرينوبل) حيث أشرف على تربيته فتعلم منذ الحادية عشرة اللغتين اللاتينية واليونانية ، وبدأ تعلم العبرية ! وهناك أعجب بذكائه « فورييه » ، محافظ المدينة الذى أسلفنا الاشارة اليه ، فأراه مجموعة تحفه ومن بينها قطعة من ورق البردى .. فكان ذلك أول لقاء لشامبليون باللغة الهيروغليفية !

وامتد استطلاع الغلام الى العربية والقبطية والصينية . وبمعاونة فورييه رسم فى سن السابعة عشرة أول خريطة تاريخية لمصر ، أى أول خريطة لدولة الفراعنة . ووضع فى الوقت نفسه كتاب « مصر فى عهد الفراعنة » ، الذى تقدم به

الى أكاديمية (رنودون) ٠٠ وهكذا وقف هذا الفتى النحيف الطويل القامة يعرض على الشيوخ آراءه ، قوى الحجة سليم المنطق ، بحيث أثار فى نفوسهم اعجابا لا حد له ٠٠ فعينوه بالاجماع عضوا بالاكاديمية ، برغم حداثة سنة !

العلم والفقر والمرض !

◆ **ويرحل** الفتى الرقيق الى باريس ليتعمق دراسة اللغات الشرقية ٠ لقد استأجر غرفة متواضعة بالقرب من (اللوفر) ٠٠ وكثيرا ما كان يحين موعد دفع الايجار فلا يجد المال اللازم، برغم أنه لم يكن مسرفا ولا محبا للظهور ٠٠ ويبلى نعلاه وتبلى ملابسه ، وتثور ثائرته اذ يضطر الى رهن كتبه ! ولكنه مع ذلك أتقن اللغة القبطية ٠٠ وذات شتاء رطيب تنفذ الى أوصاله طلائع الداء الذى لم يشأ الا أن يصاحبه بعد ذلك حتى يقضى عليه ٠ وليت رجال الحرب يتركونه وشأنه ! ان نابليون فى حاجة الى جنود ، والفتى شامبليون مطلوب لحمل السلاح ٠٠ فيحتج ويتوسل ويستشفع ، يقيمه السخط ويقعده اليأس ، ولا تفارق ذهنه مع ذلك ٠٠ نقوش حجر رشيد !

ان كل من ضرب بسهم فى دراسة الماضى القديم لم يتردد فى تأويل نقوش هذا الحجر ومحاولة حل الطلاسم الهيروغليفية ٠ وقد ذهب الهواة والعلماء فى هذا السبيل كل مذهب ، فلم يكن بد من أن يتعارضوا وأن يتناقضوا وأن يختلط عليهم الامر ٠ وكان الفتى شامبليون متواضعا يحب العلم لا المباهاة بالعلم ، فلم يتعجل ولم يطلق خياله ليخرج على الملأ بنظرية جديدة فى حل رموز هذا الحجر لا تعتمد على أساس متين ، وانما أكب على دراسة النقوش الواردة على الحجر من ناحية والنقوش الواردة على احدى أوراق البردى من ناحية أخرى ٠٠ وفى هذه الاثناء تظهر فى المكتبات نسخة حديثة من صورة حجر رشيد مطبوعة

فى لندن ، فيتأملها الفتى مليا ، وتتضح له قيم مجموعة من الحروف ٠٠ فيواصل جهده مستهينا بمتاعب الحياة ومآزقها٠٠

وذات يوم ، وهو فى طريقه الى « الكوليج دى فرانس » ، التقى شامبليون بصديق له ، ولم يكد الصديق يلمحه حتى ألقى اليه بنبأ خطير : لقد حلت الطلاسم الهيروغليفية ! **فتظلم الدنيا فى وجه شامبليون ، ويحس أن عناءه وتضحياته قد ضاعت سدى ، ويسأل فى الحال : من هذا الذى حلها ؟ واذ يعلم أنه « ألسكندر لنوار » يطمئن بعض الشىء فهو يعرف هذا العالم منذ عام ويعرف أنه متوسط الذكاء ٠٠** وينطلق الفتى كالسهم الى أقرب مكتبة فيشترى كتاب « لنوار » ، ويرجع سريعا الى غرفته ٠ ولا تلبث صاحبة البيت أن تسمع صياحه وضجيجه ، فتفتح بابه مشدوهة منزعجة، لتجده مستلقيا على أريكته والكتاب بين يديه وقد ملكته أزمة عصبية ، فهو لا يمسك عن ركل الهواء بقدميه وعن الضحك ضحكا هائلا تتخلله أصوات غريبة ٠ لقد حل « لنوار » الهيروغليفية حلا مضحكا !

بين محراب العلم وعواصف السياسة !

◆ **وفى** عام ١٨٠٩ تعين جامعة جرينوبل هذا الفتى الرقيق لتدريس التاريخ، فينهض بعمله على خير وجه، ويؤلف قاموسا للغة القبطية ٠٠ بل ويكتب قصة مسرحية عن «ايفيجنى» ـ ابنة أجا ممنون ـ يستمد موضوعها من الالياذة !

ثم يلتحم نابليون بالملكية العائدة الى عرش فرنسا ، فتعصف ريح السياسة بشامبليون ٠ ألم يروه أثناء حصار جرينوبل فى صف أنصار نابليون ؟ بلى ، ولكنه هرع الى مكتبه منذ بدأت المدافع ترمى المدينة ، ليحفظ من الدمار أوراقه البردية وثمرة دراسته ، ناسيا السياسة والجيش وكل شىء عدا العلم !٠٠ **ويتعقبه رجال الملكية وقد استقر لهم الامر فيفصلونه من الجامعة، ويعتقلونه ، ثم يطلقون سراحه ، ثم يريدون تقديمه للمحاكمة**

٠٠ غير أن هذا كله لا ينال من عزيمته ومثابرته ، بل تشاء الاقدار أن يتوصل أثناء هذه الفترة المضطربة القائمة الى استكناه ما استعصى عليه من رموز الهيروغليفية ٠٠ فيهرب من جرينوبل عام ١٨٢١ لينشر فى باريس نبذة صغيرة متواضعة عنوانها : « خطاب مفتوح الى مسيو داسييه بشأن لفظ الحروف الهيروغليفية»، وقد ضمنهامبادىء حل اللغة الفرعونية والجواب عن مشكلات أعيا العلماء ولوجها !

وقد كان الرأى الشائع حتى يومئذ ـ بناء على ما ذكره المؤرخون القدامى أمثال « هيرودوت » و«اصطرابون» و«ديودور الصقلى » ، وبناء على ما فصله « هورابولون » فى القرن الرابع قبل الميلاد ـ أن للنقوش الهيروغليفية قيمة رمزية تصويرية ، كرسوم وليس كحروف لغة من اللغات ٠ وعلى هذا الرأى اعتمد كل من عرض لتأويل هذه النقوش المنحوتة على صقال الاحجار أو المخطوطة على أوراق البردى : فالخط المتعرج المتموج يدل على الماء ، والراية ترمز الى الملك ، والمربع يمثل الدار الخ ٠٠ لكن الفتى شامبليون ثار على هذا الرأى الكسيح ، وأثبت أن لكل رمز من هذه الرموز قيمة صوتية ، وأنها حروف لغة كاملة ، لغة تقرأ كلماتها وتكتب حسب قواعد ثابتة ٠ ولم يكن بد من الشجاعة والجرأة الى جانب الذكاء النافذ لتحطيم خطأ أقره الجميع أساسا للعلم ٠ وسرعان ما دارت المعركة حامية الوطيس بين الفتى الرقيق والعلماء الاجلاء الذين انبروا للدفاع عن مذهبهم القديم !

كيف توصل الى حل رموز الهيروغليفية ؟

◆ **ألا** ما أبسط مبادىء العلم اذ نتأملها اليوم ! ولكن ما أعقدها قبل أن تكتشف ! لقد خطر لشامبليون وهو ينظر فى نقوش حجر رشيد ما يخطر للعقل السليم : فالنص الوارد فى

لغات ثلاث - احـداها اليونانية - يحوى تحية الكهنة للملك بطليموس ابيفان ٠٠ وقد قرأ شامبليون الاسـطر اليونانية بسهولة، وكان أول همه بعد ذلك أن يجد فى الاسطر الهيروغليفية التى تقابلها أسماء الملوك، فراعه أن يلاحظ فى المكان الذى حدس أن فيه تلك الاسماء، اطارا بيضاويا يحيط بمجموعة من الرموز، وهو ما أصبح يعرف « بالخرطوشة » ٠٠ فاستنتج أن فى هذه الخرطوشة اسم « بطليموس » ، وفى تلك اسم « كليوباطرة » ٠٠ ومضى يقارن بين الرموز الواردة فى كل من الكلمتين ، فرأى مطابقة بعض الرموز هنا لبعض الرموز هناك ، وظل يتـابع فكرته حتى اتضحت له شخصية ثلاثة حروف مشتركة ٠ وهكذا وجد « مفتاح » الهيروغليفية ، بعد أن استغلقت على الدنيا قرونا طوالا !

وتبعث الحكومة الفرنسية شامبليون الى مصر ، فيتنقل على ظهر النيل من يولية سنة ١٨٢٨ الى ديسمبر سـنة ١٨٢٩ ، متوقفا بمنفيس ، وميت رهينة ، وسقارة ، وتل العمـارنة ، ودندرة ، وطيبة ، حتى يبلغ النوبة ٠٠ وهو فى كل منها يدرس المعالم الفرعونية ، ويحدد مكانها من التاريخ ، ويلمس الدليل القاطع على صدق نظريته فى اللغة الهيروغليفية ٠٠

ثم يعود الى وطنه لينكب على اعداد مؤلفه القيم « قواعد اللغة المصرية » ٠٠ لكن الموت يعاجله - سنة ١٨٣٢ - قبل أن ينشره! ٠٠ ويظهر الكتاب بعد وفاته ، فيحدث فى دوائر العلماء أكبر ضجة ٠٠ لقد حل شامبليون طلاسـم الكتابة ، فالطريق الآن ممهدة للمنقبين عن الآثار ٠٠

- ٢ -

عبد الرسول يكتشف «الدير البحرى»

◆ **وقد** لا يعلم الكثيرون أن سرقات الآثار قديمة قدم الآثار ذاتها ٠٠ وان نهب مقابر الفراعنة قد بدأ فى أيام الفراعنة أنفسهم، منذ عهد الاسرة العشرين ، التى بلغ ملوكها من الضعف ما هوى بمصر الى هاوية الانحلال الشديد ٠٠ ففى داخل البلاد انتشرت الرشوة ، وامتد سلطانها الى حراس المقابر ، والمفتشين عليهم ، بل والى الكهنة أنفسهم ٠٠ ومن خارج البلاد تتابع تهديد الاعداء !

وذات يوم ، فى عهد رمسيس التاسع (١١٤٢ ـ ١١٢٣ قبل الميلاد) شكا « باسر » عمدة طيبة الشرقية الى الوزير الاعظم من حركة نهب المقابر التى أخذت صورة شبه منظمة فى طيبة الغربية ! وعدد فى تقريره عشر مقابر ملكية وأربعا من مقابر الكاهنات وكثيرا من المقابر الخاصة سطا اللصوص على محتوياتها الثمينة ٠٠ ولكن « باوور » عمدة طيبة الغربية كان رجلا خبيثا يعرف كيف يتستر على اللصوص وكيف يشترى الضمائر وكيف يطمس بالمال وجه الحق !٠٠ ومن هنا أجزل هداياه لاعضاء اللجنة التى تألفت للتحقيق ، فأصدرت اللجنة قرارها دون أن تتفقد المقابر ، أو حتى تتجشم مشقة عبور النهر الى الضفة الاخرى ! وكان قرارا مجحفا بباسر الولى النزيه ، يتهمه بالكذب والمبالغة والدس لباوور ٠٠ غير أن المحققين لم يستطيعوا نفى ما وقع من نهب ، فأقروا أن أيدى اللصوص قد امتدت الى مقبرة ملكية « واحدة » لا عشر مقابر ، والى اثنتين لا أربع من مقابر الكاهنات ، ثم الى بعض المقابر الخاصة ٠٠

٠٠ وفى اليوم التالى أوعز باوور الخبيث الى مديرى الجبانة والملاحظين والعمال ورجال الشرطة والعرب بالاحتجاج والتظاهر،

لا سيما أمام بيت غريمه ! فعز على « باسر » أن تنقلب الاوضاع، وأن يروح وهو الامين ضحية مكر ذلك الرجل الفاسد نصير اللصوص ٠ وأدت به ثورته الى اعداد مذكرة أذاع أنه سيرفعها رأسا للملك ٠٠ **فهرع باوور الى الوزير ينبئه بأن باسر يريد أن يتخطى القانون ويتعدى حدود الطريق الرسمي ، وأنه يشك فى نزاهة الوزير الاعظم وينكر اختصاصه وسلطته !٠٠ فما كان من الوزير الا أن أمر بتقديم باسر الى المحاكمة ٠ ووقف الرجل الامين النزيه مغلوبا على أمره ، مطأطىء الرأس ، يعترف بصحة ما نسب اليه ويدين نفسه !**

فهل انتهت القصة عند هـــذا الحد ، فزهق الحق وانتصر الباطل ؟ كلا ، بل لقد بقى الفصل الاخير ٠ والفصل الاخير تدور أحداثه بعـــد سنتين أو ثلاث سنين ، اذ يلقى الحراس القبض على عصابة من لصوص المقابر ، ويعترف أفرادها الثمانية تحت وطأة الضرب على الايدى والارجل بعصا مزدوجة ــ بفضل نزاهـــة المحققين فى هذه المرة ــ بأنهم نهبوا المقبرة الملكية وتقاسموا ذهب الملك وحلى الملكة وما أحاط بهما من نفائس٠٠ وهكذا يثبت صدق باسر !٠٠ وقد عثر بين أوراق البردى على ورقة تحمل أسماء أولئك اللصوص ، وهم البناء « حابى » ، وعامل الزخرفة « ارامون » ، والفلاح « أمنحيب » ، والسـقاء « كيمويس » ، والعبد الزنجى « احينوفر » ٠٠ الخ ــ على أن هذه الواقعة لم تضع حدا لحركة النهب فى وادى الملوك ، فقد ورد فى محفوظات المحاكم الفرعونية أن قبور أمينوفيس الثالث وسيتى الاول ورمسيس الثانى قد فتحت عنوة ، بعـد ذلك التاريخ !

والحديث عن اللصوص ، والكهنة المنـافقين ، والموظفين المرتشين ، والفساد المتفشى فى مختلف الطبقات أثنـاء حكم الاسرة العشرين ، قد يوحي الينا بانعدام المصريين الصالحين

يومئذ أو قلتهم ٠ والحق أنه بينما كان أولئك اللصوص يحملون تحت جنح الليل غنائمهم من الذهب والنفائس الثمينة التى تدفن عادة مع جثث أصحابها ، كانت زمر من الاوفياء تسعى تحت ستار الظلام أيضا لتفوت عليهم الفرص ، بنقل توابيت الملوك من مقابرها الى مخابىء خفية !٠٠ **فكم شهد الليل تلك المواكب الصغيرة المؤلفة من بعض أبناء الشعب وبعض الموظفين وبعض الكهنة الحكماء يسرون فى مسالك غير مطروقة ، صـامتين خاشعين ، يحملون تابوت ملك من مقبرته الرسمية الى مخبأ امين !؟** وعلى هذا النحو انتقل رمسيس الثالث ، وأموزيس وأمينوفيس الاول ، وتحتمس الثاني ، ورمسيس الاكبر ، من قبر الى قبر ٠٠ حتى ضاقت بهم المخابىء آخر الامر ، ولاح خطر اكتشاف اللصوص سرها (ولهذلك نجد فى المخبأ الواحد أكثر من مومياء ، ونجد فى كهف الدير البحرى عدة جثث كانت قد دفنت أولا فى وادى الملوك !)

أما التوابيت التى تركت فى وادى الملوك فقد نهبها اللصوص مع مضى العصور ، حتى لم يبق في مقـابر ذلك الوادى غير جدرانها ذات الرسوم الملونة الزاهية، التى بقيت لتروى لليونان والرومان ثم العرب ، أمجاد الفراعنة الاقدمين !

فرصة « ذهبية » للصوص !

وطيلة هذه العصور ، ظل مكان تلك المخـابىء التى هربت اليها التوابيت الاخرى ، سرا خافيا على الجميع !٠٠ فلما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر ، وحل شمبليون رموز اللغـة الهيروغليفية كما أسلفنا ، استيقظ اهتمام العالم بمصر القديمة وآثارها ٠ وتوافد العلماء والسائحون على الاقصر لدراسـة ومشاهدة آثارها ومقابرها التى وان اختفت محتويات بعضها فقد بقيت محتويات بعضها الآخر ، الاقل أهمية ٠٠

ونتيجة لهذا الاقبال من العلماء والسائحين ، نشـطت فى

النصف الاول من القرن التاسع عشر تجارة حرام، كان مركزها قرية (القرنة) الواقعة عند السفح الشرقى لتلال طيبة القديمة، المواجهة للاقصر ٠٠ فان نفرا من أهل تلك القرية ـ كانوا قد ورثوا فى الدم تجارة الكنوز الاثرية المسروقة ـ وجدوا فى توافد أولئك العلماء واهتمامهم بالآثار فرصتهم الذهبية للاثراء الحرام ، عن طريق بيع ما يستطيعون بيعه من تلك المسروقات الى الوافدين البلهاء !

الكنز المطمور !

◆ **وذات** يوم من عام ١٨٧٥ ، بينما كان واحد من أولئك اللصوص ـ يدعى احمد عبد الرسول ـ ينقب عن كنوز أخرى عند رأس واد ضيق على سفح الجبل المواجه لوادى الملوك ، فوجىء باكتشاف فجوة عميقة بين الصخور٠٠ فسارع بالهبوط الى قاعها بواسطة حبل ٠ وهناك ألفى نفسه فى بداية ممر أفقى يخترق الجبل ، وينتهى الى قاعة فسيحة ـ وتعرف هذه المقبرة اليوم بمقبرة الدير البحرى ـ **وعلى ضوء مشعل رأى عبد الرسول فى القاعة ، لذهوله ، صفوفا من التوابيت الخشبية ٠٠ فلما رفع عنها الغطاء رأى بداخلها مومياوات تحمل كل منها على جبهتها ثعبانا ذهبيا ـ وهى الشارة التى كان أولئك القرويون الجهلة أنفسهم يعرفون انها شارة الملوك القدماء !**

بقيت تواجه اللص بعدئذ مشكلة استغلال اكتشافه الهائل ، بغير أن يتسرب نبأه الى السلطات المصرية ! وبعد تفكير وتدبر، قنع عبد الرسول بأن يبدأ هو وعشيرته بتصريف ما خف حمله من الكنوز الذهبية وأوراق البردى التى كانت تحتويها تلك التوابيت ٠٠ ومنذ ذلك اليوم ، بدأت تلك الآثار تتسرب الى أيدى العلماء والسائحين ، مقابل مبالغ سخية من المال !

واستمرت هذه التجارة الحرام سنوات ، كانت تتواتر خلالها الى مسامع مدير مصلحة الآثار المصرية يومئذ ـ جاستون



ماســــــبيرو ـ أنباء وأقاويل متضاربة عنها، دون أن يستطيع وضع يده على اللصوص الآثمين .. حتى آن للعصابة أن ينكشف أمرها أخيرا !

لكن لذلك قصة :

ورقة بردى تفضح العصابة !

◆ **تبدأ** القصة بسـائح أمريكى يتجول فى أزقة الاقصر فى أوائل عـام ١٨٨١ ، فيلتقى بشخص قاتم السمرة يعرض عليه أن يرشده الى تحف فرعونية حقيقية يبتاعها . ولم يكن السائح عالما بالآثار ولا ملما باللغة الهيروغليفية، غير أن ورقة من أوراق البردى خلبته بنقوشها الجميلة الواضحة، فاشتراها دون مساومة ـ بأربعمائة جنيه ـ وأخفاها فى حقيبته بحيث استطاع أن يتفادى رقابة البوليس والجمرك . وفى أوربا أراد أن يطمئن على قيمة برديته ، فاستفتى خبيرا أقر له بأنها حقيقية غير مزيفة ، ثم سأله الخبير كيف حصل عليها ، فروى له الامريكى تفاصيل رحلته الى الاقصر ..

وكتب الخبير رسالة طويلة الى القاهرة ، ما كاد يقرأها « ماسبيرو » حتى احتدم غيظه ، فلم تكن تلك أول مرة تتسرب فيها آثار فرعونية الى السوق السوداء ، ولكن ما السبيل الى معرفة مصدرها ؟ لقد اشتراها أجنبى من مجهول ! وهذا ما يتكرر دائما . غير ان « المجهول » يختلف فى كل مرة : فهو تارة فلاح مهلهل الثياب ، وتارة شيخ تبدو عليه سمات اليسر

والغنى ، وتارة فتى نوبى .. الخ . وألهب غيظ مدير الآثار أن البردية ترجع الى ملك من ملوك الاسرة الحادية والعشرين قد نقب المشتغلون بالآثار عن قبره طويلا دون جدوى! واستعرض ما وصل الى علمه عن التحف التى ظهرت أخيرا فى السوق السوداء فلاحظ أنها تخص عدة ملوك ، أى ان اللصوص وضعوا أيديهم على عدة مقابر ، أو على مقبرة واحدة تضم آثار عدة ملوك ، فما أفدح خسارة العلم !

بعث ماسبيرو أحد مساعديه الى الاقصر للتحرى ، فنزل فى نفس الفندق الذى نزل فيه الامريكى .. وجال فى المدينة كل يوم يصلصل فى السوق بنقوده ، ويبتاع أشياء تافهة بمبالغ طيبه ، وينفح التجار بما يغريهم من المال ليبحثوا له عن تحف حقيقية لا شك فيها ! وعبثا حاول مروجو التحف المصنوعة أن يقنعوه بقيمة سلعهم .. فزاد تقدير الجميع لهذا الفتى الاجنبى الحريص الذى لم يفلح أحد فى خداعه . وتطور التقدير الى ثقة متبادلة ، وأدت الثقة الى النتيجة المنشودة ، **فهاهو ذا رجل قابع تحت بوابة يشير اليه ذات مساء اشارة خفيفة ، ثم يعرض عليه تمثالا صغيرا . فيفترش صاحبنا الحصيرة بجواره ويفحص التمثال متظاهرا بأنه يتلاعب به بين يديه ، واذ يدرك أنه تحفة أصيلة من احدى مقابر الاسرة الحادية والعشرين يكتم روعه ويبدى الفتور وعدم التهافت، ويأخذ فى مساومة الرجل مساومة طويلة** ، ثم يشترى التمثال فى آخر الامر قائلا انه تمثال صغير لا يرضيه كل الرضا ولا يعجبه كل الاعجاب ، وانه يود لو حصل على شىء أكبر وأنفس .. عندئذ يعرفه الرجل بشخص طويل القامة عريض المنكبين فى مقتبل العمر وعنفوانه ، يدعى « عبد الرسول » !

وتتكرر مقابلات صاحبنا لعبد الرسول ، وعبد الرسول يريه يوما أشياء من آثار الاسرة التاسعة عشرة ، ويوما أشياء من

آثار الاسرة العشرين .. حتى اقتنع المبعوث بأنه أمام زعيم العصابة بلحمه ودمه .. فدبر اعتقاله !

داود باشا يحقق ..

◆ **مثل** عبد الرسول وعدد من أفراد عائلته أمام داود باشا مدير قنا الذى باشر التحقيق بنفسه . وتقدم عدد غفير من شهود النفى ، يقسمون أغلظ الايمان أن عبد الرسول برىء ، وأن عائلته من أعرق عائلات المديرية ! وكان مساعد ماسبيرو قد أبرق الى القاهرة بنجاح مهمته . ومع ذلك نرى داود باشا يضطر الى اطلاق سراح عبد الرسول واخوانه لعدم ثبوت التهمة عليهم !.. فيحتج صاحبنا ، ويندهش لفتوز المدير أو صبره على الجناة .. ويبرق الى القاهرة من جديد بتطور التحقيق . ولكن داود باشا كان يعرف كيف يستخدم الايحاء الصامت حيث لا يجدى التخبط والتعسف . وقد روى فيما بعد عامل مسن من التابعين لهوارد كارتر - كاشف مقبرة توت عنخ أمون - أنه كان ممن اتهموا بالسرقة ، **فراعه ألا يقدموه الى محكمة ، بل الى بيت المدير ، هناك حيث كان داود باشا بنفسه يترطب من حر النهار فى حوض من الماء ، ولا يأتى من فعل اللهم الا أن ينظر اليه نظرات طويلة ثاقبة أحس المسكين أنها تصهره صهرا ، ثم قال له : « انها المرة الاولى التى تأتى فيها أمامى . تستطيع أن تمضى لحالك ، ولكن احذر أن أراك بعد ذلك ! » ، فكانت النتيجة أن الرجل ملكه الخوف حتى لقد غير مهنته كيلا يظهر أمام داود باشا مرة أخرى !**

لم يكن غريبا اذن أن يقبل من تلقاء نفسه بعد انقضاء شهر أحد أقارب عبد الرسول فيدلى الى المدير باعتراف كامل . وكان معاون ماسبيرو لم يبرح الاقصر ، فدعى لاستئناف التحقيق ..

كان عبد الرسول زعيم أسرة اختصت فى نهب المقابر الاثرية منذ عهد بعيد ، وتوارثت هذه الصناعة أبا عن جد ! فلما هدته المصادفة فى عام ١٨٧٥ الى ولوج مقبرة الدير البحرى ـ كما أسلفنا ـ اعتبرها كنزا هائلا يضمن رغد أسرته مدى حياته ورغد أبنائه وأحفاده . وجمع المسئولين من أعضاء الاسرة فأخبرهم بالامر وأقسموا ألا يفشى أحد سر الكنز ، وأن يتركوه فى مخبأه الصخرى حيث يكمن منذ ثلاثين قرنا ، وأن يعتبروه بمثابة رصيد زاخر فى مصرف خاص لآل عبد الرسول ! .. وسبحت الاسرة فى النعيم طوال السنوات الست ، حتى كان اليوم الخامس من شهر يولية عام ١٨٨١ ، يوم اضطر عبد الرسول بعد القبض عليه الى أن يقتاد مبعوث القاهرة الى مدخل المقبرة !

وتشاء الاقدار ألا يكون مبعوث القاهرة هو مساعد ماسبيرو الذى صحبناه حتى الآن ـ فقد أرهقه الحر وأقعدته الحمى ـ وألا يكون ماسبيرو نفسه ، فقد بدأت عطلته ، وانما يكون « اميل بروجش بك » الذى حل محل ماسبيرو ريثما يعود من رحلته . ما أسعد هذا العالم الذى يتاح له أن ينفذ الى سر من الاسرار ! **وما أشد جرأته قبل كل شىء ! فقد خرج مع عبد الرسول وتابع له أمين الى الجبل ، وبعد تصعيد شاق وقف عبد الرسول وأشار الى مجموعة من الاحجار ملقاة فى صورة طبيعية فوق فجوة عميقة ، ثم أدلى فى تلك الفتحة حبلا كان يحمله على كتفه ، فلم يتردد اميل بروجش ونزل مستعينا بالحبل ، مخاطرا بحياته التى أضحت فى يد لص جبار !**

ها هو ذا فى بئر يبلغ عمقها نحو أحد عشر مترا . ويحط على القاع فيوقد مشعلا ، وينظر فيرى تابوتا ، ثم عدة توابيت ، بعضها مفتوح وبعضها مغلق ، ومومياوات كثيرة بينها قد رقدت وسط خليط من الادوات والجواهر ! فظل العالم لحظات مشدوها

أمام هذا المشهد العجيب . تلك جثث أقوى من حكموا الارض فى العهود القديمة : بين يديه جثة أموزيس الاول الذى طرد الملوك الرعاة وحقق استقلال وطنه ، وجثة أمينوفيس الاول ، وجثة تحتمس الثالث ، وجثة رمسيس الاكبر الذى تربى فى بلاطه موسى النبى ! .. أولئك الذين شيدوا دولة مجيدة دانت لها الدنيا بأسرها .. حار العالم أين يركز بصره ، وماذا يقرأ ، وماذا يفحص ؟ غير أنه استطاع أن يلمح على تلك التوابيت آثار الكهنة الذين نقلوها من مقبرة الى مقبرة ، فخطرت له صورة مواكبهم المذعورة الخاشعة تحت جنح الليل وهم يحملون هذه التوابيت الى هذا المخبأ ويتعجلون وضعها ههنا ، فان بضعة منها مسندة الى الجدار مجرد اسناد . وأحصى العالم أربعين جثة محنطة ، كانت ملوكا ، وكانت آلهة ، وطوتها الارض عن البشر ثلاثين قرنا حتى أتيح له أن ينفذ اليها أول الناس بعد ذلك اللص الذى أدلى له الحبل ..

ما أبلغ الحكمة المصرية القائلة : « أولئك الذين بنوا فى الصخر ، وشيدوا بهوا فى الهرم ، وخلقوا بهذا العمل الجليل لونا من الجمال .. ان موائد قرابينهم خالية كموائد التعساء الذين يموتون على الشاطىء وليس لهم من يبكيهم » !

٤٠ ملكا تحت الحراسة !

وخرج اميل بروجش بك من مقبرة الدير البحرى ، تاركا فى جوفها أربعين ملكا ، متسائلا كيف يستطيع صيانتهم ؟ ! لم يكن بد من نقلهم الى متحف القاهرة ، فلو ظلوا فى مكانهم لباتوا نهبا للصوص مهما شددت الحراسة . وفى الفجر التالى انتخب من الفلاحين من توسم فيهم الامانة واستعان بهم فى رفع محتويات المقبرة على وجه الارض أولا ، ثم فى تغليفها وحزمها ، ثم فى نقلها الى الاقصر ..

وفى ١٤ يولية سنة ١٨٨١ ، تحركت من الاقصر سفينة ما شهد الدهر مثلها ، سفينة تحمل أربعين ملكا عظيما ، وآثارهم ،

كتلة جليلة من التاريخ ، راحت تهبط النيل من عاصمة المجد الغابر كمعجزة لم تخطر على بال . ووقف العالم صامتا على ظهر السفينة ، مختلجا بالتأثر ، يفكر فى وسقه الرائع . وأجال بصره على ضفة النهر العريق فرأى ما هز أعماقه ، رأى شعب مصر فى صورته الاصيلة ، مئات الفلاحين ، رجالا ونساء وأطفالا ، قد احتشدوا صفا هائلا من الاقصر الى قفط الى قنا ، وكأنهم خرجوا يشيعون أجدادهم الى مقرهم الاخير ، ويؤدون لهم عبر الاجيال تحية الوفاء .

- ٣ -

الجدار الذهبى

◆ **كان** اللورد كارنارفون فتى يحب الرياضة ويحب الفن ، اقتنى وما زال يافعا مجموعة من التحف القديمة واللوحات والرسوم . وكان مواظبا على شهود سباق الخيل ، وعلى دروس الرماية والملاحة . وحين ورث فى الثالثة والعشرين من عمره ثروة طائلة ، قام على ظهر سفينته الشراعية الانيقة برحلة حول العالم . فلما اخترعت السيارة فى آخر القرن الماضى ، كان صاحب ثالث سيارة ظهرت على أرض انجلترا ! غير ان شغفه بالقيادة لم يلبث حتى غير مجرى حياته . فقد انقلبت به عربته فى بعض طرق ألمانيا حوالى عام ١٩٠٠ ، وجرح جراحا بليغة لم تفارقه آثارها بعد ذلك . ونصحه الاطباء حرصا على سلامة صدره بألا يقضى الشتاء فى انجلترا. فحضر الى مصر للاستشفاء عام ١٩٠٣ . ولقى فى الصعيد عدة بعثات تبحث عن تاريخ مصر القديم تحت ثراها، فوجد فى مثل نشاطها الهدف الممتاز الخليق بأن يوجه نحوه حياته الخالية المستقلة اللينة . أليس التنقيب عن الحضارة الفرعونية رياضة وتسلية ودرسا للفن فى آن



واحد ؟ وانه ليبدأ فى عام١٩٠٦ حفائر خاصة ، ولكنه يلمس فى الحال قلة درايته بعلم الآثار ، فيستشير فى ذلك الاستاذ ماسبيرو، ولا يجد ماسبيروخيرا من أن يقدم اليه الفتى « هوارد كارتر » الذى اكتسب خبرة سابقة باشتغاله مع العالمين بيترى وديفيز • وهكذا اجتمع علم كارتر ومال كارنارفون !

مع اللصوص فى جوف المغارة!

◆ **وكان** كارتر جريئا مقداما كما تظهره لنا مغامرته بحياته بين اللصوص عام ١٩١٦ : فقد أقبل عليه أعيان الاقصر مذعورين يسألونه النجدة اذ قل عدد رجال الادارة وحفظة الامن تلبية لحاجات الحرب و «السلطة» فى غير الصعيد ، مما شجع ناهبى المقابر الاثرية على مزاولة مهنتهم جهرا بل وعلى التنافس والتقاتل فى سبيل الكنوز الدفينة ، والاعيان يريدون حقن الدماء وفض النزاع بين عصابتين خطيرتين كشفت احداهما مقبرة فى السفح الغربى لوادى الملوك وأغارت عليها الاخرى حتى كادت تبددها ، وهذا كله نذير بشر مستطير !

وكان المساء قد خيم ، فجمع كارتر من عماله من استطاع أن يفلت من « السلطة » ، وتدجج بسلاحه ، **وصعد واياهم ٦٠٠ مترا على سفح الجبل ، حتى بلغوا قرب منتصف الليل موضعا أوقفهم عنده دليلهم ، وأراهم طرف حبل يتدلى بمحاذاة صخرة شاهقة عمودية • وأصاخوا السمع فميزوا أصوات اللصوص ! وبدأ كارتر بأن قطع حبل هؤلاء كى لا يدع لهم مهربا ، ثم ثبت**

حبله وانزلق عليه بحذاء الصخرة ! أجل ، لقد كان من التهور أن يلقى امرؤ بنفسه وقد انتصف الليل فى وكر عصابة أخذت فى نهب مقبرة ! وكانوا ثمانية .. ومرت على الجميع لحظات رهيبة .. وأفهمهم كارتر رابط الجأش أن يختاروا واحدة من اثنتين ، أن ينصرفوا أحياء بالتسلق على حبله أو أن يمكثوا حيث هم الى الابد . فكانوا من العقل بحيث اختاروا سبب النجاة ، لا سيما ومقبرة الملكة حتشبسوت لم تكن زاخرة كسواها بالاحجار الكريمة !

حفائر خمس سنوات .. بلا نتيجة !

واستطاع كارتر وكارنارفون أن يشرعا جديا فى حفائرهما منذ خريف ١٩١٧ . غير أنهما لم يعثرا على شىء يذكر طوال خمس سنوات ، ففتر أملهما فى اكتشاف قديم جديد . وفى ٣ نوفمبر سنة ١٩٢٢ ـ وكان كارنارفون فى انجلترا ـ راح كارتر يحفر تحت أكواخ العمال ، وهى أطلال ترجع الى الاسرة العشرين . وفى الصباح التالى وجد تحت الكوخ الاول درجة من درجات سلم حجرى . وبعد يومين أتم من ازاحة الثرى ما أكد له أنه أمام مدخل مقبرة لم تمتد اليها أيدى اللصوص منذ عهد الاسرة العشرين على أقل تقدير ! وفحص أختام الباب الذى انتهت اليه درجة السلم الثانية عشرة ، قبل أن يثقب فيه ثغرة صغيرة أدخل فيها مصباحا كهربائيا ونظر خلالها فأبصر ممرا انتثر فيه الحصى ـ وهذا دليل آخر على أن المقبرة سليمة !

ويثير اعجابك حقا أن ترى العالم فى اللحظة التى يصل فيها الى هدفه بعد جهد دام خمس سنوات ، يقرر اغلاق المقبرة وانتظار صديقه وممولهـ. وانه ليبرق لكارنارفون يوم ٦ نوفمبر « كشف هائل فى الوادى .. مقبرة عظيمة ، سليمة الاختام . أعيد اغلاق كل شىء الى حين قدومك . تهنئاتى » .. فيتلقى فى ٨ نوفمبر ردين : « قادم بأسرع ما يمكن » ثم « أصل يوم

٢٠ الى الاسكندرية » ٠٠ وفى ٢٣ نوفمبر يبلغ لورد كارنارفون الاقصر ، تصحبه ابنته

لقد انهالت برقيات التهانى على كارتر أثناء الاسبوعين اللذين قضاهما مكتوف اليدين لا يدرى مقبرة من تكون هـذه التى كشفها ٠٠ وهكذا ظل نهبا للحيرة ولمختلف الخواطـر تؤرقه وتلح عليه ـ ولو أنه حفر شبرا واحدا لاستطاع أن يقرأ ختم « توت عنخ أمون » واضحا جليا ! وذلك ما أتيح له يوم ٢٤ نوفمبر عندما تمت ازاحة الثرى عن أربع درجات أخرى ٠ وفى ضوء النهار ، راعه أن يميز فى الباب ثقبين أعيد طمسهما ٠ اذن فاللصوص قد دخلوا المقبرة على غير ما كان يعتقد، ودخلوها أكثر من مرة ٠ بيد أن وجود تلك الاطلال على سطح الارض فوق المقبرة رأسا يدل على أن النهب لم يحدث بعد عصر رمسيس الرابع ٠٠ ووجود الاختام سليمة يدل على أن المقبرة قد أعيد اغلاقها رسميا ، أى أن اللصوص لم ينزحوها نزحا تاما ٠

الكشف العجيب !

ويصل العمال الى باب آخر فى نهاية الممر يبعد نحو عشرة أمتار عن الاول ، وكان يحمل أختام توت عنخ أمون أيضا ٠ ويفتح فيه كارتر ثغرة صغيرة يطل منها على الداخل ، ومن حوله لورد كارنارفون وابنته ليدى ايفلين ومؤرخ الآثار كالندر الذى تطوع لمعاونتهما ٠ وفى بصيص أعواد الثقاب لبث كارتر ينظر الى ما حفلت به الغرفة ، صامتا لا يقول ، فقد عقدت الدهشة لسانه ٠ وأخيرا سأله لورد كارنارفون : « هل ترى شيئا ؟ » ، فالتفت اليه يجيب فى تأثر شديد : « أشياء عجيبة ! » ٠

وحين دخلوا جميعا تلك الغرفة رأوا على ضوء مصباح كهربائى قوى : العرش الذهبى ، والمحفات ، وتمثالين أسودين كبيرين ، قائمين على انائين من المرمر ، وصناديق غريبة ، ورؤوس حيوانات تلقى ظلالا حية على الجدران ، وثعبانا ينساب

خارجا من أحد الصناديق مادا لسانه الذهبى . وبين هذين التمثالين اللذين انتعلا الذهب وتألق على جبهتهما الثعبان المقدس ووقفا كالحارسين ، كان باب آخر مغلق مختوم !
ولم يفق القوم من دهشتهم تلك حتى صاح أحدهم وقد وجد وراء المحفات الثلاث خرقا صغيرا فدعا أصحابه لمعاينته .. ويقربون المصباح ، فتنجلى لابصارهم غرفة ثانوية ، مليئة مزدحمة بمختلف الادوات ... ان واحدة من هذه الادوات لتعتبر كشفا قيما يسعد به الباحث، ونتيجة ايجابية تكافىء جهده فى التنقيب عاما أو أعواما . أفليس هذا الكنز الزاخر خليقا بأن يغير وجه التاريخ المعروف ؟ ثم هناك ما وراء هذا الباب الثالث المغلق... ولكن كارتر قرر ألا يفتحه الا بعد دراسة ما أصبح بين أيديهم .

النبأ الذى هز العالم !

لم يكن بد من تسجيل مكان كل شىء، والصورة التى اتخذها وضعه ، ولم يكن بد من العمل على صيانة بعض الاشياء الثمينة قبل لمسها بمجرد اللمس، ولم يكن بد من انشاء معمل كيماوى لتحليل المواد التى قد تتحلل ساعة اخراجها . عمل هائل ينبغى تنظيمه والاستعداد له، بل ويتطلب تضافر المختصين فى علوم كثيرة . وما كاد الخبر ينتشر شرقا وغربا حتى قدم متحف نيويورك لكارتر مصوره الفوتوغرافى هارى بيرتون ، وأرسلت جامعة شيكاغو الاستاذ جيمس بريستيد الذائع الصيت ، وبعثت الجامعة المصرية أستاذ الكيمياء ، والدكتور صالح بك حمدى ، والدكتور دوجلاس ديرى أستاذ التشريح لفحص الجثة ، ويضيق المقام عن ذكر علماء الآثار الذين أقبلوا من مختلف الدول ! وكان من نتائج البحث أن نشر ا. لوكاس كتابا عن كيمياء المقبرة يدرس ما وجد فيها من المعادن والزيوت والانسجة، ودرس ب . نيوبرى بتحليله أكاليل الزهر وتحليله الثمار طبيعة تلك النباتات التى

مر عليها ٣٣٠٠ سنة ، بل واستطاع أن يستنبط من الزهور أن توت عنخ أمون دفن فى يوم من أيام الربيع ، بين منتصف مارس وآخر أبريل !

وحين تمت دراسة هذا كله فى المقبرة نفسها ، أرسلت الآثار الى القاهرة ٠٠ وحان أوان فض أختام الباب المفضي الى الحجرة المجاورة ! **وفي غرفة المقبرة الفارغة ، يوم الجمعة ١٧ فبراير سنة ١٩٢٥ ، فى الساعة الثانية بعد الظهر ، اجتمع نحو عشرين شخصا وجلسوا على الكراسى المرصوصة فى بضعة صفوف ضيقة ٠ ولبثوا خاشعين وقد تعلقت أنظارهم بكارتر وهو يقتلع أحجار الباب المختوم ، حجرا بعد حجر !**

التابوت الذهبى !!

ثم طلب كارتر المصباح ، فسرت همسة اضطراب فى صفوف الحاضرين ٠ وأطل العالم فرأى ما فاق أبدع آماله وأقصى تهاويل خياله : رأى جدارا من الذهب ! هنــاك مضى كالمحموم يقتلع الاحجار ليوسع الفتحة ، فظهر بريق الذهب للجمهور المبهوت ٠ غير ان كارتر والعالمين اللذين نهضا لمعاونته لم يلبثــوا حتى ميزوا التابوت الضخم الذهبى ، تابوت توت عنخ آمون !

ما لم تره عين منذ الماضى السحيق ، مالم يعرفه غير الفراعنة الاحياء !

وتجاوبت فى أرجاء العالم أصداء هذا الكشف ، الذى ما زال يعتبر أروع كشف تاريخى شهده القرن العشرون ٠

أخى ! هذه آثارنا ـ وهذه قصة آثارنا ـ تدل علينا ٠٠

الحياة
قصة



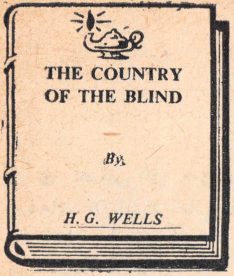
روائع
القصص
العالمى

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية من « كتابى » ، القصص الآتية على التوالى :

- أموك : لستيفان زفايج
- قلب عذراء: جون جالزورثى
- مرتفعات وذرنج: اميلى برونتى
- التلميذ : بول بورجيه
- أحدب نوتردام: فيكتورهوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله: روبرت هتشنز
- عندما تحقد المرأة : أونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين: سنكليرلويس
- الشيطان على الارض : برتراند رسل
- تاييس : أناتول فرانس
- رسالة من مجهولة : زفايج
- الحب الاول : ترجنيف

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه القصة من القصص العلمى الذى تخصص فيه الروائى الانجليزى المشهور ه.ج. ويلز





هـ . ج . ويلز

بلاد العميان !

هذه القصة ..

◆ تصلنى كل حين رسائل كريمة يطالبنى اصحابها بان اقدم لهم على صفحات «كتابى» نماذج من ذلك اللون من القصص «العلمى» الذى اختص فيه الكاتب العالمى المجدد (هـ.ج. ويلز) .. وقد كنت بسبيل اعداد قصة من هذا اللون بالفعل ، حين بدأ العام الدراسى الجديد منذ أسابيع ، فانهالت على مئات من الرسائل من طلبة «الثقافة» الاعزاء ـ ومن ذويهم الكرام ـ تلح على كلها فى طلب نشر قصة «هـ.ج. ويلز» التى قررتها عليهم وزارة المعارف هذا العام ، وهى قصة «بلاد العميان» ، على ان تكون ترجمتها اقرب الى «الحرفية» ، كيما تساعدهم على فهم الكثير من المصطلحات والتركيبات المعقدة التى ازدحمت بها القصة ..

لذلك رأيت ـ استجابة لطلب هؤلاء واولئك ـ أن ارجىء القصة التى كنت قد شرعت فى اعدادها الى فرصة أخرى ، وأبدأ بالقصة الحالية بدلا منها .. هذا وان كنت اعترف لك ان هذه القصة لا تعجبنى شخصيا ، بل انها فى رأيى من أضعف قصص «ويلز» واكثرها تفككا ـ وقد زادها التقيد بالحرفية فى الترجمة ، ضعفا وتفككا ! ـ فضلا عن أنها أقرب الى قصص المغامرات الخيالية الشاذة ، منها الى اللون العلمى الرصين الذى أبدع فيه ويلز نفسه فى قصص أخرى له ، والذى يفتح امام القارىء آفاقا واسعة للتفكير والتأملات .. والحق انى كنت احب لو اختارت وزارة المعارف للطلبة قصة أخرى من قصص ويلز الجبارة ، مثل : «العالم فى المستقبل» ـ أو (شكل الاشياء فى المستقبل) على حد تسميته لها ـ او قصته الاروع والاجمل : «النار التى لا تخمد» (التى أرجو أن أقدمها لك ـ ملخصة اوكاملة ـ فى فرصة قادمة)..الخ

على انى حاولت مع ذلك بقدر الامكان ـ ودون ابتعاد محسوس عن الحرفية ـ ان أعالج ما شاب بداية القصة من تعقيد وتشابك كبيرين فى تتابع حوادثها ، فارجو ان أكون قد وفقت فى ايضاح المواقف التى تلتبس على ذهن قارىء الاصل الانجليزى للقصة كما كتبها مؤلفها ..

ولعل اهم ما يعيب القصة هو هذا الجزء الاول «المتشابك» منها .. وتليه خاتمتها «المبتورة» الى حد ما ، والتى كانت تحتمل المزيد من الاسترسال، ولا سيما فى وصف مشاعر العمياء البريئة «مدينا ساروته» بعد ان هجرها

حبيبها فجاة دون مقدمات ! .. ويبدو ان المؤلف قد آثر الفرار من حرج البحث عن مصير للفتاة المنكوبة بعد تلك الصدمة القاسية ، فختم القصة دون ان يعرض لها بخير أو شر !

المــؤلف

◆ و «هربرت جورج ويلز» كاتب روائى ، واجتماعى ، وتاريخى ، انجليزى .. ولد فى «بروملى» بمقاطعة (كنت) فى سنة ١٨٦٦ . وكان ابوه لاعب «كريكت» محترف ، وقد نشأ فى منزل متواضع من منازل الطبقة الوسطى فى العهد الفيكتورى بانجلترا ، مما بدا اثره جليا فى رواياته الاولى .. وقد فاز فى مراحل دراسته بانتظام حتى انتهى الى «كلية العلوم الملكية» فى (ساوث كنزيجتون) ، ثم حصل على درجة «بكالوريوس» فى العلوم من جامعة لندن فى سنة ١٨٨٨

وقد قضى بعض السنين فى تدريس العلوم بالمدارس ، واعطاء دروس خاصة لبعض الطلبة .. ولكنه تحول الى الصحافة فى سنة ١٨٩٣ ، ونشر اول كتبه فى سنة ١٨٩٥ .. ثم تلاها بأولى رواياته العلمية المدهشة «آلة الزمن» . وواصل كتابة روايات من هذا النوع ، ثم نشر فى سنة ١٩٠٠ رواية «الحب ومستر لويشام» ، واتبعها بمقالات عن احوال عصره . وكان عدد كبير من مؤلفاته يرمى الى أهداف اجتماعية وعلمية ، ولكنه كتب ايضا كثيرا من الروايات فى مسائل تتصل بالحياة فى ايامه . ومن اكثر هذه المؤلفات شهرة «كيبس» ، و«آن فيرونيكا» ، و«تاريخ مستر بوللى» ، و «تونو بونجاى»

وقد كان «ويلز» اشتراكيا ، فكتب عن الشئون السياسية والاجتماعية ، لاسيما فى أعقاب الحرب الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) .. وفى سنة ١٩٢٠ وضع كتاب «خلاصة التاريخ» ، واتبعه فيما بعد بكتاب «تاريخ العالم الموجز» . وفى سنتى ١٩٢٢ و١٩٢٣ رشح نفسه للانتخابات البرلمانية عن جامعة لندن ، ولكنه لم يوفق . وظل يكتب المقالات ، والقصص ، والفصول الانتقادية الساخرة .. حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، التى تنبأ فى سنة ١٩٣٧ بنشوبها ، فى جولة قام بها فى أمريكا لالقاء سلسلة من المحاضرات . وكان قليل الامل فى دوام السلام ، لان مستوى التعليم فى كافة أرجاء العالم كان - فى رأيه - منخفضا لا يساعد البشر على تفادى الحرب !

ومع انه قد لا يعتبر من جبابرة مؤلفى عصره ، الا انه ترك بلا شك اثرا كبيرا فى الحياة والفكر - السياسى والاجتماعى - فى العصر الحديث

وقد توفى فى سنة ١٩٤٦

- ١ -

◆ **على** بعد ثلاثمائة ميل من « تشيمبو رازو » أو تزيد ، وعلى مائة ميل من ثلوج « كوتو باكسى » ، فى أوعر أراضى جبال « الاندز » ـ ببلاد اكوادور ـ وأبعدها عن العمران ، يقع ذلك الوادى الجبلى الغامض الذى تقطعت الاسباب بينه وبين دنيا البشر : « بلاد العميان » !

ولقد كان ذلك الوادى فى الماضى البعيد مفتوحا للعالم ، يستطيع الناس أن يفدوا الى مراعيه الغنية خلال ممرات جليدية رهيبة ٠٠ وعن هذا الطريق جاءت أسرة أو أكثر من « بيرو » هاربة من طغيان الحاكم الاسبانى ٠٠ ثم جاء زلزال «ميندوبامبا» الفظيع ، حين اظلم الكون فى « كيتو » سبعة عشر يوما ، وأخذ الماء يغلى فى « ياجواتشى » ، وطفت الاسماك ميتة على سطح الماء فى « جواياكيل » ٠٠ وتشققت الارض على طول ساحل المحيط الهادى ، وذاب الجليد ، واندفعت المياه فى سيول فظيعة ٠٠ وتشقق جانب كامل من « أراوكا » وغار محدثا ضجيجا ، فعزل « دولة العميان » الى الابد عن أقدام الرواد من أبناء البشر !

*

◆ **غير** أن شخصا من أوائل أولئك الوافدين الذين استقروا فى الاقليم من قبل ، كان بطريق المصادفة فى الجانب الآخر من الممرات الجليدية حين ارتجت الدنيا هذا الارتجاج الفظيع ، فاضطر الى أن ينسى زوجته وابنه وكل أصدقائه وممتلكاته ، ويلجأ الى الارض المنخفضة المترامية تحته ، حيث لم يلبث أن بدأ حياة جديدة ٠٠

لكنها كانت بداية سيئة ، اذ أنه أصيب بعد قليل بالعمى ٠٠ ثم لقى جزاءه فمات فى مناجم تلك البقاع ٠٠ بيد أن القصة التى

رواها خلقت اسطورة لا تزال قائمة بين أهل مرتفعات «كورديلليرا» فى جبال الانديز حتى اليوم :

لقد روى السبب الذى دفعه الى المجازفة بالهجرة من البلاد الآمنة الحصينة التى حمله أهله اليها حين كان طفلا .. فقال ان الوادى الذى هاجر اليه واستوطن فيه ـ قبل أن تحرمه تلك الهزة الارضية من العودة اليه ـ يحتوى على كل ما يمكن أن يشتهيه قلب انسان : ماء عذب ، وعشب كثيف ، وهواء عليل ، وتربة طيبة ، وأشجار تثمر أشهى الفاكهة .. والى أحد جانبى الوادى غابات كثيفة تحمى من استقروا فى الوادى من الرياح والسيول .. أما الوادى نفسه فكان غائرا بين الجبال ، وعلى ثلاثة جوانب منه قامت تلال ذات صخور خضراء يخالط خضرتها لون رمادى ، وتكسوها الثلوج .. فاذا ذابت الثلوج ، انحدرت الى خارج الوادى ، ومن ثم كان أهله بمنجاة من سيول المياه الثلجية .. ولم تكن تهطل على الوادى أمطار ولا جليد ، وانما كانت ثمة عيون للماء عديدة نمت على مياهها الاعشاب الخضراء الكثيفة .. والواقع ان السكان كانوا يعيشون فى الوادى حياة طيبة ، هم وحيواناتهم التى تضاعفت وتكاثرت .. ولكن شيئا واحدا أفسد عليهم هناءهم ، أفسده الى درجة كبيرة : فقد دهمهم وباء غريب ، جعل جميع أطفالهم يولدون عميانا ! كما ان كثيرا من الاطفال اليافعين أصيبوا بدورهم بالعمى .. وفى سبيل البحث عن سحر أو دواء ضد العمى ، سعى ذلك الرجل متجشما العناء خائضا الاخطار عبر الممرات الجليدية .. **وكان الناس فى تلك الايام لا يفكرون ـ فى مثل هذه الحالات ـ فى أن سبب اصابتهم شىء يقال له « الجراثيم » ، وانما يعتقدون أن سببها شرورهم !.. لهذا بدا للرجل أن سبب الوباء يرجع ولا بد الى اهمال أولئك المهاجرين غير المتدينين فى انشاء مكان للعبادة بمجرد أن وفدوا الى الوادى** .. ومن ثم رغب فى أن يقام

فى الوادى ـ بأرخص النفقات وعلى أكمل الوجوه ـ معبد يملأ بالاشياء المقدسة والمباركة ٠ وكان يحمل فى كيسه قضيبا من الفضة التى توجد فى الوادى ، كان يبغى أن يدفع منه نفقات هذا « العلاج الدينى » ٠ وقال ان قومه صاغوا القضيب من جميع ما كانوا يملكون من أموال وتحف ، اذ لم تكن بهم حاجة الى مثل هذا الكنز هناك ٠٠ ومن الجلى أنه كان يكذب حين قال انه لم يعد فى الوادى أية معادن ثمينة ٠٠ وانى لاتصور هـذا الرحالة الشاب الذى غام بصره ، ولوحته الشمس ، وتملكته الحماسة للخير ـ فبات رجلا لا قبل له اطلاقا بأساليب دنيانا ـ أتصوره يروى قصته تلك ، قبيل حدوث الزلزال الكبير ، لقس حاد البصر ، متقد البديهة ٠٠ ثم أتصوره يبـادر الى العودة حاملا ما أخذه من القس من أسباب العلاج المقدسة ضد العمى ٠٠ وأتصور ما واجهه من استياء لا حد له وهو يبحث عبثا عن الممر الذى قوضه الزلزال !

أما ما حدث له بعد ذلك ، فهذا ما لا أدريه ، وان عرفت بالميتة البشعة التى صادفته بعد سنين عديدة ٠٠ وهذه القصة التى رواها الرجل البائس هى مصدر الاسطورة التى تدل على أن ثمة قوما من العميـــان لا يزالون يعيشون حتى اليوم فيما وراء الجبال ٠٠

*

وأخذ داء العمى يتفشى بين تلك الفئة الضئيلة التى تسكن ذلك الوادى الذى أصبح اليوم منسيا ٠٠ فصار الكهول أنصاف عميان ، والشباب لا يرون الا صورا معتمة غير واضحة ، أما الاطفال الجدد الذين كانوا يولدون للقوم فلم يكونوا يبصرون على الاطلاق !

على أن الحياة كانت سهلة وميسورة للغاية فى ذلك الوادى الغني الذى غفل عنه العالم تماما ٠٠ فلم تكن به أشواك ولا

حشرات ضارة ، ولا وحوش سـوى ذلك النوع اللطيف من « اللاما » ، الذى استأنسه القوم ٠٠ وكان بصر الاهالى يضعف رويدا وبالتدريج فلا يكادون يشعرون بضياعه ٠٠ وكانوا يقودون الفتية المكفوفين هنا وهناك حتى يعرفوا الوادى بأسره معرفة تامة ، ومن ثم أمكن للقوم ــ حين خبا آخر قبس من البصر بينهم ــ أن يواصلوا الحياة برغم ذلك ٠٠ بل انهم وجدوا من الوقت ما مكنهم من أن يدربوا أنفسهم على اخماد النيران التى كانوا يشعلونها ــ من قبيل الحذر الذى يستوجبه عماهم ــ فى مواقد من الحجر !

لقد كانوا قوما سـذجا ، أميين ، ولكنهم كانوا على دراية بفنون « بيرو » القديمة ، وبفلسفتها التى عفى عليها الزمن ٠ وتتابعت الاجيال ، فنسوا أشياء كثيرة ، وابتكروا أشياء كثيرة ٠٠ وخبت ذكريات العالم الخارجى وبهتت تدريجيا حتى لم يعد هذا العالم فى نظرهم فى النهاية سوى « قصة »، كان البعض يؤمن بهـا ، ولكن القسط الاكبر منهـم كانوا يرونها غير حقيقية ٠٠ وكانوا أقوياء وأكفاء فى كل شىء عدا البصر ، وما لبث أن ظهر بينهم رجل ذو عقل مبتكر، وذو قدرة على أن يتحدث اليهم وأن يقنعهم ٠٠ وظهر بعده غيره، ثم مات الاثنان، تاركين بعدهما ما استطاعا تركه من آثارهما ٠٠ ونمت تلك الفئـة الضئيلة فى العدد والادراك ، وصادفت مشكلات اجتمـاعية واقتصادية ووفقت الى تسويتها ٠٠

- ٢ -

◆ **ومضت** الاجيال فى تتابعها ، جيل بعد جيل ٠٠ حتى انقضى ألف عام تقريبا على ذلك الرجل الذى غادر الوادى حاملا قضيبا من الفضة يسعى وراء عون الله ، والذى فاجأه الزلزال فى الطريق فلم يقدر له قط أن يعود !

واتفق بعد تلك الاجيال الطويلة أن وفد على الوادى من العالم الخارجى رجل ٠٠

وهذه قصة ذلك الرجل :

كان المذكور رحالة من بلد قريب من « كيتو » ، وكان ذكيا ركب البحر ، وشاهد الدنيا ، وقرأ الكثير من الكتب بطريقة فريدة ٠٠ وكان جماعة من الانجليز ـ وفدوا على « اكوادور » ليتسلقوا الجبال ـ قد استخدموه بدلا من دليل سويسرى من أدلائهم أصابه المرض ٠٠ فأخذ يتسلق هنا ، ويتسلق هناك ، ثم انتهى الى محاولة تسلق « باراسكوتوبتل » (أعلى مرتفعات « الاندز ») ، وهناك فقد العالم الخارجى كل أثر له !٠٠ ولقد كتب الرواة وصف هذا الحادث أكثر من عشر مرات ، ولكن الوصف الذى رواه « بوينتز » هو أحسنها ٠٠ فقد سرد فيه كيف ان الجماعة الصغيرة التى كان يقودها راحت تشق طريقها فى عناء متسلقة سفح آخر التلال وأكبرها ٠٠ وكيف أقاموا مأوى ليليا بين الثلوج على حافة صخرية ٠٠ ثم لم يلبثوا أن اكتشفوا أنهم فقدوا « نونيز » ، فأخذوا يصيحون ، ولا جواب ٠٠ وراحوا يرسلون النداءات والصفير ، ولم يغمض لهم جفن بقية تلك الليلة ٠٠

وحين طلع الصباح أخيرا ، رأوا آثار سقطة « نونيز » ! وبدا لهم أنه ما كان من الممكن أن يحدث سقوطه أدنى صوت ، فقد انزلق فى اتجاه شرقى نحو الجانب غير المطروق من الجبل ، وارتطم فى هبوطه بسفح جليدى منحدر ، فهوى فى وسط كتلة من الجليد ، وظلت آثاره ظاهرة الى حافة الهوة الرهيبة ٠٠ ثم اختفى بعد ذلك كل شىء !٠٠ واستطاع الباقون أن يروا فى الاعماق السحيقة التى تراكمت فيها الظلال ، أشجارا تشرئب من واد ضيق ، مغلق ـ هو الوادى المفقود الذى سمى ببلاد العميان ـ ولكنهم لم يعرفوا يومئذ أن الوادى المذكور هو وادى العميان ، لا ولا استطاعوا أن يميزوا بينه وبين أى واد آخر ٠٠

وجزعوا لهذا الحظ التعس الذى أصابهم بفقد دليلهم ، فعدلوا عن تسلق الجبل ، واستدعى « بوينتر » للعودة قبل أن يتمكن من القيام بمحاولة أخرى ٠٠ ولا تزال « باراسكوتوبتل » تزهو الى اليوم بقمة لم تقهر ٠٠ ولا يزال المأوى الذى أقام فيه بوينتر وجماعته فى تلك الرحلة الرهيبة متواريا بين الثلوج ٠٠

أما الرجل الذى سقط ، فقد نجا وعاش !٠٠ ذلك انه حين بلغ نهاية السفح المنحدر ، سقط الى حوالى ألف قدم (أنظر الرسم التوضيحى المنشور على صفحة ٩١ من هذا العدد) **ثم استقر وسط غلالة من الجليد على سفح جليدى أكثر انحدارا من الذى سبقه ٠٠ واذ ذاك فقد وعيه ، ولكنه لم يصب بأية رضوض أو كسور فى جسمه ٠٠ ثم تدحرج مرة أخرى الى سفوح أقل انحدارا ، حتى سكن فى النهاية وسط كومة ناعمة من الجليد الناصع تدحرجت معه وأنقذته !**

وعندما عاد الى وعيه ، خالجه وهم غير واضح بأنه مريض طريح الفراش ، ثم أدرك موقفه بفطنة رواد الجبال ، فخلص نفسه من الثلوج التى غلفته ٠٠ وبعد أن استراح هنيهة ، نهض وأخذ يزحف من الهوة حتى بدت له النجوم ٠٠ واذ ذاك استلقى برهة على صدره ساكنا ، يسائل نفسه عن مكانه وعما جرى له ٠٠ وتحسس أطرافه وضلوعه ٠٠ واكتشف أنه فقد عددا من أزرار معطفه الذى انقلب وضعه فصار فوق رأسه ٠٠ وضاع خنجره من جيبه ، كما ضاعت قبعته برغم انه كان قد ربطها تحت ذقنه ٠٠ وتذكر انه حين سـقط كان يبحث عن بعض أحجار يقيم بها الجزء الذى كان عليه أن يبنيه من سياج المأوى ٠٠ وتبين كذلك أن فأسه بدورها قد اختفت ٠٠

واستنتج انه لا بد قد سقط ، فتطلع الى ضوء القمر ليستبين مدى الانحدار الرهيب الذى بلغه ٠٠ وظل برهة يتطلع الى التل الباهت اللون الذى بدا شامخا فوقه ، فبهره جمال المنظر ، ثم شرع فجأة فى الضحك والبكاء ٠٠ فى آن واحد !

وفطن بعد وقت الى أنه كان قريبا من حافة الثلوج . ورأى فيما تحت مكانه ـ الذى تبين انه سفح متوسط الانحـــدار يغمره ضوء القمر ـ أراض عشبية تستلقى معتمة تغطيها الصخور .. وجاهد حتى استوى على قدميه ، وكل أوصاله وأطرافه تنضح بالالم ، وتخلص بعناء من الجليد المحيط به ، ثم أخذ يهبـط حتى صار فوق العشب .. وهناك استلقى ـ أو على الاصح ألقى بنفسه ـ الى جوار صخرة كبيرة ، وتناول جرعة كبيرة من الزجاجة التى كانت فى جيبه الداخلى ، ثم استسلم توا للنعاس ..

*

◆ **واستيقظ** على تغريد الطيور فوق الاشجار التى فى جوف الوادى .. فاستوى جالسا ، ورأى أنه كان على مرتفع صغير فى أسفل تل منحدر ، وقد ارتفع أمامه جدار آخر من الصخر يطاول السماء .. وكان الممر بين هذه التلال يمتد بين الشرق والغرب مفعما بضياء شمس الصباح .. وكان تحته سفح آخر لا يقل عن السفوح الاخرى انحدارا .. ولكنه رأى خلف الجليد ممرا مغلق الجوانب كالمدخنة ، لا يتردد انسان فى أن يسلكه عند الخطر .. وسلكه ، فألفاه أسهل مما بدا له ، وانتهى أخيرا الى جبل آخر منعزل ، ثم تسلق بعض الصخور دون عناء الى سفح منحدر كسته الأشجار ..

وتلفت حوله ليتبين أين كان ، فاذا فوقه بقليل ممر يفضى الى واد أخضر .. وهناك ، رأى مجموعة ظاهرة من أكواخ حجرية ذات طراز غير مألوف .. وبعد زمن ، كفت الشمس عن الانصباب على الدرب ، وتلاشت أصوات الطيور المغردة ، ودبت البرودة فى الهواء ، ولفه الظلام .. ولكن الوادى الممتد على مبعدة ، ظل مضيئا برغم ذلك .. وانتهى صاحبنا الى منحـدر لاحظ بين صخوره ـ اذ كان دقيق الملاحظة ـ نباتا غير مألوف ، فالتقط بعض أوراقه وأكلها ، فاذا بها تسكت جوعه ..



واستطاع حوالى الظهيرة أن ينفذ من الممر المغلق الجوانب الى السهل والى أشعة الشمس .. وكان متيبس الاطراف منهوك القوى ، فجلس فى ظل صخرة ، وملأ زجاجته بماء من نبع قريب وشرب حتى ارتوى .. ثم مكث يستريح ، قبل أن ييمم شطر البيوت القريبة..

وبدت البيوت غريبة جدا لعينيه، والواقع ان منظر الوادى كله لاح له ـ اذ تأمله ـ غريبا ، غير مألوف .. كان الشطر الاكبر من سطحه عبارة عن مروج خضراء رصعتها الازهار الجميلة .. وكانت تروى بعناية غير عادية .. اذ كان ثمة سياج يحيط بالوادى من عل ، ومجرى بدا كقناة كان الماء ينساب منه فيسقى المزروعات ..

وكانت قطعان « اللاما » تقف على السفوح التى تعلو على هذا المستوى ، تأكل الاعشاب ، وقد قامت حظائرها لصق السياج .. وكانت جداول الرى تنتهى معا الى قناة رئيسية فى وسط الوادى ، يحف بها من جانبيها جداران ارتفاع كل منهما قامة .. وهنا وهناك كان يمتد ـ بطريقة منتظمة ـ عدد من الطرق المكسوة بحجارة بيضاء وسوداء ، وقد حد جانب منها بحافة صغيرة غير مألوفة ..

وكانت البيوت التى فى القرية الوسطى بالوادى على النقيض تماما من تلك المجموعات غير المنتظمة من الدور التى تؤلف القري الجبلية العادية .. اذ قامت في صفين طويلين على جانبي

طريق رئيسى نظيف الى درجة تبهر النـاظر • وكانت تتخلل الواجهات المتعددة الالوان أبواب ، غير انه لم يبد فيها أى أثر لنوافذ !•• وكانت ألوان البيوت متباينة ولكن دون أى تناسق •• ولعل تضاربها العجيب هو الذى جعل كلمة « العمى » تخطر ببال الرائى ، اذ قال لنفسه : « لا بد أن الرجل الذى قام بهذا الطلاء أعمى كالخفاش ! »

*

وهبط صاحبنا المنحدر ، فوصل الى السياج والقناة اللذين يحيطان بالوادى • واذ ذاك استطاع أن يرى عددا من الرجال والنساء يستلقون على أكوام من الحشائش ، وكأنهم فى اغفاءة •• واذ اقترب من القرية رأى عددا من الاطفال مستلقين عـلى الارض •• فلما ازداد اقترابا رأى ثلاثة رجال يحملون دلاء ، ويسيرون فى درب يمتد من السياج المحيط بالقرية ، نحـو البيوت •• وكانوا فى ثياب من وبر اللاما ، وأحذية وأحزمة من الجلد ، وقد ارتدوا قبعات من القماش ذات أطراف تغطى الآذان ، وساروا بخطى بطيئة فى صف واحد على التتابع ، وقد أخذوا يتثاءبون كما لو كانوا قد قضوا الليل سـاهرين !••
وكان فى مظهرهم ما ينـم عن ثراء مؤكد ومكانة ، فلم يلبث « نونيز » - بعد تردد دام لحظة - أن وقف فوق الصـخرة بحيث بدا واضحا بقدر المستطاع ، ثم أرسل صيحة قوية دوت فى أرجاء الوادى ••

ووقف الرجال الثلاثة ، وحركوا رؤوسهم وكأنهم يتلفتون حولهم •• وأداروا وجوههم فى هذا الاتجاه وفى ذاك ، فأخذ « نونيز » يلوح لهم بالاشارات جزافا ، دون أن يبدو عليهم أنهم كانوا يرونه !•• وبعد فترة ، يمموا وجوههم شـطر الجبال القائمة بعيدا الى اليمين ، وصاحوا يردون على ندائه • فعاد يصيح من جديد ، فلما لم يروه ، خطرت كلمة « العمي » مرة

أخرى بباله وتمكنت من تفكيره ، فحدث نفسه : « يا للحمقى ٠٠ انهم ولا بد عميان ! »

وأخيرا ، عبر « نونيز » الجدول على جسر صغير ، بعد كثير من الصياح والصخب ، ونفذ خلال بوابة فى السياج ، حتى اقترب منهم ٠٠ واذ ذاك أيقن من أنهم عميان ٠٠ واقتنع بالقصة التى سمعها مرة ، فشعر بأنه يخوض مغامرة كبرى !

ووقف الرجال جنبا الى جنب لا ينظرون اليه ، وانما أرهفوا آذانهم نحوه ، يحاولون أن يحكموا عليه من خطواته غير المألوفة ٠٠ وازدادوا التصاقا فيما بينهم كالمتوجسين ، واستطاع أن يرى أجفانهم مطبقة ، غائرة ، كما لو كانت محاجر عيونهم قد خلت من انسانها٠ ٠وبدت على وجوههم سيماء الرهبة والاجفال!

وقال أحدهم بلغة اسبانية لا تكاد تفهم : « رجل ٠٠ انه رجل ـ انسانا كان أو طيفا ـ وافد من أعلى الصخور »

ولكن « نونيز » تقدم بخطى الشاب المعتد الواثق بنفسه ، المقبل على الحياة ٠ **وتدافعت الى ذهنه كل القصص القديمة التى سمعها عن الوادى الضائع ودولة العميان ٠٠ وخلال أفكاره ، أخذت الحكمة المأثورة تتردد ، كما لو كانت فقرة تتكرر في ترنيمة : « الاعور فى دولة العميان ملك ٠٠ الاعور فى دولة العميان ملك ! »**

وحياهم فى أدب بالغ ، وهو يتأملهم ٠٠ وقال أحدهم يسأل صاحبه :

ـ ترى من أين قدم ، أيها الاخ بدرو ؟

ـ من بين الصخور ٠٠

فقال « نونيز » : « جئت من وراء الجبال ٠٠ من الدولة القائمة هناك ، حيث يبصر البشر !٠٠ من قرب « بوجوتا » حيث يقيم مائة ألف من الناس ، وحيث تمتد المدينة الى أبعد من نطاق البصر »

فتمتم بدرو : « البصر ؟٠٠ البصر ؟ »

وقال الاعمى الثانى : « انه آت من بين الصخور »
ولاحظ « نونيز » ان قماش معاطفهم قد نسج على نمط عجيب ٠٠ كان ترتيب الخيوط فى كل معطف يختلف عنه فى الآخرين ٠٠وأفزعوه اذ تحركوا نحوه معا ، وقد بسط كل منهم يدا ، فتراجع أمام الاصابع الممتدة ٠٠ واذ ذاك تبع الاعمى الثالث حركته وأمسك به قائلا : « تعال هنا »

وأمسكوا « نونيز » ، وراحوا يتحسسونه دون أن ينبسوا بكلمة واحدة ، الى أن فرغوا ٠٠ وصرخ « نونيز » اذ أحس بأصبع فى عينه : « تحسس برفق ! » ٠٠ وأحس أنهم شعروا بأن هذا العضو ، بأجفانه المتحركة ، شىء غريب وجدوه فيه، فعادوا يتحسسونه من جديد !

وقال الرجل المدعو « بدرو » : « انه مخلوق غريب يا كوريا ٠٠ تحسس خشونة شعره ٠٠ انه كشعر اللاما »
وقال « كوريا » وهو يتحسس ذقن « نونيز » غير الحليقة، بيد ناعمة منداة : « انه وعر كالصخور التى أنجبته ٠٠ لعله يلين فيما بعد »
وتملص « نونيز » قليلا وهم يفحصونه ، فأمسكوا به بقوة ، وعاد يقول : « ترفقوا » ٠٠ فقال الاعمى الثالث : « انه يتكلم ٠٠ انه انسان ولا بد ! »
وقال « بدرو » اذ تحسس خشونة سترة « نونيز » :
ـ أوه !٠٠ اذن فقد جئت الى الدنيا ؟
ـ بل من الدنيا ، من خلف الجبال والثلوج الشامخة بقممها الى ارتفاع يبلغ نحو منتصف المسافة الى الشمس ٠٠ جئت من الدنيا الكبيرة الواسعة ، التى تمتد مسيرة اثنى عشر يوما من البحر !
وبدا كأنهم لا يلقون بالا الى كلامه ، اذ كان كوريا يقول :
ـ أنبأنا آباؤنا أن الناس قد يكونون من صنع قوى الطبيعة ٠٠ من الدفء ، والرطوبة ، والعفن ٠٠

فقال بدرو : « هيا بنا نقتاده الى شيوخنا »

قال كوريا : « ناد أولا ، حتى لا يفزع الاطفال .. انها فرجة عجيبة ! »

وهكذا راحوا يصيحون ، ثم تقدم « بدرو » وأمسك بيد « نونيز » يقوده نحو بيوت القرية ، فجذب « نونيز » يده قائلا: « بوسعى أن أرى » .. فقال كوريا « ترى ؟ »

فأجاب الغريب : « أجل .. أرى » .. والتفت اليه ، وفيما هو يفعل تعثر فى دلو « بدرو » ، فقال الاعمى الثالث : « لا تزال حواسه غير مرهفة .. انه يتعثر ، وينطق بكلمات لا معانى لها . أمسك بيده لتقوده » .. فقال « نونيز » وهو يسلم قياده ضاحكا : « كما تشاءون »

وبدا له أنهم لا يعرفون شيئا عن البصر ، فاعتزم أن يعلمهم حين يسمح الوقت ..

وسمع القوم يتصايحون ، ورأى نفرا يتجمعون فى منتصف الطريق المؤدية الى القرية .. وتبين أن اللقاء الاول بأهالى « دولة العميان » أصعب مما توقع !.. ولاح له المكان ـ اذ اقترب منه ـ أكبر مما حدس ، والطلاء القبيح أكثر غرابة .. **وأقبل حشد من الاطفال والرجال والنساء يلتفون حوله .. وسره أن لاحظ أن لبعض النساء والفتيات وجوها جميلة ، وان كانت عيونهن جميعا مغلقة ، غائرة .. وتجمعوا حوله يلمسونه بأيد ناعمة مرهفة الحساسية ، ويتشممونه ، ويصغون الى كل كلمة يقولها .. على أن بعض العذارى والاطفال ظلوا بمنأى عنه كأنما كانوا خائفين .. والواقع أن صوته بدا أكثر خشونة وحدة من نبراتهم الرقيقة !..** وظل أدلاؤه الثلاثة ملاصقين له ، وكأنه صار ملك أيديهم ، وكانوا لا يفتأون يكررون : « رجل خام من جوف الصخر ! »

فكان يعترض مصححا : « بل من بوجوتا .. بوجوتا ..

وراء قمم الجبل » ٠٠ لكن بدرو استطرد : « رجل خام يستخدم كلمات فطرية ٠٠ هل سمعتم عن « بوجوتا » هذه ؟٠٠ ان عقله لم يتشكل تماما بعد ٠٠ لقد أوتى مبادىء الكلام فقط ! »

وعض صبى صغير يده وهو يقول ساخرا : « بوجوتا ! »

ـ أجل ٠٠ انها مدينة ٠٠ لقد جئت من الدنيا الكبيرة ، حيث للرجال عيون وبصر !

قالوا : « ان اسمه بوجوتا » ٠٠ بينما أردف « كوريا » : « لقد تعثر ٠٠ تعثر مرتين ونحن قادمون الى هنا ! »

ودفعوه فجأة خلال الباب الى غرفة حالكة الظلام ، لم يكن فيها من ضوء سوى نار واهنة بدا بصيصها فى الركن الاقصى٠٠ وأغلقوا الباب دونه ، فحالوا دون تسرب أضأل خيط من ضوء النهار ٠٠ وقبل أن يقف ، كان قد سقط فوق قدمى رجل جالس ٠٠ وأصابت ذراعه وجه شخص آخر وهو يهـوى ، فأحس بنعومة قسمات ذلك الوجه حين ضغط عليه، وسمع صرخة غضب! ٠٠ وكافح لحظة ضد عدد من الايدى التى أمسكت به ، ثم أيقن انه وحيد فى المعركة ، فسكن وكف ٠٠ وقال : « لقد وقعت ، اذ لم أستطع أن أرى فى هذا الظلام »

وساد الصمت برهة ، كأنما كان الاشـخاص المحيطون به والذين لم يستطع أن يراهم فى الظلمة ، يحاولون أن يتفهموا كلماته ٠٠ ثم انبعث صوت كوريا يقول : « انه حديث الخلق والتكوين ، فهو يتعثر اذا سار ، ويخلط بين الكلمات فى حديثه الذى لا ينم عن معنى ! »

وقال آخرون أشياء عنه ، سمعها ولكنه لم يفهمها تماما ٠٠ وانتهز فترة صمت قصيرة فتساءل : « هل لى أن أنهض من الارض لاجلس ؟٠٠ اننى لن أقاومكم بعد الآن »

وتشاوروا ، ثم تركوه يجلس ٠٠ وبدأ صوت شيخ مسن يسأله ٠٠ ووجد « نونيز » نفسه يحاول أن يصف لاولئـك الكهول الجالسين فى الظلام ، فى بلاد العميان ، ذلك العالم

الكبير الذى جاء منه ، والسماء والجبال والبصر وما اليها من عجائب .. لكنهم أبوا أن يصدقوا أو يفهموا شيئا مما أخذيرويه لهم ـ وهو أمر لم يتوقعه ! ـ بل انهم لم يفهموا الكثير من كلماته ، فقد عاشوا أربعة عشر جيلا فى عمى وعزلة عن العالم المبصر بأسره .. لذلك فان الاسماء المألوفة لجميع الاشياء اما ماتت بالنسبة لوعيهم ، أو تبدلت ، كما أن قصة العالم الخارجى تحولت الى قصة للاطفال ، وكفوا عن الاهتمام بأى شىء خلف السفوح الصخرية التى تجاوز السياج المحيط بواديهم !

وقد ظهر بينهم عميان حكماء ذوو عقول راجحة، عالجوا جميع المعتقدات التى بقيتمخلفاتها فيهم منذ عهود الابصار ، فنبذوها جميعا باعتبارها أوهاما باطلة ، واستبدلوا بها أشياء معقولة وجديدة.. ولقد ضعف خيالهمكثيرا بضعف عيونهم، فصاغوا لانفسهم تصورات جديدة ، مستعينين بآذانهم التى أطرد ارهافها ، وأصابعهم التى اطردت حساسيتها ..

وأدرك « نونيز » رويدا رويدا أن ما توقعه من اعجاب وتقدير لاصله ومواهبه لم يتحقق ، بل انهم اعتبروا كل ما قدم من أوصاف أفكارا مضطربة من مخلوق حديث التكوين ، ورأوا أن يكف عن الكلام ويصغى ـ بدلا من ذلك ـ لارشاداتهم !

وأخذ أكبر العميان سنا يشرح له الحياة والفلسفة والدين، وكيف أن الدنيا ـ أى واديهم ـ كانت فى البداية ثغرة خاوية فى الصخور ، ثم وفدت عليها مخلوقات عاجزة لم تؤت نعمة اللمس ، وجماعات من اللاما وبضعة مخلوقات أخرى أوتيت قليلا من الشعور .. ثم جاء الناس .. وأخيرا الملائكة الذين يمكن سماعهم حين يغنون ويتحركون ، ولكن أحدا لم يستطع أن يلمسهم على الاطلاق !.. وقد حار « نونيز » فى شأن هؤلاء « الملائكة ! » .. ثم استنتج أنهم يعنون بهم الطيور !

واستطرد العجوز يحدث « نونيز » كيف أن الزمن ينقسم الى دافىء وبارد ، وهما التعبيران اللذان يطلقهما العميان على النهار والليل ٠٠ وان من الخير النوم فى الدفء ، والعمل أثناء البرودة ، ولذلك كان من الواجب ـ لولا ما أحدثه قدومه من ارتباك ـ أن تكون بلاد العميان بأسرها نائمة ٠٠ وقال الشيخ ان « نونيز » قد خلق ولا بد خصيصا ليتعلم حكمتهم ويخدمها ، ومع انه كان يتعثر كثيرا ، وانه أوتى عقلا كليلا ، الا أنه يجب أن يتذرع بالشجاعة وأن يبذل ما فى وسعه ليتعلم ٠٠

وعند هذا الحد همس جميع من كانوا لدى الباب يشجعونه٠ وقال الشيخ أخيرا ان الليل ـ اذ كان العميان يسمون النهار ليلا ـ قد تقدم ، ومن الخير لكل امرىء أن يأوى الى مرقده ٠ ثم سأل « نونيز » ان كان يعرف كيف ينام ، فأجاب بأنه يعرف، ولكنه يرغب فى غذاء قبل أن ينام ٠

وأحضروا له غذاء من لبن اللاما والخبز الملح اليابس، وقادوه الى مكان منعزل ليأكل بعيدا عن أسماعهم ٠٠ ثم ينام مثلهم حتى توقظهم جميعا برودة المساء التى تشيع فى الجبال ، ليبدأوا نهارهم من جديد ٠٠ ولكن « نونيز » لم يستطع أن ينام على الاطلاق ، بل انه على العكس جلس حيث تركوه ، مريحا ضلوعه ، مقلبا فى فكره المصادفة غير المرتقبة التى أدت به الى تلك البلاد ٠٠ ومن آن الى آخر كان يضحك ، عن مرح وسرور أحيانا ، وعن غضب أحيانا أخرى ٠٠ وهو يحدث نفسه مكررا كلامهم : « ضعيف العقل !٠٠ لم يؤت شعورا بعد !٠٠ ما أقل ادراكهم أنهم انما كانوا يهينون الرجل الذى أرسلته السماء ليكون مليكهم وسيدهم !٠٠ لا بد لى من أن أردهم الى الحجى ٠٠ فلافكر فى طريقة ٠٠ فلافكر ٠٠ »

وكان لا يزال يفكر حين غربت الشمس ٠٠

- ٣ -

◆ **وكان** « نونيز » ممن تسترعى أنظارهم الاشياء الجميلة، فلاح له أن الشفق الذى انعكس على الحقول المغطاة بالثلج والجليد ، المحيطة بالوادى من كل النواحى ، لهو أجمل ما رأى ٠٠ وامتد بصره من هذا الجمال الى القرية والحقول المرواة ، وقد أخذ الظلام يهبط عليها سريعا ٠٠ وفجأة تملكه شعور قوى ، فشكر الله من أعماق قلبه على أن وهبه القدرة على الابصار !

وسمع صوتا يناديه من خارج القرية : « يا بوجوتا ٠٠ تعال هنا ! » ٠٠ فوقف مبتسما ، وقد اعتزم أن يرى هؤلاء القوم ، بطريقة تقنعهم ، قيمة البصر للانسان ، بأن يدعهم يبحثون عنه دون أن يجدوه !

وقال الصوت : « لا تتحرك يا بوجوتا » ٠٠ فضحك مقهقها ، وتحول فى حذر بعيدا عن الطريق ٠٠ فاذا الصوت يقول له : « لا تطأ العشب ٠٠ فهذا غير مباح يا بوجوتا »

كاد « نونيز » لا يسمع الصوت الذى انبعث منه وهو يتمتم لنفسه فى دهشة ! ووقف مذهولا ٠٠ فأقبل صاحب الصوت يجرى فى الطريق نحوه ٠٠ ومن ثم ارتد « نونيز » الى الطريق قائلا : « هاأنذا » ٠٠ فقال الاعمى : « لماذا لم تأت حين دعوتك ٠٠ أو يجب أن تقاد كالطفل ٠٠ ألا تستطيع أن «تسمع» الطريق وأنت تسير ؟ »

فضحك « نونيز » قائلا : « اننى أراه »

فقال الرجل بعد فترة من الصمت : « ليست هناك كلمة مثل « أرى » ٠٠ فدع هذا الهذر واتبع صوت قدمى » ٠٠ فتبعه « نونيز » ، فى شىء من الضيق ، محدثا نفسه : « لن تلبث فرصتى أن تحين ! »

وقال الاعمى : « لسوف تتعلم ٠٠ ففى الدنيا الكثير مما ينبغى تعلمه »

ـ ألم يقل لكم أحد أن الاعور فى بلد العميان ملك ؟

فقال الاعمى فى غير اكتراث دون أن يلتفت اليه : « ما معنى كلمة (عميان) ؟ »

*

◆ **وانقضت** أربعة أيام وهو ما يزال بعيدا عن أن يكون الملك الذى تمنى أن يكونه !٠٠ فقد وجد أن تنصيب نفسه على ذلك العرش الموعود لامر أصعب مما خال ٠٠ وأخذ يفكر فى طريقة يهزمهم بها ، دون أن يكف فى الوقت ذاته عن طاعتهم ٠٠ فتعلم أخلاق « بلد العميان » وعاداتها ٠٠ ووجد أن العمل والسعى فى الليل من أتعب الاشياء ، فقرر أن يكون ذلك أول شىء يغيره فى بلادهم ٠٠

وكان أولئك الناس يمارسون حياة بسيطة ، جافة ، فى استقامة ، وسعادة ٠٠ وكانوا يعملون ، لكن عملهم لم يكن مسرفا فى المشقة ٠٠ وكان لديهم ما يسد حاجاتهم من الغذاء والكساء ٠٠ كما كانت لهم أيام ومواسم للراحة ، ولهم أغانيهم وموسيقاهم التى يشغفون بها٠٠ وفوق ذلك فانهم كانوا يعرفون الحب ، وينجبون الاطفال ٠٠ الخ

وكان الاعتداد والدقة اللذان يمضون بهما فى عالمهم المنسق ، يدعوان الى الاعجاب ٠٠ كان كل شىء قد أعد بحيث يلائم حاجاتهم ٠٠ فكل طريق من الطرق المتفرعة من وسط منطقة الوادى ، كان يتصل بالطرق الاخرى بزاوية معينة ، وكان يمتاز بعلامة خاصة على حافته ٠٠ وقد أزيحت كل العقبات عن الطرق والاعشاب من زمن بعيد ٠٠ كانت كل أساليبهم تنبعث بالفطرة عن حاجاتهم الخاصة ، وقد أرهفت حواسهم الى درجة عجيبة ، حتى انهم كانوا يستطيعون أن يسمعوا ويتعرفوا

على أتفه حركة من أى انسان ، على بعد عشر خطوات ٠٠ حتى ليستطيعوا أن يتسمعوا وجيب قلبه !٠٠ وكانوا قد استعاضوا عن التعبير بعدة نبرات ولهجات من الصوت٠٠ وألفوا استخدام المعاول والفؤوس فى فلاحة الارض بكل يسر واعتداد ٠٠ وقد أوتوا حاسة للشم مرهفة الى حد غير عادى ، حتى ليمكنهم أن يميزوا الاشخاص كما تفعل الكلاب ! وكانوا يعتنون بما يملكون من حيوانات « اللاما » التى تعيش بين الصخور ، ولا تأوى تحت سقف الا ساعة الطعام والنوم٠٠ ولم يتبين «نونيز» مدى سهولة الحركة والثقة بالنفس اللذين يتميز القوم بهما ــ برغم عماهم !ــ الا حين شرع يتمرد عليهم !

ولم يقدم على تحديهم الا بعد أن حاول اقناعهم ٠٠ حاول أول الامر ، فى عدة مناسبات ، أن يحدثهم عن البصر ، فكان يقول لهم : « انظروا يا قوم ٠٠ ان لدى أشياء لا تفهمونها »

واستمع اليه نفر ضئيل منهم ، مرة أو اثنتين ٠٠ فكانوا يحنون رؤوسهم ، ويولونه آذانهم ٠٠ وقد بذل قصارى جهده ليشرح لهم حاسة الابصار ! **وكانت بينهم فتاة ، ذات أجفان أقل احمرارا وغورا من أجفان الآخرين ــ حتى ليخال المرء أنها أوتيت عينان تخفيهما ــ وكان يأمل أن يقنع هذه الفتاة بوجه خاص ، فتحدث عن جمال البصر ، وعن متعة مشاهدة الجبال ، والسماء ، والشروق ٠٠ فكانوا يصغون اليه فى انتباه ، ولكنهم لم يصدقوا كلمة واحدة مما قال ٠٠** بل ما لبثوا أن أظهـــروا نفورا من أحاديثه ، فقالوا له أن ليس ثمة جبالا ، وانما تنتهى الدنيا عند قمة الصخور التى تعيش فيها « اللاما » ٠٠ ففوق تلك المرتفعات يقوم سقف الدنيا الاجوف ، الذى يسقط منه الطل والبرد !٠٠ واذ أصر صاحبنا على تخطئتهم ، زاعما ان الدنيا لا نهاية لها ولا ســـقف كما كانوا يخالون ، قالوا ان أفكاره خبيثة !٠٠ وكانوا كلما أوغل فى وصف الســـماء

والسحب والكواكب ، بدا لهم فى مكان السقف الاملس الذى كانوا يتصوورونه ، فراغ بغيض ٠٠ فقد كان ذلك السـقف الاجوف الاملس جزءا من عقيـدتهم !٠٠ وتبين « نونيز » انه أزعجهم ، فنزل عن محاولة ايضاح الاشياء لهم ، وحاول أن يريهم القيمة العملية للبصر ٠٠ ففى صباح أحد الايام ، رأى « بيدرو » سائرا فى الطريق الذى كانوا يطلقون عليه الرقم ١٧ ، متجها صوب بيوت المنطقة الوسطى ، ولكنه كان لا يزال بعيدا عن نطاق سمعهم أو شمهم ، فقال لهم نونيز : « ان بيدرو سيأتى الىَ هنا بعد هنيهة » ٠٠ فقال رجل مسن منهم ان لا عمل يدعو « بيدرو » للحضور الى الطريق ١٧ !٠٠ واذ ذاك يبدو أن بيدرو سمع هذا الجواب ، فقد تحول فجأة بخطى سريعة وانحرف من طريقه متجها الى الطريق العاشر ، ثم الى السياج الخارجى ٠٠ كأنما ليطيع ملاحظة الشيخ ويكذب « بصر» نونيز ٠٠ وبالفعل سخر القوم من الاخير عندما لم يصل بيدرو كما زعم !٠٠ وحين التقى نونيز ببيدرو بعد ذلك فأنبأه بأنه رآه مقبلا فى الطريق رقم ١٧ ، أنكر « بيدرو » وجادله فى جرأة ٠٠ ومنذ ذلك اليوم بدا عليه كأنه صار يكرهه !

❊

◆ ثم أقنعهم نونيز بعد ذلك بأن يدعوه يذهب مع واحد منهم الى السفوح البعيدة ، واعدا اياهم بأن يصف لمرافقـه عندئذ كل ما يجرى بين البيوت ٠٠ وأبدى له بالفعل عدة ملاحظات عن حركات البعض وسكناتهم وهم ذاهبون آيبون تلك الدور ٠٠ ولكن الامور التى كانت تهم أولئك القوم كانت تنحصر فيما يجرى داخل الدور وخلفها ، فسألوه عنها ليمتحنوه، ولكنه لم يملك عنها بالطبع جوابا !

وكان اخفاق هذه التجربة ، وما أعقبها من سـخرية لم يستطيعوا اخفاءها ، سببا فى أن يقرر نونيز اللجوء الى القوة

.. ففكر فى أن يمسك بمعول ويهوى به فجأة على واحد أو اثنين منهم فليلقيهما أرضا، وهكذا يريهم - فى صراع متكافىء - فائدة العيون !.. وانساق فى سبيل تنفيذ هذا القرار بالفعل، حتى لقد أمسك المعول وتهيأ للانقضاض به .. لولا أنه اكتشف فى نفسه أمرا .. فقد كان من المستحيل عليه أن يصرع رجلا أعمى وهو هادىء النفس !.. فتردد .. ووجد أنهم جميعا قد فطنوا الى أنه رفع المعول ، فوقفوا وقد أمالوا رؤوسهم جانبا ، وولوا آذانهم شطره ، يترقبون ما سوف يفعل ..

وقال واحد منهم : « دع المعول جانبا » .. فشعر بنوع من القنوط المروع ، وأوشك أن يطيع .. ثم دفع واحدا منهم حتى ألصقه بجدار أحد البيوت ، ومرق من جانبه هاربا الى خارج القرية ..

وانطلق عبر أحد المروج ، تاركا آثار قدميه على الاعشاب ، وما لبث أن جلس الى جانب طريق من طرقاتهم، وقد أحس بشىء من النشاط الذى يداخل الانسان عادة حين يقدم على نضال! .. ولكنه أحس فى الوقت نفسه بغير قليل من القلق والاضطراب، وبأنه لا يستطيع أن يقاتل وهو مستريح الضمير راضى النفس قوما يختلفون عنه فى عقليتهم وتفكيرهم !

ولمح عن بعد عددا من الرجال ينطلقون من القرية ، زاحفين على عدد من الطرق المفضية الى مكانه .. ثم رآهم يتقدمون فى بطء ، وهم يتبادلون الحديث أحيانا .. وكانوا يتوقفون من آن لآخر ليتنسموا الهواء وينصتون .. وضحك « نونيز » حين فعلوا ذلك فى أول مرة ، ولكنه لم يضحك بعد ذلك ، فقد اهتدى واحد منهم الى أثر قدمه فى الحشائش ، فأقبل يتحسس طريقه تبعا لها !.. وظل نونيز خمس دقائق يرقب زحفهم البطىء ، ثم تملكه شعور قوى بأنه يجب أن يفعل شيئا للدفاع عن نفسه .. فوقف ، وسار نحو السياج المحيط بالوادى بضع خطوات ،

ثم ارتد راجعا قليلا ، فاذا هم جميعا قد وقفوا فى قوس جامدين مصغين ٠٠ ووقف بدوره جامدا ، وقد شد بكلتى قبضتيه على يد المعول ، وأخذ يسائل نفسه : « هل أهاجمهم ؟ »

ومرة أخرى ، عادت الكلمات تدوى فى أذنيه : « الاعور فى بلد العميان ملك » !

وصاح أحدهم : « بوجوتا !٠٠ بوجوتا !٠٠ أين أنت ؟ »

فازداد تشبثه بالمعول ، وتقدم فى المروج نحو القرية ، ولكنه ما أن تحرك حتى اتجهوا جميعـا صوبه ، فهتف لنفسه : « سأضربهـم اذا مسونى ٠٠ سأضربهم بحق السماء ٠٠ سأضربهم ! » ٠٠ ثم صاح عاليا : « اسمعوا ٠٠ سأفعل ما أشاء فى هذا الوادى ٠٠ أتسمعون ؟٠٠ سأفعل ما أريد وأذهب أينما شئت ! »

وكانوا يتحركون نحوه بسرعة ٠٠ كانوا يتحسسون طريقهم ومع ذلك يتقدمون مسرعين !٠٠ كان المشهد أشبه بلعبـة الاستخفاء (الاستغماية) معكوسة ، فان الجميع كانوا كأنما قد عصبوا أعينهم ، وواحدا هو الذى ظل مبصرا !٠٠ وصـاح أحدهم : « امسكوه ! » ٠٠ فوجد نونيز نفسه شبه محوط بمطارديه ، وأحس فجأة بأنه لا بد أن يعمل شيئا ، وأن يتخذ قرارا سريعا ٠٠ فصرخ بصوت أراده أن يكون قويا وحازما ، فاذا به يتهدج اشفاقا : « انكم لا تفهمون ٠٠ أنتم عميان ، ولكني أستطيع أن أرى ٠٠ دعونى وشأنى ! »

ــ بوجوتا !٠٠ دع المعول ، واخرج من العشب !

فأغضبه هذا الامر الاخير ، لما بدا من تفاهته وسخافته ، فصاح وهو يرتجف حنقا : « سأوذيكم ٠٠ بحق السماء سأوذيكم ٠٠ دعونى وشأنى ! »

وأخذ يجرى وهو لا يعرف تماما الى أين يجرى !٠٠ كان يجرى هاربا من أقرب رجل أعمى لانه كان يستنكر أن يضربه!

.. ثم توقف ، وتحول ليفر من صفوفهم التى كانت تزداد حوله احكاما .. واتجه الى ثغرة واسعة فى وسطها ، فاذا بالاثنين اللذين على جانبيها يندفعان أحدهما نحو الآخر ، وقد فطنا سريعا الى اقتراب خطاه .. وقفز الى الامام ، ثم تبين أنه سيقع فى أيديهم ، فرفع معوله وهوى به بشدة .. فسقط أحد العميان وهو يصرخ ألما .. ونفذ « نونيز » خلال الثغرة ..

وتخلل صفوفهم ، فاذا هو قريب من الشارع الذى تقوم البيوت على جانبيه ، واذا العميان يجرون مسرعين هنا وهناك حاملين معاول وعصيا ..

وسمع خطى من ورائه فى الوقت المناسب ، فالتفت ليرى رجلا طويلا يندفع نحوه ويهوى فى اتجاه صوته بمعول !.. ففقد أعصابه ، وألقى بمعوله نحو الرجل ، ثم فر وهو يصيح بصوت عال بعد أن أفلت من ضربة أخرى كادت تصيبه ..

وتملكه ذعر طاغ .. وأخذ يجرى مرتبكا ، متعثرا ، لاضطراره أن يتلفت فى كل جانب فى آن واحد .. وسقط على الارض لحظة فسمعوا صوت سقوطه .. ولاح له عن بعد باب صغير فى السياج المحيط بالوادى ، فبدا له كأنه طاقة الى الجنة ، واندفع نحوه فى سرعة جنونية . لم يفكر فى أن ينظر الى مطارديه حتى بلغه ، وتعثر عبر الجسر ، ثم تسلق الصخور مسافة ما ، فذعرت « لاما » صغيرة لمرآه ، وقفزت تجرى مختفية عن الانظار .. ثم استلقى على الصخر وأنفاسه تتهدج ..

وهكذا انتهى صراعه المروع !

- ٤ -

◆ **ومكث** خارج سياج وادى العميان ليلتين ويومين دون غذاء أو مأوى ، وهو يفكر فى أبعد الامور عن الوقوع .. وكان لا يفتأ يكرر بلهجة ساخرة - خلال تأملاته - الحكمة التى انهارت : « الاعور فى بلد العميان ملك ! »

واقتصر تفكيره على الوسائل التى يحارب بها هؤلاء القوم

ويهزمهم .. فأخذ يتضح له أن لا سبيل أمامه الى ذلك ، فما كانت معه أسلحة ، ولا كان فى الامكان أن يحصل على شىء منها .. **ثم انه ـ وهو الرجل المتحضر ـ لا يستسيغ أن يقدم على قتل انسان أعمى مع سبق الاصرار ، دون أى استفزاز !..** ولو أنه فعل ذلك ، لكان من المحتمل أن ينتصر ، ويملى عليهم شروطه ، تحت التهديد بأن يقتلهم جميعا !.. أما الآن ، فكان لا بد له على أية حال أن ينام ، ان عاجلا أو آجلا !

وحاول أيضا أن يجد بين الاشجار طعاما ، وأن يجد هناك مأوى يتقى فيه صقيع الليل .. كما حاول ـ وان ضعف أمله فى ذلك ـ أن يقتنص أحد حيوانات «اللاما» فيقتله ويقتات ببعضه، ولكن هذه الحيوانات كانت ترتاب فيه وترمقه بعينين سنجابيتين مليئتين بالشك والتوجس ، فلم يكن يقترب منها حتى تطلق ساقيها للريح ..

وحين طلع عليه الصباح التالى داخله الخوف فوجد نفسه يرتجف .. وأخيرا تسلل الى سياج بلد العميـان وحاول أن ينشد الصلح ، فسار بجوار الجدول وهو يصيح ، حتى خف اليه من البوابة رجلان أعميان تحدثا اليه ، فقال لهما معتذرا :

ـ لقد كنت مجنونا .. ولكننى شاب حديث التكوين ..

واستحسنوا منه هذا القول ، فمضى ينبئهم بأنه أصبح أعقل مما كان ، وانه يأسف لما بدر منه .. ثم ألفى نفسه يبكى ، اذ كان الضعف والمرض قد برحا به، فحملوا ذلك منه محملا حسنا .. وسألوه عما اذا كان لايزال يظن انه « يبصر » ؟!.. فأجابهم :

ـ كلا .. هذه كانت حماقة .. فليس للكلمة من معنى .. ليس لها معنى على الاطلاق ..

وسألوه عما يعلو الكون فقال : « هناك سقف يغطى العالم على ارتفاع يعادل عشرة أمثال ارتفاع الانسان .. سقف من الصخر ، أملس جدا .. جدا .. »

ثم أخذ يبكى وهو يستطرد متوسلا : « قبل أن توجهوا الى أى سؤال آخر ، اعطونى شيئا من الغذاء ، فاننى أوشك أن أموت ! »

*

◆ **وتوقع** أن يلقى عقابا رهيبا ٠٠ ولكن هؤلاء العميان كانوا أهلا للصفح ، فاعتبروا تمرده دليلا على بلاهته ونقص تكوينه ، فبعد أن جلدوه بالسياط ، ساقوه الى ممارسة أبسط ـ وأحيانا أشق ـ الاعمال التى كانت عندهم لاى فرد ٠٠ فصار يعمل فى صمت كل ما يؤمر به ، اذ رأى أن لا حيلة أخرى له كى يعيش ٠٠

وأصيب بالمرض بضعة أيام ، فعنوا بتمريضه فى رحمة ورفق ٠ واذ شكر لهم ذلك ، أصروا على أن يظل راقدا فى الظلام ، الامر الذى أحنقه كثيرا ٠٠ وأخذ الفلاسفة العميان يتوافدون فيحدثونه عن الشر الذى تملك عقله ، ويقذعوا فى لومه على الريب التى تساوره ازاء الغطاء أو « السقف » الذى يعلو العالم ٠٠ حتى أوشك أن يرتاب فعلا فى أنه لا يراه رأى العين !

وهكذا غدا « نونيز » مواطنا فى « بلد العميان » ، فأخذ يألف الناس ، بينما كان العالم القائم خلف الجبال يزداد بعدا عنه ، وأخذت صورته تزداد اضمحلالا فى ذهنه ٠٠ وكان ممن أنس اليهم ، سيده المدعو « يعقوب » ، وهو رجل رفيق ـ ما لم تستثر غضبه ـ ثم « بدرو » ، ابن أخيه ٠٠ و « مدينا ساروته »، صغرى بنات « يعقوب » ، وكانت لا تحظى فى عالم العميان الا بقسط قليل من الاعجاب ، لان قسمات وجهها كانت حادة ، تنقصها النعومة التى كان الاعمى يراها مقياسا لجمال الانوثة ٠٠ لكن « نونيز » رآها فى البداية جميلة ، بل لم يلبث أن رآها أجمل من فى الخليقة بأسرها !٠٠ كان جفناها المسدلان غير

غائرين ولا محتقنين كما هو الشائع فى الوادى ، وانما كانا يبدوان وكأنهما لن يلبثا أن ينفرجا فى أية لحظة ٠٠ وكانت لها أهداب طويلة ، ويعتبرها القوم من آيات الدمامة ٠٠ كما كان صوتها قويا ، لا ترتاح اليه الآذان المرهفة التى يمتاز بها شباب القرية ٠٠ ومن ثم لم يقع أحد فى هواها !

ومر بنونيز وقت أيقن فيه أنه - اذا فاز بها - فلن يحجم عن الاستقرار فى الوادى بقية عمره٠٠ ومن ثم راح يراقبها ويتقرب منها ، ويتحين الفرص لاداء الخدمات البسيطة لها ، فلم يلبث أن تبين أنها هى الاخرى تعيره اهتماما !٠٠ **وحدث فى أحد أيام الراحة أن جلسا جنبا الى جنب تحت ضياء النجوم الواهنة، والموسيقى العذبة ٠٠ فامتدت يده الى يدها ، واجترأت على أن تمسك بها ، فاذا بالفتاة تضغط يده فى حنان جلى !٠٠ وحدث فى يوم آخر أن كانا يتناولان طعامهما مع الاسرة فى الظلام ، فشعر بيدها تتحسس يده فى رفق ٠٠ وفى تلك اللحظة ذكت النار فى الموقد ، فرأى على وهجها مخايل الحنان تنعكس على وجه الفتاة !**



وعول على أن يصارحها بحبه ٠٠ فسعى اليها وهى تجلس الى المغزل فى ضياء القمر ذات ليلة من ليالى الصيف ٠٠ وقد بدت فى ضوء القمر كما لو كانت كائنا من فضة يلفه الغموض !٠٠ فجلس عند قدميها ، وباح لها بحبه ، وحدثها عما يراه من جمالها ٠٠ وكان صوته يتهدج بالحب ، وكان يتحدث فى لهجة

خاشعة حنون أوشكت أن تبدو حزينة ٠٠ ولم تكن الفتاة قد لمست من قبل اعجابا من أحد ٠٠ ومع انها لم تمنحه جوابا شافيا ، الا أن نشوتها بكلماته بدت واضحة !

وأخذ بعد ذلك يتحدث اليها كلما سنحت له فرصة ٠٠ وأصبح الوادى كل دنياه ، فى حين لم تعد الدنيا القائمة خلف الجبال - حيث يعيش الناس فى وضح الشمس - سوى اسطورة قد يسكبها يوما فى أذنيها ٠٠ وحاول فى حذر وتردد بالغين أن يصف لها نعمة البصر ٠٠ ولكن البصر كان يبدو لها شيئا شعريا مغرقا فى الخيال ٠٠ وكانت تنصت الى وصفه للنجوم والجبال وجمالها الوضاح ، كما لو كانت تنصت الى حديث من الحرام أن يقال !٠٠ ولم تصدق شيئا منه ، اذ لم يكن فى طوقها أن تفهمه فهما كاملا ، ولكنها كانت تشعر لسماعه بمتعة غامضة ، توحى اليه بأنها تفهمه حق الفهم !

- ٥ -

◆ ثم تخلص حبه من الحرج ، وازداد جرأة ، فما لبث أن اعتزم التقدم لخطبتها من « يعقوب » وشيوخ القوم ، ولكنها جزعت لذلك واستمهلته ٠٠ وكانت احدى شقيقاتها الكبيرات هى التى أنبأت « يعقوب » للمرة الاولى بأن « مدينا ساروته » و « نونيز » متحابان !

وصادف أمر زواج « نونيز » و « مدينا ساروته » معارضة قوية من البداية ، لا لان القوم كانوا يعتزون بفتاتهم ، وانما لانهم كانوا يرون الشاب مخلوقا غريبا ، غبيا ، ناقص التكوين، أدنى من المستوى المصطلح عليه للانسان !٠٠ وعارضت شقيقات الفتاة فى الامر معارضة مريرة ، بحجة أنه يجلب عليهن العار٠٠ ومع أن « يعقوب » كان قد بدأ يشعر بشىء من الحب لعبده المتواضع ، المطيع ، الا أنه هز رأسه وقال ان مشروع ذلك الزواج لا يمكن أن يتحقق !٠٠ وغضب الشبان أشد الغضب

لفكرة الهبوط بعنصر قومهم ، بل تمادى أحدهم فأهان «نونيز» وصفعه ٠٠ ورد « نونيز » الصفعة ٠٠ ولاول مرة ، وجد للابصار قيمة ٠٠ وبعد أن انتهى ذلك العراك ، لم يعد أحد يجرؤ على أن يرفع عليه يدا ٠٠ وان ظلوا يرون مشروع زواجه مستحيلا !

وكان الشيخ « يعقوب » يحب ابنته الصغرى حبا جما ، فأحزنه أن تنكفىء على صدره باكية ، وراح يقول لها :

ـ انك تعرفين يا عزيزتى انه غبى ٠٠ عقله مختل ٠٠ لا يستطيع أن يصيب فى عمل ٠٠

وقالت « مدينا ساروته » وهى تبكى : « أعرف ذلك ٠ ولكنه الآن أحسن مما كان قبلا ٠٠ انه يتحسن ٠٠ وهو قوى يا أبت العزيز ، ورحيم ٠٠ أقوى وأكرم من أى رجل آخر فى الدنيا٠٠ وهو يحبنى ٠٠ وأنا ، يا أبت ، أحبه ! »

واشتد أسى الشيخ « يعقوب » اذ ألفى أنها لا تستطيع أن تتعزى ٠٠ ثم أنه كان قد أحب « نونيز » لاسباب عديدة ، الامر الذى زاده أسى ٠٠ لذلك ذهب الى غرفة المجلس الخالية من النوافذ فجلس مع الشيوخ الآخرين ، واستمع لنقاشهم ، ثم قال فى الوقت المناسب : « ان الفتى أحسن حالا الآن مما كان ٠٠ ومن المحتمل جدا أننا سنجده يوما مثلنا تماما ! »

ثم حدث بعد ذلك أن خطرت فكرة لاحد شيوخ القوم الذين يجيدون التفكير ٠٠ كان الشيخ المذكور طبيبا كبيرا بين أولئك الناس ٠٠ كان طبيبهم ٠٠ وقد وهب عقلا فلسفيا ، مجددا ٠٠ وكانت فكرة شفاء « نونيز » من نزواته الغريبة قد استهوته٠٠ وفى أحد الايام ، عاد الى موضوع « نونيز » أثناء حضور «يعقوب» فقال :

ـ لقد فحصت « بوجوتا » ، فازدادت الحالة وضوحا لى ٠٠ وأعتقد أن من المحتمل جدا أن يشفى ٠٠

فقال الشيخ « يعقوب » : « هذا ما تمنيته دائما »
قال الطبيب الاعمى : « ان عقله مختل » .. وأمن الشيوخ على قوله .. فاستطرد متسائلا : « فما الذى أصابه بالخلل؟»
وقال الشيخ يعقوب : « آه !.. هذا بيت القصيد »
فقال الطبيب مجيبا بنفسه على سؤاله : « ان هذين الشيئين الغريبين المسميين بالعينين ، اللذين جعلا لايجاد انخفاضين ناعمين ملائمين فى الوجه ، هما فى حالة « بوجوتا » موبوءان الى حد أحدث تأثيرا فى المخ!.. فهما متورمتان بدرجة مخيفة.. ثم ان له أهدابا .. كما ان جفنيه يتحركان .. ونتيجة لهذا أصبح مخه فى حالة اختلال مستمر ! »
قال الشيخ « يعقوب » فى انتباه : « أجل .. وبعد ؟ »
ــ أعتقد أن لى أن أقول عن ثقة ويقين كبيرين ، أن كل ما نحتاج لعمله لكى يشفى تماما ، هو عملية جراحية سهلة .. وأقصد أن نزيل ذينك الجسمين الغريبين ..
ــ وهل يصبح بعد ذلك معافى ؟
ــ سيصبح فى أتم عافية ، ويغدو مواطنا رائعا ..
ــ شكرا للسماء أن وهبتنا العلم !
واذ قال الشيخ « يعقوب » هذا ، انطلق من فوره ليبشر « نونيز » ببشراه السعيدة .. ولكنه بهت لمسلك « نونيز » اذ تلقى الانباء الطيبة بفتور واستياء .. فقال له :
ــ ان المرء يخال من لهجتك أنك لا تحفل بابنتى ..!

*

◆ **لكن** « مدينا ساروته » أفلحت فى اقناع « نونيز » بأن يسلم نفسه للطبيب الاعمى !.. وحين فاتحته فى الامر فى البداية ، قال لها منكرا :
ــ انك تريدينني أن أفقد نعمة الابصار ؟
فهزت رأسها ولم تجب .. بينما مضى يقول : « ان الابصار .. عالمي ودنياى »

ونكست رأسها •• فاستطرد :

ـ هناك أشياء كثيرة جميلة •• أشياء صغيرة رائعة •• الزهور النامية بين الصخور •• الخفة والنعومة اللتان تتوفران فى قطعة من الفراء •• السماء العالية والسحب التى تسبح على صفحتها •• غروب الشمس وبزوغ النجوم •• ثم ، هناك أنت !•• **انما أرى البصر نعمة من أجلك وحدك ، لارى وجهك الجميل الفاتن •• وشفتيك الرقيقتين •• ويديك الجميلتين الحبيبتين وقد ضمت كل منهما الاخرى •• انك انما استأثرت بى بفضل عينى !•• هاتان العينان ـ اللتان يبغى أولئك الاغبياء اقتلاعهما ـ هما اللتان تربطاننى اليك •• اننى بدونهما لا أستطيع الا أن ألمسك، وأن أسمعك، دون أن أراك ثانية قط! •• ويتعين على أن أقبع داخل زنزانة من صخر وحجر وظلام•• هذه الزنزانة الرهيبة التى يحبس داخلها خيالكم •• لا •• ما أظنك تطالبيننى بأن أفعل ذلك ؟**

وثار فى نفسه شك ممض•• فكف عن الكلام، تاركا الموضوع معلقا •• لكنها لم تلبث أن قالت : « أتمنى •• » ، وسكتت لحظة ، ثم أضافت : « أحيانا •• »

فقال فى شىء من التوجس : « نعم •• »

ـ أتمنى أحيانا لو انك لا تتحدث بهذا الاسلوب ••!

ـ أى أسلوب ؟

ـ اننى أدرك انه بديع ، خيالك هذا ، وانى لاحبه •• ولكن الآن ••

وأحس بقشعريرة تسرى فى كيانه ، فقال فى وهن : «الآن؟» •• لكنها لبثت صامتة ساكنة •• فعاد يتساءل : « أتعنين •• هل تظنين اننى قد أغدو أحسن حالا •• أحسن ربما •• »

وكانت الحقيقة تتفتق له بسرعة كبيرة •• وأحس بغضب •• أجل ، غضب من الاتجاه الكئيب للقدر •• ولكنه أحس

أيضا نحوها بعطف ، بسبب عجزها عن الفهم ٠٠ عطف يقارب الرثاء !

وهتف : « يا عزيزتى »٠٠ وأمسك !٠٠ فقد رأى من شحوبها مدى تأثرها بالامور التى لم تقو على الافضاء بها ، فأحاطها بذراعيه ، وقبل أذنها ٠٠ ثم جلسا فى صمت ٠٠

وقال أخيرا فى صوت متناهى الرقة : « أو تريدينني أن أوافق ؟ »

فطوقته بذراعيها وقالت وهى تبكى فى انفعال : « آه ، لو قبلت ٠٠ ليتك تقبل ! »

*

◆ **لم** يعرف « نونيز » طعما للنوم طيلة الاسبوع السابق لموعد العملية التى كانت سترفعه من عبوديته ونقصه الى مستوى المواطن الاعمى !٠٠ وكان يجلس فى ساعات شروق الشمس الدافئة ـ بينما ينعم الآخرون بالنوم ـ ليفكر أو يشرد بذهنه على غير هدى ، محاولا أن يجد لمشكلته حلا !٠٠ انه قد أدلى بجوابه ، وأبدى موافقته ، ومع ذلك فانه لم يكن قد استقر فى أعماق نفسه على رأى ٠٠

وأخيرا ، حان اليوم الاخير من أيام ابصاره ، وانتهى وقت العمل ، وارتفعت الشمس فى أبهة وجلال فوق القمم الذهبية ٠٠ فقضى بضع دقائق مع « مدينا ساروته » قبل أن تأوى للنوم ٠٠ وقال لها :

ـ غدا ، سيكون آخر عهدى بالبصر !

فأجابته وهى تضغط يديه بكل قوتها :

ـ يا فؤادى الحبيب !٠٠ لسوف يؤلمونك ، ولكنه ألم بسيط ٠٠ ولسوف تتحمل هذا الالم ٠٠ ستتحمله أيها العاشق العزيز ٠٠ من أجلى ٠٠ لسوف أعوضك ، لو جاز لقلب امرأة وحياتها أن يكونا عوضا ٠٠ لسوف أعوضك يا أعز حبيب ٠٠ يا حبيبى ذا الصوت الحنون ٠٠

وأحس برثاء لنفسه ، ولها ٠٠ فضمها بين ذراعيه ، وقبلها، ثم تأمل وجهها الجميل للمرة الاخيرة ٠٠ وهمس للحبيبة التى كان يتملى بمنظرها : « وداعا !٠٠ وداعا ! »

ثم استدار فى سكون مبتعدا عنها ٠٠

وظلت تنصت لخطواته المتباعدة فى بطء ، فاذا فى وقعها شيء جعلها تبكى مر البكاء ٠٠

*

◆ **كان** نونيز قد عقد العزم على أن يذهب الى مكان منعزل ، يتناثر الزهر الابيض فى مروجه البديعة ، كى يبقى هناك حتى تحين ساعة التضحية ٠٠ ولكنه رفع بصره وهو ماض ، فرأى الصباح يزحف على السفوح ، كملاك يحمل درعا من ذهب ٠٠ وبدا له أن عالم العميان فى الوادى ، وحبه هو لفتاته ، وكل شيء ، ليس سوى حلم رهيب ازاء هذا البهاء ٠٠!

ولم ينحرف عن الطريق كما كان يعتزم ، بل مضى قدما ، ونفذ خلال السياج المحيط بالوادى ، ثم انطلق يجتاز الصخور، وعيناه لا تتحولان عن الجليد والثلوج التى انعكس عليها شعاع الشمس ٠٠ **فكر فى العالم الكبير الطليق الذى فارقه ٠٠ العالم الذى كان دنياه ٠٠ ورأى بعين الخيال تلك السهول البعيدة ، سهلا بعد سهل، وقد استلقت فى أوسطها ـ في روعة وجمال ـ « بوجوتا » ٠٠ بلد الجمال العجيب ٠٠ عظمة فى النهـــار ، وغموض مشرق بالليل ٠٠ بلد القصور والتماثيل ٠٠ وفكر فى أن فى وسع المرء بعد يوم أو حوالى اليوم أن ينحدر خــلال الدروب مقتربا من شوارعها وطرقها المزدحمة شـيئا فشيئا** ٠٠ وفكر فى الرحلة على النهر ، من « بوجوتا » العظيمة ، مقتربا يوما بعد يوم من العالم الكبير المترامى خلفها ، منطلقا خــلال البلدان ، والقرى ، والغابات ، والصحارى ٠٠ والنهر يتدفق يوما حتى تتباعد ضفافه ، ويتسع للبواخر الكبيرة، وحتى يصل الى البحر اللانهائى بجزره التى تعد بالآلاف، وبسفنه التى تبدو

غير واضحة وهى تنطلق بعيدا ، فى رحلاتها التى لا تنتهى حول ذلك العالم الكبير .. هناك ، حيث لا جبال ، يستطيع المرء أن يرى السماء .. لا مجرد دائرة كما تبدو من الوادى المحصور بين الجبال ، وانما كقوس أزرق لا قرار لزرقته.. عميقة ممعنة فى العمق .. تسبح فى فضائها الكواكب الدوارة ..

وراحت عيناه تفحصان أستار الجبال فى اهتمام متزايد .. لو افترض انه مضى صاعدا ذلك الممر الى الدرب المغلق الجوانب كالمدخنة ، ثم نفذ الى ذلك المرتفع بين الاشجار التى تنمو فى حلقات كأنها رف أو سياج ، ثم مضى مرتقيا ، ممعنا فى الارتقاء، على طول الدرب .. وبعد ؟.. من الممكن أن يعبر ذلك السفح ، ثم يبحث عن منفذ يتسلقه فيفضى به الى الاكمة التى تكسوها الثلوج ..

فاذا تعذر عليه هذا الدرب المغلق ، فهناك الى الشرق منه بقعة قد تكون أسهل تسلقا .. وبعد ؟.. يمكن للمرء أن ينفذ الى أعلى الجليد الذى ينعكس عليه الضوء مصفرا كالكهرمان ، ثم الى منتصف الطريق نحو قمة تلك الجبال الجميلة ..

ورد بصره الى القرية ، ثم استدار يمينا ، وأنعم البصر .. وفكر فى « مدينا ساروته » ، فاذا بها تبدو على البعد صغيرة متضائلة .. وعاد يستدير الى الجبال القائمة كالجدار .. الجبال التى كان النهار ينحدر عليها نحوه ..

ثم بدأ يتسلق فى حذر ..

وعندما جنحت الشمس للغروب ، كان قد كف عن الصعود، ولكنه كان قد أمعن فى البعد والارتفاع .. وكان لا يزال أمامه مجال للارتفاع .. وكانت ثيابه قد تمزقت ، وأطرافه قد لطخت بالدم ، اذ كان قد جرح فى كثير من أجزاء جسمه ، ولكنه استلقى وكأنه ينعم بأقصى راحة وطمأنينة ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ..

وكان الوادى يبدو من حيث استلقى أشبه بحجر على مسافة ميل منه تقريبا ٠٠ وكان معتما ينبسط عليه الضباب والظلال ، وان بدت قمم الجبال المحيطة به كتلا من النور والنـار ٠٠ والصخور التى بالقرب منه جميلة رائعة ٠٠ وكانت تسيطر على الدرب ظلال عميقة غامضة ٠٠ زرقة قاتمة يشوبها احمرار ٠٠ وحمرة تستحيل الى قتام فى لون ظلمة السماء ، لا تكاد تقوى النجوم على تبديدها ٠٠

لكنه لم يأبه لكل هذه الاشياء ، وانما راح يبتسم وكأنه قد ارتاح لمجرد فراره من وادى العميان الذى خال ان بوسعه أن يغدو فيه ملكا !

وخبا وهج الشمس ، وأقبل الليل ٠٠ وهو ما يزال راقدا فى هدوء وسلام ، هانئا تحت النجوم الباردة ٠٠

الخالدون



عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : ((ديفاليرا)) .. و ((غاريبالدى)) .. و ((لويس باستير)) .. و((اميل زولا)) .. و((ماركونى)) .. و((تشايكوفسكى)) .. ((فمصطفى كمال)) .. ثم ((شوبان)) .. و((جى دى موباسان)) و((مختار)) واخيرا ((تشارلس ديكنز)) .. وهم من هم من العظماء فى السياسة ، والطب ، والادب ، والاختراع .. والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم اقدم لك فيما يلى سيرة نابغة الموسيقى فى عصره ، وفى كل عصر، ((لودفيج فان بتهوفن))

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، شيللى ، براوننج، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشه ، ارسطو .. بوذا ، كونفشيوس .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، جوته ، اديسون ، فورد .. بلزاك ، والتر سكوت ، ديماس ، دستويفسكى .. كولمبوس ، الاسكندر المقدونى بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم


LUDWIG VAN
BEETHOVEN
BY
RICHARD
ANTHONY
LEONARD
حياة
بيتهوفن

◆ **فى** تاريخ جميع الفنون ، يصعب العثور على مثيل للشغف الهائل الذى حظى به بيتهوفن من أهل عصره والجيل التالى لهم! .. ففى حياته عقد له لواء الزعامة على جميع موسيقيى زمانه .. وعند موته لبست (فينا) بأسرها الحداد عليه ، ووقف يشهد موكب جنازته عشرون ألفا من سكانها !

ولقد اعتبر العالم بيتهوفن عبقرى الموسيقى الذى لا يجارى، ورفع موسيقاه الى ذروة الذرى ، بحيث صارت هى المقياس الذى يقاس اليه كل نغم موسيقى وضع بعده .. ولم يقتصر الشغف به على الجماهير وحدها ، وانما شاركها فيه أعظم عباقرة الموسيقى الذين جاءوا بعده ، فاعترف منهم بزعامته وتفوقه كل من شوبير ، وشومان ، وفاجنر ، وبراهمز .. وغيرهم !

ولقد مرت فترات فى الماضى رشحت فيها موسيقى بيتهوفن للانحلال والتدهور - كنتيجة حتمية للمغالاة فى امتداحها والاسراف فى عزفها ! - لكن هذه الظنون كلها تبخرت ، وما زالت زعامة بيتهوفن فى الموسيقى فوق كل منازع الى اليوم ، حتى بعد أن تعرض انتاجه وحياته معا لاشعة النقد المعاصر ، تلك الاشعة النفاذة التى تكشف جميع النقائص والعيوب !!

وتمتاز موسيقى بيتهوفن بسعة آفاقها ، وبطابعها «الثورى»، بحيث لا يملك من يسمعها الا أن يتصور صاحبها فى خياله فى أروع صور « البطولة » !.. ولا يملك الا أن يستنتج أن حياته كانت ولا بد « مغامرة كبرى » فى مأساة الوجود الانسانى ..

والواقع ان بيتهوفن كان بطلا ، بل واحدا من أعظم أبطال البشرية ، ولكن ليس بالمعنى الذى حاول أن يصوره عليه مترجمو حياته الاولون .. فان الاسطورة التى صورته رجلا « ذا جلال

مهيب ، وطلعة آلهية ! » ، انما كانت محض خيال خلقه الكتاب في السنوات التالية مباشرة لوفاة بتهوفن ، واستمر مسيطرا على العقول زهاء نصف قرن !

فلما كتبت حياة بيتهوفن على ضوء الادلة الثابتة التى استند اليها المؤرخون المحدثون ، أزيلت عنها قشرة « التقديس » الاعمى التى طلاها بها معاصروه ، وعرضت على الانظار عارية من كل طلاء زائف ٠٠ فرأينا بيتهوفن على حقيقته : بكل شذوذه ، وعدم أمانته ، وسوقيته ، ورثاثته ٠٠ وبكل سعة أفقه أيضا ، ورحابة قلبـــه

على أن حياة بيتهوفن تبدو لاول وهلة رتيبة بسيطة ، خالية من الحوادث والمغامرات ٠٠ فهو قد ولد سنة ١٧٧٠ فى بلدة « بون » الصغيرة ، حيث قضى السنوات الاولى من صباه ، ثم عاش بقية السبعة والخمسين عاما من حياته فى فينا، لا يغادرها الا فى رحلات قصيرة الى غيرها من المدن النمسوية والالمانية ٠٠ فهو لم يعبر الحدود الالمانية قط ٠٠ ولم يتزوج طيلة حياته٠٠ ولم يعقد سوى عدد ضئيل من الصداقات ، مع أشخاص غير بارزين ـ (لا يستثنى من ذلك غير صلته بالشـاعر العظيم جوته) ٠٠ وقد كانت له عدة مغامرات غرامية ، لكنها تتابعت واحدة بعد الاخرى بانتظام عجيب ، وفترت كل منها بسرعـة أعجب ، بحيث يضفى عليها ذلك كله طابعا أقرب الى الهــزل والمزاح !

والنتيجة الحتمية لكل ذلك أن حياة بيتهوفن « المـادية » الظاهرية كانت ـ مثل حياة الكثيرين من رجال الفن ـ تافهة ضائعة بالقياس الى حياته « الروحية » التى تضطرم بين جنبيه ٠٠ أو فلنقل انها كانت أشبه بمجرد « خشبة المسرح » التى جرت عليها فصول دراما خالدة ، هى الدراما التى كانت تمثل فى أعماق روحه وطوايا ذهنه ، والتى تجسمت بقوة هائلة فى ألحانه وموسيقاه ٠٠

تجار خمور ٠٠ ومغنون !

◆ **وأسرة** بيتهوفن من أصل فلمنكى ، تنحدر من ضواحى (لوفان) ٠ وقد كان بين أسلافه عدد من الرسامين، والنحاتين، والمغنين ٠٠ كما كان بينهم عدد من تجار الخمور ! بل ان جده لابيه جمع بين الاتجاهين ، فكان تاجر خمور ومغنيا فى بلاط حاكم مدينة (بون) فى وقت معا !٠٠ ويبدو انه كان رجلا متين الخلق قوى الشخصية ، ولو ان زوجته كانت مختلة العقل (بحيث قضت أيامها الاخيرة فى مصحة للامراض العقلية !) ٠٠ أما ابنهما «يوهان بيتهوفن» ـ والد فناننا العظيم ـ فكان بدوره سكيرا مدمنا ٠ وقد تتبع خطوات أبيه حتى صار مثله مغنيا فى البلاط ٠ وفى سنة ١٧٦٧ تزوج من أرملة شابة لاحد الخدم ٠٠ وكانت هذه المرأة ـ التى وهبت العالم عبقريا من أعظم عباقرته ـ ابنة طباخ بدورها ! وقد قبلت حياتها مع زوجها السكير المنحل « يوهان » دون شكوى أو تذمر ، وراحت تجاهد بكل قوتها ضد أعداء ثلاثة : الفقر ، وضعف الصحة ، وكثرة الحمل وانجاب الاطفال !٠٠ والحق انها كانت امرأة صبورة عذبة الطباع ، لم تأل جهدا فى سبيل اسعاد أطفالها ورفع مستواهم٠٠ ولكن يقال ان أحدا منهم لم يرها يوما تبتسم!

وكان ثانى أطفال الزوجين هو « لودفيج » ، الذى ولد فى ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٠ ٠ وقد كانت طفولته أشبه « بكابوس»، وهل ينتظر أن تكون غير ذلك وقد شاء سوء حظه أن يولد لاسرة تعانى الفقر والفاقة ، ويحكمها سكير أحمق ؟!٠٠ وهكذا لم يبلغ الصبى الخامسة حتى بدأوا يعدونه لكسب عيشه من احتراف الموسيقى ، فجاءوا له بمعلمين ـ وان يكونوا غير أكفاء ـ لتلقينه أصول هذا الفن ومبادىء العزف على آلاته المختلفة ، بادئين بالكمان ، ثم الارغن ٠٠

وكان أحد هؤلاء المعلمين زميلا سكيرا للاب ، « يوهان » ، فكان الاثنان كثيرا ما يعودان الى المنزل فى ساعة متأخرة من

الليل ، فيجذبان الصغير « لودفيج » من فراشه ليستأنف التمرن على العزف . وكان الاب يوقظ ابنه من نعاسه لهذا الغرض بلا رحمة ، وفى ذهنه أمل واحد مشرق يداعب خياله : أن يصير الصبى موسيقيا عبقريا يخلف نابغة عصره « موزار » !

وحين بلغ لودفيج الثامنة، أظهره أبوه لاول مرة أمام الجمهور فى حفلة موسيقية عامة بمدينة (كولونى) ، حيث عزف الصبى مقطوعة على الارغن . لكن الاب أعلن للنظارة يومئذ ـ كذبا ـ ان ابنه فى السادسة فقط ! (وقد نتج عن هذه الاكذوبة أن الصبى نشأ يعتقد انه ولد حقا سنة ١٧٧٢ .. ولم يكتشف خطأه هذا الا بعد أن صار رجلا) .

لكن الآمال التى بناها الوالد على ولده لم تؤت ثمارها ، فالتحق لودفيج باحدى مدارس (بون) كتلميذ عادى .. وفى العام التالى أسعده الحظ بالعثور على أول مدرس للموسيقى ذى كفاءة حقيقية ، وكان يقتنى نسخة مخطوط نادر فى الموسيقى خلفه الموسيقى «باخ» ـ وكان ذلك المخطوط لم ينشر بعد ، ولا يعرفه سوى موسيقيين قلائل ـ فاتخذ منه بيتهوفن انجيله الموسيقى حتى آخر حياته !

ورغم فشل بيتهوفن فى الاقتداء بسلفه « موزار » ، فانه كان ذا موهبة موسيقية ملحوظة .. فلما بلغ الثانية عشرة كان قد غدا عازفا بارعا على الارغن .. وفى الثالثة عشرة نشر ثلاث مقطوعات للبيانو وعدد من المتنوعات .. وفى العام الذى يليه عين مساعدا رسميا لعازف الارغن فى البلاط .. **وفى السادسة عشرة أخذوه الى فينا ، حيث أدهش موزار بقدرته الفائقة على الارتجال .. فقال موزار لمن حوله : « راقبوا هذا الفتى .. انه سيملأ الدنيا ضجيجا ذات يوم ! » .. لكن اقامة بيتهوفن فى فينا قطعها وصول نبأ من موطنه بأن أمه تحتضر ، بمرض السل . وقد أدركها الفتى قبل وفاتها بوقت وجيز ، فلما لفظت أنفاسها**

حزن عليها حزنا شديدا مفجعا ، زاد من وطأته عار رؤية الفتى لابيه يبيع ثياب الراحلة ومخلفاتها للباعة الجائلين مقابل دريهمات قليلة أنفقها فى شرب الخمر !

وحين بلغ بيتهوفن السابعة عشرة ، بدأت تلحظه أعين بعض أفراد العائلات الارستقراطيـة فى (بون) ، وبخاصة أسرة « بروينج » .. وكانت « مدام فون بروينج » امرأة عريقة فى الحسب ولوعة بالثقافة والفن ، فخصته برعايتها وصارت له أما ثانية ، كما جعلت بيتها بيته الثانى ، الذى التقى فيه بكثيرين من ذوى المكانة الاجتماعية البارزة

وبارشاد مدام فون بروينج ولج بيتهوفن دنيا الادب والفن، واتصل بها عن كثب . وفى تلك الفترة التقى أيضا بالنبيل الذى قدر له أن يكون راعيه الاول فى خطواته الباكرة المتعثرة ، وهو الشاب المسرف الماجن الكونت « والدشتاين » ، وكان قد انتقل حديثا الى بون من قصره القاتم ببوهيميا ، حيث عكف كازانوفا على تسجيل « مذكراته » ..

وسخا الكونت على الموسيقى الشاب بماله ، ولكن فى لباقة وكياسة ، فرد له بيتهوفن جميله فيما بعد باهدائه اليـه لحن البيانو الخالد الذى سماه باسمه !.. ولم يلبث الشاب أن حصل على عمل كعازف على الكمان فى جوقة مسرحية ، وقد احتفظ بهذا العمل طيلة أربع سنوات .. وفى سنة ١٧٩٢ مر الموسيقى « هايدن » ـ وكان شيخا فى الستين ـ بمدينة بون ، فى طريق عودته من زيارته الاولى لانجلترا ، فاستحث الشاب بيتهوفن على اللحاق به فى فينا ليدرس الموسيقى عليـه .. وساهم الكونت والدشتاين فى الخطة بأن دبر أن يمنح حاكم المدينة بيتهوفن « أجازة » طويلة يجرى عليه أثناءها راتبا شهريا مناسبا .. ثم أرسله والدشتاين الى فينا مزودا اياه بهـذه الرسـالة التى كانت له بمثابة وحى ونبوءة فى آن واحد :
« اذهب كى تتلقى روح موزار من يدى هايدن ! »

العبقرى القبيح الخلقة ..

◆ **عند** ما هبط بيتهوفن (فينا) ، كان حظه فيها أحسن من حظ أسلافه الثلاثة العظام الذين استوطنوا فيها .. فقد عاش هايدن أعوامه الاولى فيها فى سباق موجع ضد الفقر ، ولم تحسن المدينة تقديره الا بعد أن احتضنته لندن وكفلت له العيش .. ولم يكن نصيب موزار بأحسن منه ، فقد أساءت فينا استقباله فى البداية - بحيث ساءت صحته وانهارت معنويته - ولم يعوضه عما قاساه فيها غير التقدير والترحيب اللذين أراقتهما عليه براغ !.. أما العبقرى الثالث « شوبير » فقد كاد أن يتضور جوعا فى قلب عاصمة الموسيقى والفن ذاتها !

لذلك كان عجيبا أن تتلقى (فينا) الشاب الجديد الوافد عليها - بيتهوفن - بما يكفل له العيش من أول لحظة! كان يومئذ فى الثانية والعشرين ، قصير القامة - لا يجاوز المائة والستين سنتيمترا - قوى الجسم ، كبير الرأس ، أسمر البشرة داكن اللون بحيث أطلق الناس عليه « الاسبانى » !.. وكانت تشوب خديه آثار الجدرى ، ويشوب فمه بروز أسنانه ، وتشوب كلامه لهجته المضحكة المنتشرة فى اقليم الرين !.. لكن أية ابتسامة ساخرة كان يبعثها مرأى هذا الشاب الريفى الخشن القبيح الخلقة ، كانت تغيض للحال من على فم صاحبها ، فمن العينين الناريتين كانت تشع نظرة حادة متحدية !

وقد أقام بيتهوفن عند وصوله فى غرفة بسطح أحد المنازل .. لكن خطابات التقديم والتوصية التى أرسلها الكونت والدشتين وحاكم بون لم تلبث أن أدخلته الى صالونات أرقى طبقات فينا ومجتمعاتها .. وهناك كان يكفى أن يجلس الى الارغن ، كى تتركز فيه الابصار والاسماع !.. وكانت أظهر مواهبه : الارتجال . كان يستطيع أن يعد « مشروع » لحن ، أى لحن على الاطلاق ، ثم يسترسل فيه ساعات طويلة دون توقف .. فاذا بسيل عجيب عاصف من « الافكار » الموسيقية

يتدفق من الارغن ، تتخلله « همسات » ناعمة مفاجئة من الانغام، وتختلط فيه السرعة الكاسحة والرقة المرهفة فى آن واحد !٠٠ وكان ذلك شيئا جديدا فى الموسيقى، شيئا لم يسمع به فى عهد الاناقة والتخنث٠٠ فلم تلبث أن فتنت به مجتمعات الارستقراطيين في فينا ٠٠ ووجد الشاب بيتهوفن أشخاصا كثيرين يتنافسون على اسباغ رعايتهم عليه ٠٠ وهكذا لم يمض عامان حتى كان يعيش فى بيت الامير « نيشنوفسكى » كواحد من أفراد أسرته!

وفى هذه الاثناء بدأ بيتهوفن « يؤلف » الالحان ويطبعهـا وينشرها ، وكان أولها لحن قصير للبيانو ساهم فيه بدفع ثمن « الاشتراك » قبل الطبع نحو مائة من أبرز شخصيات المجتمع فى فينا ، ولم يكن بيتهوفن قد جاوز يومئذ الخامسة والعشرين!

الفاجعـــــة

◆ **لكن** الاقدار كانت تهيىء يومئذ لبيتهوفن فاجعته الكبرى، التى لم تلبث أن أصابته بعد عامين ، فى مستهل عام ١٧٩٨ ، حين اكتشف انه بدأ يصاب بالصمم !٠٠ وبرغم انقضاء قرن ونصف على ذلك التاريخ حتى اليوم ، وبرغم جهود مئات الاطباء والباحثين والمـؤرخين الذين نقبوا فى كل صغيرة وكبيرة من دقائق حياة بيتهوفن بحثا عن تعليل لهذا الصمم ، فان سبب هذه الكارثة التى أصابته فى صميم موهبته ٠٠ ما يزال مجهولا ! **٠٠ وقد قيل وقتئذ انها نتجت عن اصابته بمرض الزهرى ـ الذى ظل يعزى اليه لزمن طويل كل ضعف أصاب بيتهوفن فى المستقبل سواء فى جسمه أو عقله أو شخصيته ! ـ ولكن الاطباء المحدثين متفقون على أن هذا المرض لم يكن له أدنى صلة باصابة الشاب بالصمم ٠٠**

وأيا كانت الاسباب ، فقد كانت الاصابة كارثة كادت تصيب عقل الفتى بالاختلال ٠٠ فهذا هو على عتبة مستقبل عظيم ، وقد

أسبغت عليه ألحانه الموضوعة للبيانو شهرة شـعبية جعلت الناشرين يتهافتون على نشر ألحانه ٠٠ وهذا هو يعيش فى رغد من العيش ، يشرف على شؤونه خادم خاص ، ويقتنى حصانا ! ٠٠ والآن ، بضربة واحدة من القدر يتعرض أساس حياته وفنه للانهيـار !

وفى البداية حاول التعس اخفاء مأساته عن الناس ، وحرص على تجنب كل المجتمعات ٠٠ وتهدمت أعصـابه من الطنين والصفير والضجيج الدائم فى أذنيه ، حتى لقد فكر أكثر من مرة فى الانتحار ٠٠ وفى سنة ١٨٠٢ ـ وكان يقضى الصـيف فى قرية صغيرة يطلق عليها (هيلجنستاد) ـ أطلق العنان لمشاعره فى « وصية » كتبها ووجهها الى شقيقيه (وهى الوصية المشهورة باسم وصية هليجنستاد) وفيهـا وصف الاهوال التى كان المسكين يعانيها ، ثم ختمها باعترافه المشهور الذى قرر فيه أن لا شىء كف يده عن الانتحار سوى ٠٠ فنه ! : « أواه ، لقد بدا لى مستحيلا أن أغادر هذا العالم قبل أن أنتج كل ما يعتمل فى أعماقى وأحس بالحاجة الى « اخراجه » ٠٠ وهكذا قررت مواصلة هذه الحياة التعسة ! »

رب ضارة نافعـة !

◆ **ورغم** أن صمم بيتهوفن قد حطم حياته الى حد كبير ، فان الحقيقة الثابتة ان هذا الصمم بالذات كان له الفضل فى اسباغ ثروة ثمينة على فن الموسيقى !٠٠ فمن الناحية الاولى صرفته هذه الكارثة عن مواصلة اتجاهه فى الحياة كمجرد « عازف » على البيانو ، وأجبرته على تحويل كل مجرى نشاطه الذهنى الى مصب آخر ، داخلى ، هو « تأليف » الالحان ٠٠ ومن ناحية أخرى فان هذا الصمم قد أسدل حواليه ستارا بل جدارا منيعا من السكون التام ، تاركا ذهنه يعمل فى خلق الالحان دون أدنى

ازعاج !٠٠ وبالفعل ، عكف بيتهوفن منذ عام ١٧٩٨ على وضع ألحانه فى جد ونشاط ، وتتابع سيل هذه الالحان بسرعة واجادة متزايدتين ٠٠ ويطلق النقاد على هذه الفترة من حياته « المرحلة الاولى » من مراحل تطور انتاجه الخالق ، وفيها يبدو تأثره الواضح بسلفيه « موزار » و « هايدن » ، وان تخللت موسيقاه حتى فى هذه الفترة « قفزات » مفاجئة متكررة نحو أسلوبه الخاص الذى صار طابعا مميزا له فيما بعد ٠٠ وقد بدت فى ألحانه التى وضعها فى تلك المرحلة الاولى آثار الانفعالات النفسية العميقة التى سببتها له كارثة صممه

على أن محاولة الربط بين الطابع العاطفى لعمل فنى وبين الاحداث التى تنتاب حياة الفنان صاحب هذا العمل فى وقت انتاجه اياه ، انما هى فى حالة بيتهوفن محاولة خطرة ، ومقياس لا يستقيم البتة ٠٠ فهو قد طالما أنتج ألحانا رائعة الصفاء ، فى الوقت الذى كان هو فيه غارقا فى لجة اليأس ، ساقطا فى قاع هاوية نفسية مروعة ٠٠ والعكس بالعكس ! ولعل أبرز مثل يوضح صدق هذه الظاهرة لحنه الهادىء الصافى الذى نعرفه باسم « السمفونية الثانية » ، وقد وضعه فى صيف عام ١٨٠٢ ، خلال الفترة التى كتب فيها وصيته الباكية لشقيقيه !٠٠ ومع ذلك فهناك بين الالحان التى وضعها فى سنة ١٧٩٨ والسنة التى تليها أمثلة لا تخطىء الاذن أن تتبين فيها صدى الفاجعة المريرة التى كانت تلقى ظلالها على حياته الخاصة فى تلك الآونة ٠٠!

السمفونيات التسع الخالدة

◆ **وبرغم** نبوغ بيتهوفن المبكر ، فانه لم يحاول أن يضع سمفونيته الاولى الا وهو فى الحادية والثلاثين ٠٠ وهى السن التى كان موزار قد أتم فيها سمفونيته الاربعين !٠٠ ويرجع هذا التوانى من بيتهوفن الى سببين : أولهما انه كان فنانا مدققا بطىء الانتاج ، وثانيهما انه كان بطبعه حذرا فى بداية ارتياده

كل لون جديد عليه من ألوان الموسيقى ·· وقدكان اللونالمعروف « بالسمفونية » يجذبه ولكن يبعث فى نفسه فى الوقت ذاته شعورا بالرهبة والاجفال من الخوض فيه !·· وهكذا لم يدل بدلوه فيه كما ذكرنا الا فى تلك السن المتأخرة ، بل ولم يزد عدد السمفونيات التى وضعها طيلة حياته على تسع فقط ، وهو عدد كان يعتبر ضئيلا فى عرف ذلك العصر الخصب ، وبالنسبة لمعاصريه من أساطين الموسيقى على اختلافهم ··

ومع ذلك ، فان المكانة التى تحتلها اليوم هذه السمفونيات التسع فى تاريخ الموسيقى ، لهى مكانة فريدة فى بابها ، واليها يعزى النصيب الاكبر من المجد والشهرة اللذين أسبغا على بيتهوفن فى القرن التاسع عشر ·· بل انها لتكاد تبلغ منزلة الالحان الكنسية الكاثوليكية التى ينظر اليها بعين التقديس ! ·· ومما لا شك فيه أن هذه السمفونيات التسع قد حفرت فى فن الموسيقى أثرا عميقا خالدا يفوق آثار مئات السمفونيات الاخرى التى خلفها أعلام هذا الفن ·· ولئن كانت سمفونيات بيتهوفن كلها تعتبر فى درجة واحدة من حيث الجودة والاتقان ، فان أكثرها حظوة بشغف الجماهير وتقدير النقاد فى آن واحد هى السمفونيات : الثالثة ، والخامسة ، والسابعة ، والتاسعة ··

والسمفونية الثالثة هى التحفة المسماة « ايرويكا » ـ ومعناها مشتق من « البطولة » ـ **وقد أطلق عليها بيتهوفن هذا الاسم بوحى من اعجابه الشديد بالبطل نابليون بونابرت ، وايمانه به كمحرر لفرنسا ـ بل كمحرر مقبل للانسانية جمعاء ـ وهو الايمان الذى كان يشاركه فيه كثيرون من شباب عصره وأهل الفكر النابهين فيه ، الذين اعتنقوا مبادىء الحرية والمساواة التى كانت شعار ذلك العهد ·· على أن « البطل » لم يلبث أن**

خذل الفنان المعجب به حين نادى بنفسه امبراطورا حاكما بأمره، فلما علم بيتهوفن بالنبأ بلغ من غضبه وثورته أنه محى اسم بونابرت من مقدمة السمفونية !.. وبعد سبعة عشر عاما ، عندما مات نابليون فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة، علق بيتهوفن على النبأ بقوله: «لقد وضعت بالفعل الموسيقى الملائمة لهذه الكارثة» - مشيرا بذلك الى الفاصل الثانى من سمفونية ايرويكا، المسمى « المارش الجنائزى » !.. وخلاصة القول فى هذه السمفونية انها - أيا كانت الزاوية التى ينظر اليها منها - تعتبر من أهم « الملحمات » فى تاريخ فن الموسيقى على الاطلاق . وقد كانت بمثابة الخاتمة التى أسدلت الستار على موسيقى القرن الثامن عشر ، وأدخلت موسيقى موزار وهايدن ومعاصريهما فى نطاق « الماضى » الذى يقل تأثيره على موسيقى المستقبل !

شـــذوذ الفنان !

◆ **وقد** كان بيتهوفن أعظم مصداق للقول الشائع بأن الفن والشذوذ مترادفان.. فقد كان ذا طبع نارى - بل بركانى ! - لا يسلم من ثوراته صغير ولا كبير.. فهو لم يكن يقصر غضبه واهاناته على من هم أدنى منه فى المكانة الاجتماعية ، بل كان لا يتورع عن أن يقذف حممها فى وجه أرباب نعمته ورعاة فنه الكرام !.. حدث مرة أن تأخر ساقى أحد المطاعم فى اجابته الى طلب ، فما كان منه الا أن قذف فى وجهه بطبق اللحم



والصلصة الذى كان أمامه !٠٠ وفى مرة أخرى ثار ثورة ضارية أثناء تجارب أوبرا « فيديليو » بسبب تأخر ممثل ثانوى عن الحضور فى موعده ٠ وحين حاول الامير لوبكوفتش أن يهدىء من ثائرته أصيب بشبه نوبة صرع وتشنج ، ثم عرج فى طريقه الى بيته على قصر الامير ، فلما فتح له الخادم الباب اندفع يصيح فى وجه الخادم المذعور : « ان لوبكوفتش حمـــار !٠٠ ان لوبكوفتش حمار ! »

وفيما يتصل بنظافة جسمه ومراعاة مبادىء الصحة العامة كان بدائيا يكاد ينتمى الى العصر الحجرى ! وكانت أسـاليب سلوكه على المائدة تثير الاشمئزاز بحيث كان الناس يحرصون على تجنب الجلوس بالقرب منه فى المطاعم !٠٠ وفى بيته لم يكن يأنف من أن يبصق فى كل مكان كما يحلو له ، بحرية تامة ، حتى ليبصق أحيانا ـ فى لحظات اضـطرابه وانشغاله ـ على مرآة !٠٠ أما فى المناسبات الاكثر حظا التى تكون فيها النافذة مفتوحة فكان يبصق من النافذة ٠٠

أما بيته فكان مثـــالا للقذارة والفوضى ، وقد نثرت فى كل ركن منه : الثياب ، والكتب ، والاثاث المحطم ، وبقايا الطعام! ٠٠ حتى معزفه كانت تتراكم عليه أكوام عاليـة من الاوراق والمخطوطات المنوعة ، وكان غطاء المعزف وداخله ملطخين ببقع الحبر ! وكان عنده معزف آخر راقدا على الارض بغير أرجل ! ٠٠ وقد فسر هذا أحد مؤرخيه هذه الظاهرة بأنه قد يكون تعمد نزع أرجل المعزف لانه كان يفضل العمل وهو منبطح عـــلى الارض ٠٠ بينما فسرها آخر بأنه نظرا لكثرة انتقاله من بيت الى بيت فقد يكون وجد من العسير أن ينزع أرجـل المعزف ويركبها فى كل مرة ، فتركها منزوعة على الدوام !٠٠ ذلك أنه كان يندر أن يبقى فى منزل أكثر من عام ، وفى بعض الاحيان

كان ينتقل من منزل الى منزل فى فترات متقاربة بحيث كان يدفع ايجارا لاكثر من مالك فى وقت واحد !

ولا بد انه كان أبعد الاشخاص عن الساكن المثالى ، فمع ازدياد صممه صار يكثر من الصياح والضجيج والغناء بأعلى صوته وهو يضع ألحانه .. فى حين لم يكن يحتمل أدنى ضجيج يصدر من مسكن أحد جيرانه ! وبلغ من شغفه بالطبيعة والخلاء والهواء الطلق انه كان يأبى أن يذود الهواء والشمس عن حجراته باغلاق أخشاب النوافذ أو الستائر .. ونتيجة لذلك كان جيرانه كثيرا ما يصدمون برؤيته فى جسمه الضخم، الشبيه بجسم الدب ، واقفا يحلق لحيته أمام النافذة وهو فى ثياب النوم ، أو أقل !.. وكان هو بدوره يضيق بصبية الشوارع الذين لا يفتأون يوجهون اليه صيحات السخرية البذيئة !

زير النساء !

◆ **ولقد** خصصت مجلدات كاملة لدراسة مختلف مظاهر شذوذ بيتهوفن ، ولا سيما فى غرامياته وصلاته بالنساء .. فقد كان رجلا ذا غرائز جنسية عارمة ، وحيوية خارقة . وكان شديد الاشتهاء للنساء ، فكانت له مغامرات مع عشرات منهن وعشرات .. وكان بعض هذه المغامرات من النوع الضارى العنيف . لكنها كانت كلها قصيرة الاجل ، حتى لقد اعترف مرة بأن أطول حب له لم يدم أكثر من سبعة أشهر !.. لم تكن تخف حدة اشتهائه لامرأة حتى تختفى المرأة المذكورة من حياته لتحل محلها أخرى ، وهكذا !.. **ولم يكن يجد صعوبة ما فى غزواته ، فقد كانت فى قبحه جاذبية خاصة للنساء .. وأعجب ما فى الامر ان أكثر اللواتى أحببهن كن من أرقى طبقات المجتمع**

الارستقراطى ، ومن أجمل حسان (فينا) وأكثرهن ثقافة ورقة شمائل ٠٠ بل ان كثيرات منهن كن من عراقة المحتد ورفعة المقام بحيث كان زواجهن من رجل من العامة مثل بيتهوفن أمرا مستحيلا ! ٠٠ على انه كان حريصا فى كل علاقاته على تجنب عشق النساء المتزوجات ، أو على حد تعبيره : « ان من ألزم مبادئى أن لا تكون لى بزوجة رجل آخر أكثر من صلة الصداقة الخالصة ! »

وقد فكر بيتهوفن فى شبابه أن يتزوج ، لكن المرأة التى وقع عليها اختياره لتشاركه حياته ـ وكانت مغنية أوبرا حسناء تدعى « ماجدالينا ويلمان » ـ لم تقبله زوجا ٠٠ وحين سئلت فيما بعد عن سبب رفضها أجابت ضاحكة : « لانه كان قبيحا، ونصف مجنون ! »

ولكن بقدر قبحه، انهالت عليه دعوات النساء لاحياء الحفلات الموسيقية فى دورهن وقصورهن ٠٠ وبلغ من تهافتهن الذى شغل أكثر أوقاته انه كان يضطر فى بعض الاحيان الى احياء تلك الحفلات فى الساعة السادسة صباحا !



« المحبوبة الخالدة » !

◆ **ولعل** أشهر قصة حب تؤثر عن بيتهوفن ، وأكثرها غموضا، قصته مع حسنائه المجهولة التى أطلق عليها « محبوبتى الخالدة » ، والتى ما زالت شخصيتها لغزا يستعصى على الحل! **فعلى أثر وفاة الموسيقى العظيم عثر فى درج سرى بمخدعه على**

خطاب غرامى عنيف ـ هو الخطاب الوحيد الذى خلفه ـ لكنه كان خلوا من تاريخ كتابته ومن اسم المرأة التى وجه اليها ٠٠ ورغم ان الكثيرين من مؤرخى حياته قد نبشوا كل أضابير وأقسام « أرشيف » أوربا بحثا عن مفتاح يهديهم الى حل هذا اللغز ، كما أجهدوا أذهانهم سعيا الى اكتشاف شخصية تلك المحبوبة الخالدة ، فان هذه الشخصية ما تزال لغزا غامضا لم يحل !٠٠ ومن بين الاسماء الكثيرة التى رشحها لهذا الشرف بعض مؤرخى حياته : شقيقتان من أسرة برونسويك ، وابنة عمهما « جولييتا » ـ التى أهدى اليها بيتهوفن مقطوعته الخالدة (لحن ضوء القمر) ـ ثم فتاة غريرة فى الخامسة عشرة تدعى « تيريزا مالفاتى » ، وكان بيتهوفن قد تدله فى حبها وهو فى سن الاربعين ٠٠ كما كانت من بين اللواتى رشحتهن الظنون الشاعرة « بتينا برنتانو » صديقة جوته ، وكثيرات غيرهن ٠٠ وهكذا كان كل مؤرخ يرجح كفة واحدة على حدة ، بل لقد ذهب الناقد الامريكى أوسكار سنيك الى انه فى الوقت الذى كتب فيه بيتهوفن خطابه المذكور الى حسنائه المجهولة ، كان على صلة غرامية مع امرأة أخرى تدعى « أمالى سيبالد » !٠٠ ومجمل القول ان اللغز ما يزال بغير حل ، وأغلب الظن انه سيظل كذلك مدى الدهر ٠٠

على أن الغموض الحقيقى فى حياة بيتهوفن الخاصة لم يقتصر على علاقته بحسنائه المجهولة ، وانما تعداها الى مسلكه مع النساء جميعا على وجه العموم ، فيما يختص ببقائه أعزب مدى الحياة ٠٠ وفى هذا انقسم المؤرخون الى ثلاث شعب : فريق يقول انه لم يتزوج لانه لم يجد المرأة المثالية التى كانت تراود خياله ٠٠ وفريق آخر يرجح ان اصابته بالزهرى هى التى جعلته يعتقد ان زواجه ، من أية امرأة ، ينطوى على العار بل والدمار المحتوم !٠٠ **على ان الاحتمال الارجح هو أن عزوف**

بيتهوفن عن الزواج يرجع الى أسباب نفسية أعمق من كل ذلك ، جعلت عقله الباطن ينفر من الزواج : فقد أدرك بوحى من غريزته ان وجود الزوجة ـ وما يتبعها من انجاب الاطفال ـ لا بد أن يكون عائقا هاما يعرقل انتاجه الفنى ٠٠ والواقع انه كان من أكثر البشر احتياجا الى الهدوء والسكينة ، ومن أكثرهم خضوعا وقبولا للعبودية والتضحيات التى يستلزمها منه فنه ٠ وفى هذا المجال لم يكن ثمة مكان لامرأة على الاطلاق !٠٠ وعلى هدى هذا التفسير يمكن القول ان مغامرات بيتهوفن الغرامية المتعددة لم تكن غير اشباع لغرائزه الطبيعية ، و « استدعاء » متواصل له من عالمه الفنى الى عالم الواقع ٠ وهناك فنانون كثيرون يشبعون رغبتهم مع أول امرأة تصادفهم ، أما بيتهوفن فكان بطبيعته يأنف من النسوة الرخيصات ، ولا يميل الا الى نساء الطبقات المترفة المترفعات ٠٠ ومن هنا كانت مغامراته الغرامية الكثيرة المتكررة مجرد « تظاهر » بالحب ، القصد منه أن يحفظ على أولئك المترفعات ماء وجوههن ، ويجعلهن يستسلمن لنزواتهن تحت ستار « الحب » لا الشهوة الصريحة !

قصة الاوبرا التى لحنها بيتهوفن

◆ **كان** عام ١٨٠٤ ـ العام الرابع والثلاثون من حياة بيتهوفن ـ عاما حافلا بأسباب النجاح والمتعة الفنية بالنسبة له ٠٠ فقد كان بداية فترة « خصب فنى » استمرت خمس سنوات ، وأنتج فيها سلسلة من روائع درره المشهورة ، من بينها سمفونيتاه الثالثة والخامسة ، ومقطوعته التى أطلق عليها « الامبراطور » ، وقد وضعها عام ١٨٠٩ أثناء حصار جيوش نابليون ثم احتلالها لفينا ٠ **وخلال هذا الحصار اضطر بيتهوفن ذات مرة الى الفرار الى مخبأ فى منزل شقيقه ، لا خوفا من الاصابة بقنابل المدافع ـ التى لم تكن لتصيب المدنيين ـ وانما فرارا من ضجيج هذه المدافع الذى كان يمنعه من وضع ألحانه !**

وذات يوم كلف أحد المخرجين بيتهوفن بوضع موسيقى أية أوبرا يختارها .. فراح هذا يستعرض أوبرات: روميو وجولييت، وماكبث ، واسكندر الاكبر ، وعولس ، وباكوس (آله الخمر)، وخرائب بابل .. وأخيرا وقع اختياره على أوبرا مقتبسة عن الفرنسية ـ كان اسمها الاصلى « ليونور » أو الحب الزوجى ، فسماها « فيديليو » أى « اخلاص » ـ وتتلخص قصتها فى أن زوج ليونور وقع فى الاسر ، كأسير سياسى ، واعتقل فى زنزانة بقصر نبيل اسبانى .. فسعت الزوجة فى سبيل انقاذه، واضطرت للتنكر فى زى فتى والالتحاق بخدمة صاحب القصر .. لكن جهودها باءت بالفشل ـ وان ظلت على وفائها له ! ـ وفى اللحظة التى حددت لاعدام زوجها ينفخ فى نفير قريب اعلانا عن وصول الوزير الذى جاء لاطلاق سراح الاسير !

ووضع بيتهوفن موسيقى الرواية ، ومثلت الاوبرا لاول مرة فى نوفمبر سنة ١٨٠٥ .. لكنها منيت بالفشل ! وقيل ان الوقت الذى اختير لتمثيلها لم يكن مناسبا ، فان جيوش نابليون كانت قد احتلت فينا لتوها ، ففر أغنياؤها وأفراد الطبقات الارستقراطية منها ، وهكذا صارت غالبية المتفرجين من الجنود الفرنسيين !.. وبعد حين التقى بعض أصدقاء بيتهوفن به فى قصر الامير ليشنوفسكى ولبثوا ساعات يتوسلون اليه أن يجرى فى الاوبرا بعض الحذف والتعديلات ، فدافع عن مولوده الذهنى فى البداية دفاع المستميت ، لكنه اقتنع فى النهاية باجراء التعديل . وفى العام التالى أعيد اخراج الرواية بعد التعديل ، فلم تلق نجاحا يذكر .. وأخيرا أعاد بيتهوفن تعديلها على نطاق واسع فى سنة ١٨١٤ ، وفى هذه المرة ظفرت بالنجاح الذى كفل لها الخلود !.. ويقضى الانصاف بالاعتراف بظاهرة عامة من الظواهر الغريبة فى دنيا الموسيقى،

وهى أن أشهر واضعى الموسيقى الصامتة من العباقرة والاعلام لم يصادفوا غير نجاح محدود حين استداروا لتلحين الاوبرات الغنائية !

السمفونية الريفية (باستورال)

◆ **وفى** سنة ١٨٠٨ وضع بيتهوفن سمفونيته الثامنة « الريفية » ، ورغم ان النقاد اعتبروها أضعف سمفونياته جميعا الا أن لها بعض مواضعها ، سيما وقد كان بيتهوفن من عشاق الطبيعة المزمنين : فالجزء الاول منها يصور الصفاء المبارك وسكينة النفس اللذين يهبطا على الانسان حين يطرح خلف ظهره ضجيج المدينة المرهق ويصل الى حمى غابة ساكنة ٠٠ ولا يقل عن هذا الجزء فى الروعة ، الفاصل الآخر الذى يصور تجمع أهل القرية وشروعهم فى تأدية بعض رقصاتهم القومية التقليدية ٠ **أما تصوير العاصفة التى هبت على الغابة بعد ذلك فقد بلغ فيه بيتهوفن الذروة ، حتى ليعتبر أجمل تصوير للعواصف فى تاريخ الموسيقى ، وفيه تستمع الى الانغام تصور لك سقوط المطر ، وهزيم الرعد ، وجو التوتر والفزع الذى يصاحبه ٠٠ الح** ـ والجزء الوحيد الذى تضعف فيه السمفونية هو الجزء الاخير الذى يصور أغانى الرعاة ثم شعور السعادة والارتياح الذى يغمر النفس بعد هدوء العاصفة ، فقد أطال بيتهوفن فى هذا الجزء الى حد يبعث الملل حقا ٠٠

عندما تجدب قريحة الفنان !

◆ **وعند** بلوغ بيتهوفن الاربعين ، بدأ سيل انتاجه الملهم الدافق يجف بسرعة ، ودخل فى مرحلة من الجدب والقحط حار المؤرخون فى تعليلها : فمن قائل ان علتها ترجع الى اهمال بيتهوفن فى التجويد والتدقيق نتيجة للنجاح الهائل الذى ظفر

به والاموال التى تدفقت عليه من ناشرى موسيقاه ، سواء فى جميع أنحاء ألمانيا أو فى انجلترا أيضا ! (وقد كان بيتهوفن فى الواقع أول موسيقى يعيش من موسيقاه معيشة رغد وترف)

٠٠ ومن قائل ان علة ذلك الجدب والقحط كانت اضطراب الاحوال العامة فى تلك الفترة ٠٠ فان أوربا التى هزها ارهاب الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٣ أعنف هزة وأعمقها ، وجدت نفسها الآن فى قبضة نابليون الذى كان قد بلغ قمة مجده فأخذ بخناقها وحطم امبراطورياتها ،واحدة بعد الاخرى ٠٠ وفيما كانت جيوشه تكتسح رقعة أوربا وتجتاح عواصمها ، كان الناس يقفون عاجزين ليتفرجوا على ثرواتهم بل وأرواحهم تقتلع من جذورها ٠ وقد كان بيتهوفن أحد الذين تأثروا بتلك الاحوال ولا شك ، ولكن من المشكوك فيه أن يكون تأثيرها قد امتد الى انتاجه الفنى سواء من حيث الكم أو الكيف ٠٠ سيما وان احتلال الفرنسيين لفينا مرتين من قبل ، خلال فترة خصبه الفنى ، لم يترك أثرا ملحوظا فى موسيقاه !

على أن هناك من ناحية أخرى تعليلا ثالثا للقحط الذى أصاب انتاجه بعد الاربعين ، وهو أن حياته فى تلك الفترة كانت تشوبها المنغصات : فقد اكتمل صمم أذنيه ، الى حد أن صارت جميع مناقشاته تجرى كتابة على الورق ! ـ وما يزال عدد من الدفاتر التى كانت تكتب فيها جميع مناقشاته مع الناس ، باقيا كشاهد لا يكذب من شهود تلك المأساة الانسانية المفجعة ـ وقد كان لحالته تلك أسوأ الاثر على أعصابه ونفسيته، فتزايدت حدة ثوراته ونوبات غضبه ، وصار يعانى أزمات عنيفة تحدق به فيها هواجس « الشعور بالاضطهاد » الى حد كون من هذا الشعور عقدة فى نفسه !

وفى سنة ١٨١٢ التقى « جوته » به لاول مرة ، فعلق على مقابلتهما بهذه العبارة : « انه لسوء الحظ شخصية ينقصها

الترويض ! لكنه قد لا يلام على بغضه للدنيا وسخطه على الناس، فان حالته تستحق الرثاء ٠٠ »

نقائصه المخزية !

◆ **ولا** يحاول المؤرخون اليوم اخفاء جانب مشين من جوانب شخصية بيتهوفن ، هو « عدم أمانته » ! فقد جعل من الناشرين لعبته ، فراح يخدعهم ويغشهم فى كل معاملاته ، حتى لقد حذر واحد منهم زملائه فى لندن بقوله : « حذار أن تبتاعوا ألحانا من بيتهـــوفن ! » ٠٠ وحين تعاقدت معه جمعية موســـيقى « الفيلهارمونيك » بانجلترا كى يضـــع ثلاثة ألحان جديدة خصيصا من أجلها ، أرسل اليها ألحانا ثلاثة قديمة وضعيفة ! ٠٠ على أن أبشع مثل من أمثلة غشه وخداعه هو دخـــوله فى مفاوضات ومساومات طويلة فاضحة ـ بشأن بيع حقوق لحنه الدينى الخالد MISSA SOLEMNIS ـ مع ستة من الناشرين فى وقت واحد !

ومن أحقر الصفحات فى سجل حياة بيتهوفن ، وأكثرها ضعة ودناءة ، معاملته الشائنة لزوجتى أخويه ، ولكل منهما قصة :

أما القصة الاولى فتتلخص فى أن أخاه « يوهان » كان على صلة بامرأة ذات ماض مريب وعفة جريحة ـ الامر الذى ما كان لبيتهوفن أن يتدخل فيه بحال ! ـ لكنه ارتدى فجأة مسوح التقى والورع وطالب شقيقه بالانفصال عن عشيقته فورا ٠٠ فلما أبى هذا بطبيعة الحال ، مضى بيتهوفن الى الكنيســـة والسلطات المدنية واستخرج من البوليس أمرا يحتم على المرأة مغادرة المدينة الى غير رجعة ٠٠ لكن الشقيق سارع الى الزواج من معشوقته ، فجعل منها امرأة شريفة ٠٠ وجعـــل من أخيه اضحوكة الناس !

أما قصة زوجة أخيه الاخرى ، فلعلها أعجب وأبشع !٠٠

كان شقيقه كارل قد توفى فى سنة ١٨١٥ ، موصيا بأن تشترك أرملته وأخوه الموسيقى العظيم فى الاشراف على تربية ابنه البالغ من العمر تسع سنوات ، والوصاية عليه — على أن تظل حضانة الصبى لامه . وكانت فكرة الوصاية المشتركة سخيفة من أساسها ، سيما وقد كان الموصى يعلم بنفور زوجته وشقيقه كلاهما من الآخر ، بل وكراهيتهما المتبادلة !.. **وهكذا لم يكد كارل يلفظ أنفاسه حتى تجاهل بيتهوفن رغبة أخيه الاخيرة وأصر على أن تكون حضانة الصبى له هو ! وتلت ذلك سلسلة طويلة من المنازعات الشريرة الحمقاء ، تطورت الى أن رفع العم الامر الى المحاكم .. فاستمرت القضية تتأرجح بين ساحاتها سنوات، استنزفت خلالها مال بيتهوفن والبقية الباقية من أعصابه** .. وأخيرا حكم له بحضانة الصبى ! لكنه كان نصرا صوريا ، فبرغم حب العم الاعزب لابن أخيه ، فانه كان أسوأ وصى يمكن أن يعهد به اليه ، وكان بيته المشوش المضطرب أسوأ جو يربى فيه انسان .. فلم يلبث الغلام أن فر — فى سنة ١٨١٩ — عائدا الى بيت أمه ! ومرة أخرى لجأ بيتهوفن الى المحاكم ، فأعيد المارق اليه .. وحين بلغ الفتى العشرين حاول مرة أن ينتحر ، فلما مثل أمام المحققين أعلن جهرا أن عمه هو الذى دفعه الى هذه المحاولة اليائسة من فرط تأنيبه المستمر له على سلوكه !

قارىء ممتاز !

◆ **ووسط** كل هذه المشاحنات والجو المشحون بالبغضاء ، لم يكن للعبقرى من عزاء غير موسيقاه ، وغير مطالعاته .. فقد كان يعتقد أن واجبه كفنان يحتم عليه أن يغذى ذهنه بخير الثمار التى خلفها المفكرون فى كل عصر . لكنه بحكم تعليمه الناقص كان يجهل اليونانية ، ولا يعرف من اللاتينية غير طرف

ضئيل ، فقنع بقراءة كل ما وجده مترجما الى الالمانية من مؤلفات الفطاحل القدماء : هوميروس ، وبلوتارك، وأفلاطون، وارسطو، ويوريبيدس ، وهوراس ، وأوفيد ٠٠ كما شغف بشكسبير ، وتوماس مور ، وبيرون ، ووالتر سكوت ٠٠ أما من الالمان فقد ألم بمؤلفات شيللر ، وليسنج ، والفيلسوف ايمانويل كانت ٠ على أن أديبه المفضل كان جوته ، الذى توج الادب الالمانى بدرتيه الخالدتين : « آلام فرتر » ـ التى كانت فاتحة عهد الادب العاطفى العفيف ـ و « فاوست » ، التى أنارت الطريق لجميع أدباء أوربا الرومانتيكيين ٠٠ وقد بلغ من ولع بيتهوفن بأدب جوته انه كان يقرأ فصلا منه كل يوم !

لحنان يستغرق وضعهما ستة أعوام !

◆ **وبعد** انقضاء سنوات الجدب الذهنى ـ السنوات العجاف ـ دخل بيتهوفن ـ سنة ١٨١٧ ـ فى المرحلة الختامية من حياته ، وفيها عاودته قدرته السابقة على الخلق الفنى ، فأنتج خلالها موسيقاه التى توصف اليوم بأنها « أصعب » ما وضع من موسيقى فى التاريخ !٠٠ فهى تتحدى كافة المقاييس التى عرفت وتحلق الى آفاق ومجاهل فى جمال الانغام لم يرتدها أحد من قبل ، بل ما يزال بعضها لم يكتشف تماما حتى اليوم!

والالحان التى وضعها بيتهوفن فى تلك المرحلة قليلة العدد نسبيا ، لكن منها صروح شامخة لم يجد الدهر بمثلها ، وأهمها بغير منازع : « القداس الكنائسى » و « السمفونية التاسعة »

والقداس الكنائسى هو أعظم عمل فنى أنتجه بيتهوفن على الاطلاق ، وقد شرع في اعداده فى الاصل ـ سنة ١٨١٨ ـ خصيصا من أجل حفلة تنصيب الارشيدوق رودلف رئيسا لاساقفة (أولمتز) ٠٠ **ولكن الحفلة أقيمت سنة ١٨٢٠ واللحن لم يتم بعد ! فقد تشعبت آفاقه فى مخيلة بيتهوفن وقاسى من آلام مخاضه وهو يضعه ما استغرق منه ثلاث سنوات أخرى قبل**

أن يتم نهائيا ٠٠ وحتى بعد تمامه لم يدعه يخرج من يده الى الناشرين الا بعد أن أعاد مراجعته المرة بعد المرة ٠ وأجرى في بعض مواضعه من التعديل ما أدى الى ترك ثقوب فى الورق « المقوى » الذى كتب عليه اللحن !

على ان بيتهوفن استغل هذا التأخير فى جمع ثروة من هذا اللحن ، اذ ساوم عليه كما ذكرنا ستة ناشرين مختلفين ، ثم أتم الصفقة أخيرا مع ناشر سابع عرض عليه مبلغا أكبر !٠٠ ولم يكتف بذلك بل أرجأ النشر مرة أخرى ريثما أرسل الى بلاط مختلف دول أوربا يعرض أن يبيع كلا منها نسخة من مخطوط اللحن مقابل خمسين « بندقيا » من الذهب !٠٠ وهكذا استطاع أن يستغل لحنه المقدس لابتزاز المال من طبقتين كان يخصهما بكراهيته واحتقاره : طبقة الناشرين ، الذين أطلق عليهم « كلاب جهنم » ، من فرط ما لعقوا وامتصوا من عصارة ذهنه وأعصابه ٠٠ ثم طبقة « الامراء الرعاع » الذين كان يمقت طريقتهم فى بسط « رعايتهم » على الموهوبين ، سعيا الى التفاخر على حسابهم !

أما السمفونية التاسعة فقد بدأها بيتهوفن سنة ١٨١٧ ، ولم يفرغ منها الا بعد ستة أعوام ! وحين عزفت للجمهور فى فينا لاول مرة (فى ٧ مايو سنة ١٨٢٤) أذهلت المستمعين بروعتها ورهبتها اللتين تستوليان على المشاعر طيلة السبعين دقيقة التى يستغرقها عزفها !٠٠ وحين سمعها الموسيقى « فاجنر » لاول مرة هتف مذهولا : « لكأنى بيتهوفن فيها مارد جبار يصارع الآلهة ! »

مجد ٠٠ ودموع !

◆ **وبانتهاء** بيتهوفن من هذين الصرحين الفنيين الجبارين، لم يبق من حياته غير بضع سنوات معدودات ، قضاها لسوء الحظ فى تعاسة وعذاب نفسى مرير ! انه لم يجد عزاء يذكر

فى أكاليل المجد والغار التي ألقيت على رأسه من كل جانب ٠٠ **وكان فى هذه الاثناء قد صار معدودا أعظم موسيقى فى أوربا قاطبة ٠٠ وتهافتت الجماهير على شراء ألحانه ، وتوطد مركزه المالى نهائيا ٠٠ وحاولت انجلترا اغراءه بزيارتها ، كى تسبغ عليه التكريم الذى أسبغته على « هايدن » من قبل ٠٠ وصفقت له فينا بأسرها وأعفته من واجب دفع الضرائب ! وحين عزفت سمفونيته التاسعة لاول مرة قوبل بمظاهرة خالدة لم يقابل بها ملك من الملوك فى أبهة ملكه ٠٠ الخ** ـ لكن الالوان الزاهية للحياة قد غاضت من حواسه وجف معينها ، ولم يبق أمام ناظريه غير اللونين الاغبر والاسود !٠٠ وبدأت صحته فى التدهور ، وبدت فى أفقه نذر الموت !٠٠ وأحيانا كان ينشد عزلة عن العالم كالتى لاذ بها الرسام « رمبرانت » فى سنواته الاخيرة التى عضه فيها الفقر بأنيابه ، لكنه لم ينعم قط بسكينة النفس التى أشرقت على وجه رمبرانت !٠٠ فقد كانت أحلام الفنان ما تزال تصارع روحه وتتركه نصف مجنون ، وكان عشرات من الارواح الشريرة تتملكه وتتجاذبه !٠٠ كان وهو يسير فى الريف يصيح محدثا نفسه ، ملوحا بذراعيه فى الهواء فى حركات ضارية ، كأنه ينازل أعداء غير منظورين ٠٠ حتى لقد كانت الثيران تفر من وجهه مذعورة ، والناس الذين لا يعرفونه يحسبونه مخبولا !

وفى سنة ١٨٢٦ أطلق ابن أخيه « كارل » الرصاص على رأسه ، محاولا الانتحار ٠٠ فسبب له الحادث صدمة خطيرة ! ٠٠ ومنذ ذلك اليوم صار يحس بمثل لذعة أسنان الثعبان السامة تنفذ الى دمه كلما صرح الشاب علانية أن عمه قد عذبه حتى ألقى به فى هاوية اليأس ! وفى هذه الاثناء أخذه العم الى بيت أخيه « يوهان » فى مدينة (جنيكسندورف) كى يستجم ويسترد صحته ٠٠ وهناك عكف بيتهوفن من جديد على العمل، برغم انهيار صحته وظهور آثار الشيخوخة المروعة عليه ٠٠

فأتم فى فترة اقامته فى بيت أخيه عددا من الالحان الصغيرة ، فى الوقت الذى كان فيه ذهنه يعد مشروعات كبرى كثيرة ، من بينها : أوبرا جديدة ، وسمفونية عاشرة !

وفى أحد الايام الاولى من ديسمبر عاد الى فينا ٠٠ وأثناء الرحلة أصيب ببرد ، سواء من ركوبه فى عربة مكشوفة ، أو من نومه فى حجرة بها تيار هواء فى احدى حانات الطريق الرخيصة !٠٠ فلما وصل الى بيته حملوه الى فراشه فى حالة سيئة من المرض ٠٠ وشخص الاطباء اصابته بأنها « التهاب في الرئتين » ٠٠ ورغم انه نجا من أزمة المرض الاولى فان الاطباء اكتشفوا اصابته أيضا بداء اليرقان (الصفراء) ، ثم بداء الاستسقاء أيضا !

ومنذ ذلك اليوم بدأ صراع رهيب مع الموت طيلة أربعة شهور ، حفلت بالآلام ونوبات الهياج العنيف التى خشى الاطباء أن تحمله احداها الى الابدية ٠٠ وبحسب طب تلك الايام أعطاه الاطباء جرعات من الخمر المثلجة ، وحمامات بخار ساخنة ، واستخلصوا ماء الاستسقاء من بطنه أربع مرات ٠٠ وفيما هم يفعلون قال بيتهوفن معلقا : « لخير أن يمتصوا الماء من بطنى ، من أن يمتصوا الحبر من ريشتى ! »

النهاية ٠٠

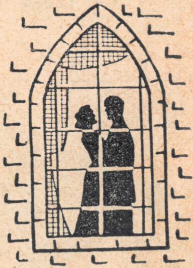
◆ **وذات** يوم من أواخر مارس سنة ١٨٢٧ ، بدا واضحا أن النهاية قد دنت ٠٠ فوقع المريض وصيته ، وتلقى المراسم الكنسية المألوفة ٠٠ ثم التفت الى المحيطين بفراشه وغمغم : « صفقوا أيها الاصدقاء ، فان الكوميديا قد انتهت ! » PLAUDITE, AMICI, LA COMEDIA E FINITA ٠٠ وبعد ساعات تلقفته الغيبوبة (الكوما) ٠٠ وبرغم ذلك فان الارادة الفولاذية لم تهن أو تسلم ، فاستمر الصراع خلال الغيبوبة يومين كاملين!

وأخيرا ٠٠ فى ٢٦ مارس ، وقع مشهد « ميلودرامي » يقرب من الاسطورة ـ لولا أن الادلة تثبته !٠٠ كانت عتمة الغروب قد هبطت على الكون ، والجليد يكسو الارض فى الخارج ، وفجأة ومض برق يخطف الابصار ، ودوى رعد قاصف ٠٠ **فاذا بيتهوفن ـ الذى كان غائبا عن الوعى منذ ساعات ـ ينهض فى فراشه ، ويفتح عينيه ٠٠ ويلوح بقبضته فى حركة تحد أخيرة ٠٠ ثم يسقط على ظهره جسدا هامدا ٠٠**

وانتهى صراع الحياة !



خلف النوافذ المغلقة



عباقرة الإنسانية

في حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السنة الاولى من (كتابى) قدمت لك فى هذا الباب قصة الحياة الخاصة لفيكتور هوجو ، كما كتبها اديب من اسرته وذوى قرباه هو «ليون دوديه»

وفى كتابى الممتاز الاول قدمت لك فى نفس الباب «اعترافات جان جاك روسو» ، وهو الكتاب الذى فتح فى الادب «الشخصى» فتحا جديدا ، اذ كان أول كتاب يتحدث فيه اديب عن نفسه ، «فيشرح» عيوبه قبل حسناته بصراحة وجراة لم يكن للناس عهد بهما من قبل ..

وفى الاعداد الثلاثة الماضية من كتابى قدمت لك الفصول الاولى من الكتاب الممتع الذى أصدره الاديب العالمى «أندريه موروا » منذ أسابيع ، وروى فيه حياة الاديبة والملهمة الخالدة « جورج صاند »، بالقلم البارع الذى قدم للعالم من قبل قصص حياة كل من : شيللى .. دزرائيلى .. بيرون .. تورجنيف .. فولتير .. ديكنز .. شاتوبريان .. الخ

واليوم اقدم لك الفصل الرابع من هذا الكتاب الشائق الذى سوف نتابع فصوله التالية فى اعداد كتابى القادمة باذن لله


LÉLIA
LA VIE DE
GEORGE SAND
Par
ANDRÉ MAUROIS

خلاصة ما نشر

◆ انحدرت جورج صاند من سلالة عجيبة ، كان بين افرادها الملوك ، والقواد العظام ، والراهبات الذائعات الصيت ، والممثلات الشهيرات .. الخ ـ وكان لكل نساء الاسرة ابناء وعشاق ، وكن مولعات بالابناء اكثر من ولعهن بالعشاق! .. وتقاطر سيل الابناء غير الشرعيين فى العائلة بغير حساب ، لكن آباءهم كانوا يعترفون بهم ، فينشأوا فى ترف ورفاهية ، كابناء الملوك !

وعن هذه السلالة العجيبة ورثت جورج صاند تحديها الجرىء للحياة، وتعلقها بالارضيات ، وشراهتها الجنسية .. حتى ليمكن القول بحق ان تاريخ أسرتها فيه الكثير من عناصر قصص ألف ليلة وليلة !

وكان أبوها ـ موريس دوبان ـ ضابط اركان حرب فى الجيش الفرنسى ، فالتقى اثناء الحملة الايطالية بحسناء فاتنة الطرف ضاحكة السن ، تدعى صوفى ديلابورد ـ وكانت عشيقة قائده ! ـ وقد كتبت جورج صاند فيما بعد تصفها بقولها : «كانت امى من النوريات الفجر ، سليلة جنس منحط متشرد .. وقد كانت ـ فى فترة من حياتها ـ راقصة ، او بالأحرى شيئا احط من راقصة ، فى ملهى من أقذر ملاهى باريس سمعة !.. حتى قيضت لها الاقدار رجلا موسرا انقذها من هذا الوحل ، ولكن ليفرض عليها حياة اكثر وحلا ! وحين التقى ابى بها كانت فى الثلاثين ، تعيش فى دوامة من الفوضى الضارية .. لكنه كان ذا قلب كبير ، وقد أدرك ان الحسناء التعسة ما تزال قديرة على أن تحب ، وتهب قلبها مخلصا لمن تحب»

لكن موريس اشفق من مصارحة أمه ـ الوقورة المتزمتة ـ بحبه لتلك المرأة ذات العفة الجريحة ، وبتفكيره فى الزواج منها .. فلبث يرجىء «الازمة» حتى حملت صوفى منه ، فاضطرا الى عقد زواجهما سرا فى ١٦ ابريل سنة ١٨٠٤ .. وفى مساء أول يوليه من نفس العام وضعت صوفى مولودتها «اورور» التى سنرى نجمها يلمع فى التاريخ باسم «جورج صاند» !

يتم .. وترمل

◆ وقاطعت الحماة ـ «مدام دوبان» ـ زوجة ابنها «صوفى» زمنا .. وحين فتر حقدها عليها اخذ موريس زوجته وطفلتهما وذهبوا ليقضوا فترة الاجازة السنوية فى بيت أمه فى (نوهان) .. ولم تمض ايام حتى خرج ليتنزه على ظهر جواده ، فجمح به الجواد وألقاه على كومة من الاحجار .. قتلته لساعته !

وهكذا قضت الاقدار على المرأتين المتنافرتى الطباع أن تتقاسما شجنا واحدا ، وان تتعاونا على الحياة معا ، ولو من أجل الصبية .. لكن النفور المتأصل فى القلب لم يتلاشى تماما ، بل زادت حدته حين رفضت مدام دوبان

أن تأوى تحت سقفها ابنة صوفى الاخرى التى كانت قد انجبتها من عشيق سابق لموريس !.. وهكذا لم يكن بد من القطيعة ، فرحلت صوفى عائدة الى باريس .. ولكن بغير طفلتها «أورور» ، فقد عز عليها أن تحرمها من كنف جدتها الذى يهيىء لها تربية ارستقراطية وايرادا سخيا قدره ١٥ الف جنيه فى العـــام !

وأحست الصبية لدى رحيل امها كأن احشاءها تتمزق ! لكنها لم تلبث ان نسيت شجنها فى غمرة «مشاغلها» الجديدة : فقد جلبت لها جدتها من علمها الموسيقى ، واللغة اللاتينية ، والعلوم الطبيعية .. فقرأت الصبية «الياذة» هوميروس وهى فى هذه السن الباكرة !

لكن الجدة اخطأت ذات يوم فصارحت حفيدتها بماضى أمها الملوث قبل زواجها من أبيها ، فأحدث ذلك فى نفسية اورور أزمة عنيفة جعلتها ترفع منذ ذلك اليوم راية العصيان والتمرد ، وتهمل دروسها ، فلم تجد الجدة بدا آخر الامر من الانتقال بها الى باريس لتكمل دراستها فى أحد الاديرة!

نزيلة الدير

◆ وفى دير الراهبات الانجليزيات بباريس قضت اورور سنوات ، ظهرت خلالها مواهبها فى الكتابة ، نثرا وشعرا ، وفى الرسم ، والعزف على القيثارة، وشغفها بالفنون عموما .. وذات يوم ، فوجئت بجدتها تستدعيها الى نوهان لتصارحها برغبتها فى تزويجها والاطمئنان على مستقبلها قبل أن يحين أجلها !

وهكذا اجبرت اورور على ترك الدير الذى أحبته ، وعادت الى نوهان، حيث صارت تقضى وقتها فى مطالعة أرسطو ، ودانتى ، وشكسبير ، وجان جاك روسو .. ومساعدة مربيها القديم ديشارتر فى عملياته الجراحية لاهل القرية ، وتلقى دروس فى التشريح على يد طالب طب من أصدقائه .. فألفت اورور رؤية منظر الدم وآلام البشر ، الامر الذى اكسبها قسوة القلب والجرأة فى التحدث عن وظائف اعضاء الجسم الحساسة دون حياء !.. وفى هذه الفترة بدأت تمارس عادات الرجال : فترتدى ثيابهم ، وتمتطى جيادهم، سيما وقد اكسبها مرض جدتها قسطا اكبر من الحرية ..

وفى ٢٥ ديسمبر ١٨٢١ ماتت الجدة ، تاركة اياها فى رعاية وصى من اقربائها . لكن امها «صوفى» أصرت على الاستئثار بالوصاية عليها ، واخذتها معها الى باريس . وكانت الام تتأرجح على شفا الجنون بسرعة متزايدة ، حتى لقد أوشكت أن تفرض على ابنتها زيجة اجبارية ، لولا ان أصيبت هذه من جراء كمدها باضطراب معوى أعجزها عن تناول الطعام وكاد يقتلها !.. فاضطرت أمها الى أن تأخذها لتقضى اياما فى ضيعة اسرة من اصدقاء زوجها القدامى ، بغية تبديل الهواء

زواج ٠٠ وخيبة أمل !

◆ وتوطدت صداقة اورور بافراد الاسرة جميعا ، وعن طريقهم تعرفت الى ضابط شاب ، أنيق رشيق مرح ، يرث من المال بعد وفاة ابيه ما يعصمه من تهمة الطمع فى مالها الذى ورثته عن جدتها .. فلما فاتحها فى الزواج قبلته مرحبة . وفى العاشر من سبتمبر سنة ١٨٢٢ زفت اورور الى «كازيمير دوديفان» ثم سافر الزوجان الى نوهان

على أن اورور لم تلبث أن تبينت – ولا سيما بعد انقضاء نشوة الحياة الجديدة وبعد ان رزقت بطفلها الاول «موريس» – ان بين طباعها وطباع زوجها تنافرا كبيرا .. فبقدر ما كانت هى تتذوق الادب والفن والموسيقى ، كان هو يجهل هذه كلها ، ولا يعبأ بغير الزراعة ، والرماية ، والشراب ، والتحدث فى السياسة المحلية ! .. وحتى المتعة الجنسية ، التى قد يعوض تبادلها عن تنافر الطباع بين الزوجين ، كان يشوبها التنافر ايضا بين شهوانية الزوج .. وبرود الزوجة ! كان هو ينشد فيها المرأة .. وهى تنشد فيه العاشق «الروحى» الذى طالما حلمت به وهى عذراء غريرة !

والان تستطيع ان تتابع القراءة :

❉

◆ **كانت** أورور فى الواقع تمقت مجرد التفكير فى الصلة الجنسية من أساسها ٠٠ فقد كانت فكرة الاتحاد الجسمانى تثير فزعها واشمئزازها ، الى حد جعلها تنصح الفتيات بعدم الزواج ، أو على حد تعبيرها : « ان الامومة تنطوى على مباهج لا توصف ، لكنها سواء توافرت في ظل الزواج أو فى ظل الحب الطليق بغير زواج ، لا يمكن أن تشترى الا بثمن لست أنصح لامرأة بأن تدفعه ٠٠ ! »

وهذا الثمن هو أن تمنح المرأة جسمها للرجل ، الامر الذى كان فى نظر أورور بلاء فظيعا ! ٠٠ وقد جرؤت فيما بعد على أن تصف مشاعرها فى الاشهر الاولى للزواج بكل صراحة ٠٠ وحين زوج أخوها هيبوليت ابنته ، فى سنة ١٨٤٣ ، كتبت اليه تحذره من خطر كان لديها من الاسباب ما يجعلها تقدر أهميته ٠٠ وقد جاء فى رسالتها هذه : « فلتحرص على أن لا يكون زوج ابنتك همجيا معها فى الليلة الاولى للزواج ، فان

كثيرا من المتاعب الجسمانية ، ونصيبا كبيرا من المحنة التى تعانيها نساء كثيرات عند الولادة.. انما ترجع الى هذا السبب بالذات ، لا سيما اذا كانت الزوجة ضعيفة البنية . **ان الرجال لا يعلمون ان ما يعتبرونه لهوا ، هو بالنسبة لنا جحيم مخيف .. فلتوصه اذن بأن يقدر كل ذلك ، وأن ينتظر الوقت الذى تستطيع فيه زوجته ـ بارشاده ـ أن تصل معه تدريجيا الى تفاهم ، وتكون قادرة على الاستجابة لشهواته .. فلا شىء أفظع من الرعب ، والالم ، والاشمئزاز ، التى تظل تعانيها الزوجة المسكينة التى يغتصبها وحش ! »**

❖

وكانت أورور قد قضت صباها تحلم بالحب باعتباره تجربة سامية رفيعة ، على طريقة روسو .. ومن ثم وجدت من المستحيل أن تهبط به الى مستوى شهية الرجل الضارية! وفراش الزوجية ان هو الا مدرسة خشنة ، تحس فيها النفس المرهفة بأنها ضائعة ساخطة .. أما كازيمير فقد كان الحب بالنسبة له مسألة بسيطة للغاية ، وقد مرت به تجارب الشاب الاعزب المألوفة ، ومن ثم كان يأمل أن يستطيع ـ دون صعوبة ـ أن يبعث فى زوجته مشاعر ممتعة كالتى سهل عليه أن يستمتع بها

لكنه فشل ، وان ظل وقتا طويلا يجهل ذلك .. أما أورور فقنعت بأن تمده بمتعة لم تكن لها هى فيها ناقة ولا جمل ! لكنها بعد أن كان هو يستغرق فى النعاس ، في غباء وخشونة وعدم مبالاة ، كانت تقضى شطرا كبيرا من الليلة مؤرقة تبكى . وأضحت الرغبة فى مباهج الجسد بالنسبة لها عقابا مرهوبا . كانت أشبه بمخلوقة يحيط بها الماء المنعش المرطب من كل جانب ، وهى عاجزة عن أن تطفىء به ظمأها .. وتتدلى الفاكهة الشهية أمامها من كل غصن ، لكن يديها لا تصلان اليها .. وتعذبها آلام الجوع المروعة ، دون أن تملك لها اشباعا !.. فان الحب وحده هو الذى يعطى الحياة نكهتها الحقيقية ، وهى

لم تستطع لسبب ما أن تتذوقه ، وان كانت على استعداد لان تدفع فى سبيل تذوقه أى ثمن وتبذل كل مرتخص وغال !

والنساء الاخريات يتوسلن الى حل هذه المشكلة بأن يتخذن لهن فى هذه الظروف عشيقا !٠٠ لكن أورور كانت تقدر زوجها وتتمنى اسعاده ، وخدمته ، ومشاركته حياته بكل معانى المشاركة ٠٠ ومع ذلك فقد ظل هو غافلا عن كنوز هذه المشاعر التى كانت تفيض بها طبيعتها !٠٠ ولقد طالما ودت هى أن تصارحه بهذه المشاعر ، لكنها لم تجرؤ ٠٠ ولو جرؤت لقالت له:

« **لقد تزوجت فى التاسعة عشرة من رجل ذى صفات حميدة ، وصرت أما لطفل رائع ، ولم يكن فى حياتى هم ولا قلق ولا متاعب ٠٠ ومع ذلك فانى أعيش حياة يكتنفها الضجر الموجع٠ وهذه الحالة التى أعانيها يمكن تعليلها بسهولة : فهناك فى حياة كل امرأة فترة تحس فيها بالحاجة الى أن تحب ، وتحب بكل جوارحها ٠٠ تحب رجلا تغمره بعواطفها ، وتنسى كل شىء عداه ! وهى حين تمر بهذه الفترة تبغى أن تركز فى محبوبها كل همها ، وتزن جمالها ومواهبها بقدر ما تدخل هذه كلها البهجة على قلبه !**٠٠ لكنك لم تلتفت يوما الى جمالى أو مواهبى ٠٠ والمعرفة والثقافة اللتان جمعتهما فى حياتى ضاعتا هباء ، ما دمت لم تشاركنى اياهما ٠٠ لقد كنت أضحك الى صدرى ، وأعلم أنك تحبنى ، ومع ذلك ٠٠ فقد كان ينقص سعادتى شىء، شىء ما لا أدرى كنهه ! »

*

كان هذا شعور أورور الذى لم تجرؤ على مصارحة زوجها به ٠٠ لم تجرؤ ، الى أن وقعت بينهما ذات يوم أزمة عائلية جديدة! ٠٠ كانت قد يئست من الاستمتاع بالسعادة فى كنف « كازيمير » ، وبدأت تعانى صداعا وخفقانا عصبيا فى القلب ٠ ثم انتابها سعال لازمها زمنا ، حتى توهمت انها أصيبت بالسل ٠٠ وأدرك كازيمير أن أكثر متاعبها وهمية ، فصار

يغلظ لها فى القول ، ويتهمها بالغباء والبلاهة .. وفى هذه الاثناء بلغها نبأ وفاة مربيها المحبوب ديشارتر فى ظروف أليمة، فقد أقرض مالا لاشخاص لا يعرفهم فجلب على نفسه الخراب ، ومع ذلك أبت عليه كرامته أن يشكو الفاقة والعوز ، الى أن مات ميتة الفلاسفة الزاهدين !

وأحست أورور لفقده بيتم جديد ، فقد عرفته منذ طفولتها والدا ثانيا بل أرق من والد .. بل أحست انها فقدت بموته آخر صديق بقى لها بعد وفاة جدتها .. والا فمن ممن بقوا لها تستطيع أن تدعوه صديقا ؟ أمها المخبولة الانانية ؟ أم أخوها غير الشقيق «هيبوليت» ، الذى خلق من نفس طينة زوجها ، لا يعبأ بغير الطعام والخمر والنساء ؟.. كان هذا الاخ الذى أنجبه أبوها فى شبابه الباكر من احدى خادمات البيت ، قد ظفر بزيجة عريقة لم يتوقعها له أحد ، وعاش فى قصر أسرة زوجته القريب من نوهان ! لكنه برغم هذا الجوار وبرغم دماثة خلقه لم يكن يصلح صديقا لاخته من فرط اختلاف طباعهما وادمانه على الخمر ..

وفى غمرة هذه العزلة النفسية الموحشة التى كانت تعانيها أورور ، استدارت تنشد صداقة فتاتين من زميلاتها القديمات فى الدير ، هما الشقيقتان « جين » و « ايميه بازوان » . وكان زوج أورور قد اعتزم أن يقضى الصيف مع أبيه فى بلدته ، فاتفقت الزوجة مع صديقتيها على اللقاء فى بلدة (كوتريه) فى شهر يونية .. فلما حان موعد الرحيل كتبت أورور فى مفكرتها : « الوداع يا (نوهان) ، فقد لا أراك ثانية ! » .. وذلك من فرط توهمها المرض ودنو الاجل ، فى حين لم يكن بها من مرض سوى حنينها الحاد القاسى الى .. الحب !

وكان كازيمير يحاول جهده التسرية عنها ، ولكن بطريقته الخشنة التى تنقصها اللباقة ! وأحيانا كان صبره ينفذ فيغلظ لها فى القول . وفى احدى مراحل رحلتهما الجديدة عاملها فى موقف

من المواقف بعنف ظالم ، فخرجت فى الطرقات على غير هدى ودموعها تسيل على خديها !٠٠ وفى مرحلة أخرى من الرحلة كانا يسيران بمحاذاة هوة سحيقة بين الجبال الرخامية السوداء التى ينحدر من أحدها شلال جارف ، فأطلت أورور على الهاوية « وقد بدت لى وقتئذ مخيفة و « مغرية » فى آن واحد ! »

وحين وصلا الى (كوتريه) ارتمت أورور فى أحضان صديقتيها ٠٠ وفى اليوم التالى بدأ الزوج برنامجه اليومى للصيد : كان يخرج فى الثانية صباحا ولا يعود الا وقت الغروب ! وقد أحنق ذلك زوجته فى البداية ، ولم يدر بخلدها وقتئذ أن غيابه هذا لن يلبث أن يصبح أعظم مصدر لسعادتها !

كانت أورور قد رأت أن تسرى عن نفسها فى غياب زوجها بكافة ضروب اللهو الصبيانى ــ اذ لم يكن لمثلها ملاذ غير اللهو، أو اليأس ! ــ فقد كانت فى ريعان العشرين ، ومن ثم حاولت أن تبحث عن المتعة والسرور فى كل شىء : فى الجرى ، والقفز، وركوب الخيل ٠٠ « ولم أكن قد ذقت منذ جئت الى الدنيا غير قدر ضئيل من التدليل ٠٠ ولا كانت لى يوما أم أو أخت تجفف دمعى ! »

وعندما تبحث حسناء ذات عينين جميلتين عن « روح توأم » تمنحها صداقتها ، فانها تجدها حتما !٠٠ وقد تجسدت الروح التوأم فى هذه المرة فى شخص شاب فى السادسة والعشرين يدعى « أوريليان دى سيز » !٠٠ كان أوريليان محام ناشىء من (بوردو) ، نبيل النفس ، ذواقة للشعر ، يقضى أياما فى جبال (البرينيس) بصحبة أسرة خطيبته ٠٠ فلم تكد تجمعه المصادفة بأورور فى تلك الظروف حتى وقع أسير هواها : أحب فيها جمالها « الغجرى » ٠٠ وعينيهــــا الكبيرتين ، المتسائلتين ، المتوسلتين ٠٠ وذكاءها ٠٠ وتذوقها للادب ٠٠ كما أحب فيها ذلك الاسى الدفين الذى يتخفى فى زى اللهو المتكلف !٠٠ فصار الفتى يرافقها فى رحلات لصيد الدببة ،

ونزهات على الجليد ، وبين الشلالات ٠٠ ويعطيها ذراعه كلما سارا حذرين بمحاذاة هاوية سحيقة ٠٠

ولم ترق هذه الحال فى عين صديقتها « ايميه بازوان » ، فعنفتها على قيامها بتلك الرحلات فى غيبة زوجها !٠٠ وكتبت أورور فى مفكرتها معلقة على ذلك : « لكنى لم أر فى الامر ما ألام عليه، ما دام هو الذى بدأ، ولم أفعل أنا أكثر من مسايرته، فى حدود المعقول ٠٠ ان ايميه لا تستطيع أن تفهم ان الانسان يحس أحيانا بالحاجة الى شغل أفكاره بشىء جديد ٠٠ يحس بالحاجة الى النسيان !٠٠ وانها لتسألنى « نسيان ماذا ؟ » ٠٠ فلا أملك الا أن أجيبها بقولى : « نسيان كل شىء ، وقبل كل شىء : نفسى ! »

✤

وقد أحبها « أوريليان دى سيز » من أول لحظة ٠٠ ومن كان فى طوقه أن لا يفعل ؟ وحين جاءها يبوح بحبه حاولت أورور أن تعيده الى خطيبته ٠٠ لكنه أقسم لها انه لا يشعر نحوها بأية عاطفة ، وانها برغم جمالها الفائق « امرأة بلا ذهن ! » ٠٠ فى حين كتب الى أورور يقول : « **ان ما أحبه فيك هو صفاتك الذهنية : روحك ، ومواهبك ، وبساطتك الفائقة ، وذكاؤك الوقاد ، وسعة أفق ثقافتك ٠٠ بحيث لو كنت حتى قبيحة الخلقة لاحببتك أيضا !** »

وصدته أول الامر فى حزم ، فقد أرادت أن تظل وفية لزوجها٠٠ لكنها حين اكتشفت أن وراء مظهر الرجل الاجتماعى المرح يخفق قلب مرهف الاحساس ملتهب العاطفة ٠٠ بدأت تضعف ، فكتبت اليه (فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٢٥) : « أواه يا آلهى ! كم كنا سعيدين فى صحبة أحدنا الآخر ، وقد فهم كلانا صاحبه على أكمل وجه ! وما أعظم المتعة التي استشعرتها في أحاديثنا معا ، حتى وهى تتناول أمورا عادية عامة مما يجرى فى الحياة كل يوم ٠٠ وبأية غبطة أصغيت اليك وأنت

تروى لى أشياء كثيرة تافهة ، بدت لى فى فمك وقد اكتسبت أهمية جديدة ! ما من أحد يتحدث مثلك ٠٠ ما من أحد له لهجتك الخاصة ، وصوتك ، وضحكتك ، ونظرتك الى الاشـياء ، وطريقتك فى التعبير ٠٠ لا أحد سواك !٠٠ لكم ملأت أعطافى غبطة ونشوة يا أوريليان ، يوم كنا نتمشى فهمست لى : « لست سعيدا فحسب ، بل انى أحس بالشبع والرى أيضا !٠٠ انك لا تفتنين قلبى فقط ، وانما تفعميننى سرورا أيضـا ٠٠ وتناسبيننى ! »

*

◆ **ولم** يسألها أكثر من الصداقة الخالصة ٠٠ لكنها من فرط متعتها بالاصغاء اليه أحست انه أعز عنـدها مما كانت تتوهم !٠٠ وخشيت على سكينة نفسها أن يعكرها شغف خاسر ، وان أحست من طهارة مشاعره ومشاعرها انهما لا يمكن أن يكونا فى علاقتهما آثمين !

وذات يوم ، وكانا فى قارب ينساب بهما على صفحة بحيرة (دى جوب) ، عرج الى حديث الحب : « ما الفضـيلة كما تفهمينها الا عقيدة وتقليد » ٠٠ فتذكرت كيف ألفت أن تسمع من أمها وخالتها قولهما : « كل ذلك غير ذى أهمية ! » ٠٠ ماذا لو كانتا على حق ؟٠٠ وتناول الشاب مطواته فحفر بها على خشب القارب ثلاثة أحرف : « أور » ، قائلا وهو يفعل انها الاحرف التى يبدأ بها كل من اسمها واسمه !٠٠ **ودنا منها قليلا ، لكنها لم تكن قد اعترفت بعد لنفسها انهـا أحبته ، فتظاهرت بأنها غضبت - فى حين كان قلبهـا يخفق غبطة وسعادة ! - فحمل أوريليان تظاهرها على محمل الحقيقة ٠٠ واذ أحس انها صدته ، قضى الايام الثلاثة التالية لا يتحدث اليها بحرف !٠٠ فسقطت أورور فى هاوية اليأس ، واعترفت لاحدى**

صديقاتها بأنها لو تعذر على أوريليان أن يكتفى منها بالصداقة، وطالب بالمزيد ، لما أحجمت عن التضحية بنفسها « وســوف يغفر الله لى ! »

وسافر أوريليان تحت ضغط ظروفه الى بلدة (جافرنى) ، فجرجرت أورور زوجها الى هنــاك ، وهو يغمغم و « يبرطم » متذمرا من نزواتها !٠٠ ولكن كيف يوقف الانسان امرأة تشتعل شوقا الى الحب ؟

وذات ليلة ، فى احدى الحفلات ، دبرت أورور أن تنفرد بأوريليان فى أحد الاركان ٠٠ فكاشفها بنواياه : انه لا يود أن يغويها ، وقد أخطأ اذ طارد امرأة متزوجة ٠٠ لكنه سيحاول أن ينساها !٠٠ وكعادة المرأة ، لم تشأ أورور أن تفرط فى الحب الذى ملأ حياتها ، فعرضت عليه أن تمنحه صداقتها «القلبية»!

وكانت الليلة دافئة حلوة ، والركن الذى جلسا فيه مظلما٠٠ فأخذها بين ذراعيه !

وكتبت فى مفكرتها : « **لو اننى استسلمت لتلك النزوة الاولى لاثمنا !٠٠ والا فهل يعقل أن يجمع الظلام رجلا فى خلوة مع امرأة يعلم جيدا أنها تحبة ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يسكت حواسه ويقاوم الحاحها ؟!٠٠ وعلى ذلك فقد انتزعت نفسى من عناقه ورجوته أن يدعنى أعود من حيث جئت ، فحاول ـ عبثاـ أن يقسم لى مؤكدا طهارة نواياه ٠٠ لكننى أصررت على ترك الركن الذى كنا نجلس فيه ، فتبعنى طائعا ٠٠ » ٠٠ لكنه فيما كانا يصعدان ممشى الحديقة المنحدر ، أحاطها بذراعــه ٠٠ وعندما حانت لحظة الفراق « طبع على عنقى قبلة ملتهبة ! »**

ثم حان يوم الفراق !٠٠ « كنا على حافة هاوية بين جبال (لورد) حين ودعنى ، قائلا : « هنا ، حيث الطبيعة فى أبهى وأسمى حللها أقسم لك وأنا أودعك اننى ســوف أحبك مدى


كلما مضت الأعوام..
أثبتت أنها الأفضل
MIRAMAR
GENÈVE
ميرامار
جنيف
تطلب من جميع محال الساعات

حياتى كما أحب أمى أو أختى ، وأظهر لك من الاحترام ما هو خليق بأن أظهره لهما ! » ٠٠ ثم ضمنى الى صدره ٠٠ وكان ذلك أقصى ما سمح لنفسه به فى علاقته معى ٠٠ »

وغادرت أورور المكان وهى تترنح من السعادة : « أواه يا جبال البرينيس ، كيف يستطيع أحدنا أن ينساك يوما ؟ » ٠٠ انها قد عثرت أخيرا على ضالتها : على الروح النبيلة السمحة ، والعقل المتزن ٠٠ والرجل العادل المنصف الذى تستطيع مطمئنة أن تتخذه مرشدا ونموذجا تحتذيه !

وفى اليوم التالى أخذها زوجها الى بيت أبيه فى اقليم (غسقونيا) ، حيث كان مقررا أن يقضيا بضعة أشهر ٠٠ وهناك أكرم أهله وفادتها وأتخموها بالدجاج المسمن و « الفواجرا » ، حتى أنهكوا كبدها الضعيف ٠٠

أنهكوا كبدها ٠٠ أما قلبها فكان فى (بوردو) ، حيث يقيم أوريليان ! ٠٠ لقد أحست بنفسها تشطر الى شطرين : بين حبها الهادىء لزوجها كازيمير - الذى خشى أن يفقدها فازداد رقة ولطفا فى معاملته اياها ! - وبين حبها الساخن المضطرم فى أعماقها نحو المحامى الشاب ٠٠ وقد وصفت فيما بعد لزوجها حقيقة مشاعرها فى تلك الآونة بقولها : « كان يتعسنى اضطرارى الى أن أخفى عنك ما يدور فى حنايا قلبى ٠٠ فقد كانت قبلاتك وعناقك أقرب فى نظرى الى آلام النزع ! »

وفى اكتوبر دعاهما بعض الاصدقاء الى بلدتهم القريبة ٠٠ وفى طريقهما اليها عرجا على بوردو ، فهرع أوريليان الى زيارتهما فى الفندق الذى كانا فيه ٠ **وانتهزت أورور فرصة خروج زوجها من الحجرة فألحت على الشاب فى ضرورة قطع كل صلة بينهما ٠٠ وتطور الحديث فازداد عاطفية وحرارة ، وفى لحظة ضعف مفاجئة اتكأت المرأة على صديقها تنشد معونته ٠٠ فلم تشعر الا وقد عاد زوجها الى الغرفة على غير انتظار ليجدها تسند خدها الى كتف زائرهما !**

*

◆ **وكانت** أمثال هذه المواقف جديدة عليها ، وعلى ضميرها المرهف ٠٠ فألقت بنفسها عند قدمى كازيمير تلتمس منه الرحمة ٠٠ ثم غابت عن وعيها !

وكان الزوج بدوره حديث عهد بهذه الازمات ، حريصا فى الوقت نفسه على تجنب اثارة فضيحة علنية تعرض اسمه لشوائب القيل والقال ٠٠ فارتبك المسكين ولم يدر كيف يتصرف فى الموقف الموجع المشئوم !

وحين أفاقت أورور ، واجهت من جديد موقفها المخيف : موقف المرأة البريئة ، التى ضبطت مع ذلك شبه متلبسة بالاثم! ٠٠ ومن الذى يصدق براءتها مهما زعمت وأكدت ، وأقسمت أغلظ الايمان ؟!٠٠ انها تصف محنتها تلك فى خطاب كتبته بعد ذلك الى صديقها ، فتقول : « كانت تمزقنى مشاعر كثيرة متضاربة : الاشفاق من غضبة زوجى ٠٠ والرثاء لالمه ٠٠ ثم فكرة اننى قد لا أراك ثانية !٠٠ لقد صررت على أسنانى ، وسبحت عيناى فى دموعى فأعمتنى ٠٠ وأحسست اننى ألفظ أنفاسى ! »

وقال الزوج أخيرا : « يجب ألا يعلم انسان بما حدث ! فليكن ذلك همنا الاول ٠٠ »

فهتفت أورور فى لوعة : « أما زلت مرتابا فى أمرى ؟٠٠ اذن فلتنظر فى عينى ! »

ــ صحيح انهما تعجزان عن الخداع ، لكنى حين فاجأتك أول الامر كنت تحملين طابع الاثم !٠٠ لقد قرأت فى وجهك فورا عارى وتعاستى

ــ بل قل : ندمى ويأسى ! ان شرفك لاغلى عندى من الحياة نفسها ، ولن ٠٠

ــ انى أصدقك ، أصدقك ٠٠ فلست أستطيع اقناع نفسى بأنك قد تعلمت حيل المكر والخداع !

وزارة الاشغال العمومية
تفتيش مشروعات رى
مصر الوسطى

ببنى سويف
اعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب تفتيش مشروعات رى مصر الوسطى ببنى سويف لغاية ظهر يوم الاربعاء الموافق ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٣ عن عملية تعديل الاعمال الصناعية وتوطية فروشات الكبارى على مصرف اللبينى الخوضى بمديرية الجيزة - وتطلب المواصفات والاشتراطات من المكتب المذكور نظير دفع مبلغ ٧٥٠ مليما مضاف اليها مائة مليم مصاريف بريد

ويجب ان يقدم الطلب على ورقة تمغة فئة الخمسون مليما كما انه يمكن الاطلاع على مجموعة رسومات المشروع بمكتب التفتيش ببنى سويف او بمكتب ادارة مشروعات الجيزة . وكل عطاء يقدم غير مصحوب بالتأمين الموقت الكامل وقدره ٢٪ من قيمة العطاء لا يلتفت اليه علاوة على انه سينظر فى أمر مقدمه

٥٩٦١

*

وفى اليوم التالى استأنف الزوجان حلتهما المرسومة الى بلدة أصدقائهما أصحاب الدعوة .. وصحبهما فى الرحلة كل من أوريليان وصديقة لاورور تدعى « زوى ليروى » !.. وهناك ، وهم خارجون من المسرح فى المساء ، وجد الصديقان المتحابان فرصة أخرى ليتبادلا بضع كلمات : **انهما ما يزالان يؤمنان بامكان أن تقوم صلة نبيلة طاهرة بين الزوجة و«صديق العائلة » ، ما دامت النيات قد صفت والاكاذيب قد انتفت من علاقتهما !.. سوف يصيران أخا وأختا .. سوف يحب أحدهما الآخر دون أن تقوم بينهما صلة جسدية !..** انهما يضعان نصب أعينهما أ[illegible] قصة جان جاك روسو الخالدة « هيلويز الجديدة » ، ومثيلتها المشابهة « الاميرة دى كليف » .. وعلى هذه الصورة يصان شرف الزوج من كل مساس : « فلنوحد جهودنا خلال هذا الشتاء كى ندخل على قلبه السعادة والسكينة .. فلقد أظهر نحونا من الكرم واللطف ما يستوجب منا أن نشركه فيما ننعم به من سلام النفس ! »

ولكن ، هل يستطيعان ؟

اقرأ الفصل التالى من الكتاب فى « كتابى » القادم



اقصدوا

متحف السكك الحديدية بمبانى محطة مصر

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الازمان ، ولتروا اكبر وادق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج

المتحف مفتوح للزيارة كل ايام الاسبوع ما عدا ايام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتى : ـ

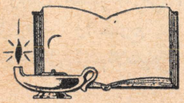
فصل الشتاء : من اول نوفمبر الى آخر ابريل من الساعة (٣٠ر٨) الى الساعة (٠٠ر١٤)

رسم الدخول ٢٠ مليما

تليفون رقم ٧٧٣٩٣

محتويات الكتاب

الموضوع **صفحة**



مطبعة شركة الاعلانات الشرقية



THE WOMAN IN WHITE

القصة العالمية التى ستقرأها فى ليلة واحدة !

كتابى

الحادى والعشرون

"... والإنسان لا يستطيع أن يكون شريفاً - بكل ما تحمل الكلمة من معنى - ويظل على احترام وتوقيره للناس!.. فالرجل الذى يحترم الناس لابد أن يكون مغمض العينين، يؤمن ولا يرى.. أما نحن المحامون الذين نفتح أعيننا على الدنيا، ونعيش هنا فى حرم العدالة، فى "مطهر" المجتمع حيث تسعى كل الرذائل سافرة على الأرض، وتكشف القناع عن وجهها.. نحن الذين نؤتمن على الفضيحة والعار، وندافع عن جميع صور ضعف البشر وحقاراتهم، ويلوذ بنا - وإن كان لا يلقى تشجيعاً منا - كل محتال أثيم، أميراً كان أم أفاقاً.. رجلاً أم امرأة..

نحن الذين نستقبل بالتسامح والأريحية الباسمة، جميع المذنبين وندافع عنهم أمامكم.. أقول أما نحن، فإذا كنا نخلص لمهنتنا حقاً، ونزن عطفنا على المتهمين حسب ضخامة جرائمهم، فلن تنطوى قلوبنا يوماً على الاحترام لمخلوق!.. ذلك لأننا نرى ونلمس الكثير من مظاهر هذا العالم التى تصيب رجال الحكم وذوى النفوذ كما تصيب أحقر دجال.. ونعلم الكثير عن الأساليب الوضيعة التى بها يباع الشرف ويشترى، ويرتهن ويستبدل، مقابل حفنة من مال، أو لقب من الألقاب، أو مصلحة ذاتية.. بل وأحياناً مقابل قبلة من امرأة!"

من قصة "نحن بشر" إحدى قصص هذا العدد